الماضي المجهول

9 أيام لا تنسى

مدونة ابو عبدو
أبو عبدو البغل

مذكرات
متّى أسعد

متّى أسعد

الماضي المجهول
وأيّام لا تُنسى

مذكرات

اسم الكتاب: الماضي المجهول وأيام لاتُنسى

مذكرات متّى أسعد

عدد الصفحات: 228

القياس: 25*17.5

الطبعة الأولى: تموز 2014

الطبعة الثانية: آب 2015

الطبعة الثالثة: آذار 2021

سورية. دمشق. ص.ب 2291

هاتف: 963113444369+

963930700443+

البريد الإلكتروني: newdalmoun@gmail.com

الموقع الإلكتروني: www.newdalmoun.com

فكرة الغلاف: وسام متّى أسعد

تصميم الغلاف: الفنان باسم صباغ

جميع الحقوق محفوظة للمترجم

لا يجوز نقل أو اقتباس أو ترجمة أي جزء من هذا الكتاب بأي وسيلة كانت دون إذن خطي مسبق من الناشر

New Dalmoun

الإهـداء

إلى الذي علّمني معاني الحياة

إلى الذي أراه دائماً أمامي كلّما اعترضتني الصعوبات.

إلى الزعيم الخالد أنطون سعاده.

إلى الأمينة الأولى جولييت المير سعاده، وكريمات الزعيم صفية وأليسار وراغدة.

إلى مثلثي الرحمات صاحب الغبطة الجليل البطريرك ماردنخا الرابع ومارنرساي دي باز، وإلى المتروبوليت مارميليس زيا.

إلى أرواح شهداء الحركة السورية القومية الإجتماعية

إلى الشهداء الأبطال الذين عرفوا كل الصعوبات وأخصّ منهم بالذكر:

غسان جديد، بديع مخلوف، عبد المنعم دبوسي

يونس عبد الرحيم، محمود نعمه، مطانيوس عبيد

والرفقاء الأبطال: مهيب خوري، أمين معوض، فارس السمان، نديم عثمان، أنيس أبو رافع، ومروان نفوج، جورج كرم، رحيل غيبور، وعبد الكريم مالك، رامز الأسعد، منير حدّاد، يوسف فضّول وبشارة ندروس، الذين لمست فيهم حبّ الحياة وحبّ الموت متى كان الموت طريقاً للحياة.

متّى زكا أسعد

شكر

أبو عبد الله الغول

إلى جميع الذين آزروني واهتمّوا بأمري في الشدائد، وأبدأ بالرفيق نقولا حلاق وزوجته الرفيقة مادلين اللذين أعطياني شقتهما الخاصة بعد عقد قراني وأقاما بشقة خاصة بأولادهما وبقيت فيها مدة شهر كامل وكنا مكرّمين كل يوم أحسن من اليوم الذي سبقه، علماً بأني كنت أمرّ بضائقة مالية في ذلك الوقت، غير أن الرفقاء الذين حضروا الإكليل راحوا يتوافدون ويقدّمون الهدايا والنقوط التي ساعدتني في تلك المرحلة.

كما أعبّر عن امتناني الكبير للرفيق فريد سمعان صاحب الشقة التي انتقلت إليها في قرنة الحمراء، وكان قد قدم من أفريقيا وأخبره الرفيق تركماني بأن الرفيق المستأجر الجديد مستعدّ لدفع بدل الإيجار الذي تطلبه. وبالفعل، حضر الرفيق فريد لزيارتي ومعه هدية قيّمة كما وضع مغلفاً تحت المخدّة وجدنا فيه مبلغاً لا يستهان به، وقبل أن يغادرنا قال لي: «بإمكانك أن تبقى حتى تتمكن من تأمين مسكن آخر لأن الرفيق عبد الوهاب تركماني أخبرني أنك رفيق مناضل، فأهنّئك وأتمنّى لك السعادة والتوفيق».

أخص بالشكر الأمين الجزيل الإحترام مصطفى عز الدين الذي وقف إلى جانبي يوم كانت زوجتي حاملاً بمولودها الأول وكانت مضطرة لدخول مستشفى توليد وعمليتها تكلّف مبلغاً غير متوفّر معي، فذهبت أبحث لتأمينه ولم أترك باباً إلا وطرقته غير أن الجميع كانوا يقلّبون جيوبهم علامة

الإفلاس، وعندما رآني الأمين مصطفى متجهّماً أمسك بيدي وسألني: «ما بك؟» قلت: «لا شيء»، وأعاد السؤال بإلحاح فأخبرته بالأمر، فما كان منه إلا أن أخذني إلى بيته وسمعته في غرفة داخلية يتحدث مع زوجته وهي تقول له: «لا يوجد معنا غير هذا المبلغ»، فيقول: «لا يهمّ». وعاد إليّ بالمبلغ داعياً بالتوفيق لي وبالسلامة لزوجتي.

أخصّ بالشكر أيضاً الرفيق فارس السمان منفذ عام حمص الذي اتصلت به عندما كنا في حبّ نمرة وأصيبت زوجتي بعارض خطير، فقال لي: «بعد ساعة تكون عندك سيارة صحية». وبالفعل هكذا كان. وعندما وصلنا إلى مدخل حمص، كان الرفيق فارس السمان يقف مع الدكتور عيسى أسعد بانتظارنا وكان معهما الرفيق مروان نفوج. وفي الطريق أشار الدكتور إلى وجوب أخذها إلى طابق أرضي فصاح الرفيق مروان: «بيتنا أرضي»، فذهبنا معه وبقينا عنده ما يقارب الشهر وكان هو وزوجته الرفيقة عليا نفوج والرفيقة أم إيليا زوجة الرفيق فارس يشرفون على رعايتها والعناية بها. وقد قام الرفيق فارس السمان بتحمّل كل تكاليف الطبابة والدواء... ولا أنسى أن أشكر الرفيق بشاره ندروس والرفيق بدري نفوج اللذين قاما بقسط وافر في هذا المجال. والشكر للأمينين يوسف الأشقر وخليل خير الله وللرفيقين تموز قنيزح ونبيل الملاّح، وللإعلاميّين أمية ضرغام ووفاء عواد الذين دققوا في الكتاب صياغةً وتدقيقاً لغوياً وضبطاً.

ولا بدّ لي من توجيه الشكر أيضاً إلى نقيب الصحافة اللبنانية الأستاذ محمد البعلبكي على تعاونه في مراجعة أرشيف جريدتي «كل شيء» و«صدى لبنان».

وأشكر أيضاً الرفيق وسام متّى أسعد الذي رافق مشروع كتابة مذكراتي منذ البداية، باحثاً وموثقاً ومدققاً في التواريخ والأحداث حتى رأى هذا الكتاب طريقه إلى النشر.

المقدّمة

ها هو ذا متّى أسعد يضع بين أيدينا كتاباً قيّماً جداً في تقديم فقرة تاريخية مهمة في حياة أمّتنا في الشام ولبنان، دون مبالغة أو تزويقٍ ودون تجاوز للأحداث أو فلسفتها أو تحريفها.

يسرد الأحداث ويتابعها بموضوعية وصدق وعفوية وبراءة تلازم شخصيته وطبيعته لأنه مواطن نظيف من بلادي... نظيف الكفّ والفكر والعقل...

رقيب في الجيش السوري وخبير في شؤون اللاسلكي، ومسؤول عن غرفة الإشارة في الأركان العامة، إطّلع بحكم وظيفته ومتابعته للأحداث على وقائع خطيرة وأسرار هامّة وتسلسل واضح لما مرّ به هذا الجزء الغالي من الوطن الكبير، وما تعلّق به شخصياً من هذه الوقائع وما عاناه مقابل وفائه لعقيدته والتزامه بقسمه وصدقه مع نفسه ومع قيمه وأخلاقه، وصبره الجبّار على التنكيل والتعذيب الجسدي والنفسي، على أيدي وحوش سجن المزّة الذين أقسموا على حماية الوطن والمواطنين من خلال خدمتهم العسكرية، فكانوا الجلادين والسفّاحين والقتلة والوحوش التي تلتهم أجساد المواطنين وتنهش لحومهم دون هزّة من ضمير أو ذرّة من رحمة وشفقة وإنسانية هي بعض ما يفرضه عليهم قسَم مسؤولية الجندي لدى دخوله الخدمة العسكرية بالمحافظة على الوطن والمواطنين ضدّ كل اعتداء داخلي أو خارجي.

متّى أسعد، تابع تعلّمه في السجن في المدرسة التي أقامها بعض رفقائه

المتقدّمين في العلم وبينهم الشاعر الرفيق «أدونيس» حتى أنه شاركه في الصياغة اللغوية لإحدى الروايات التي كان «أدونيس» يترجمها عن الفرنسية وهذا يدل على رغبة الرفيق متّى أسعد في التقدم وتطوير معلوماته وثقافته.

يؤرّخ متّى أسعد حياته الحزبية من خلال الأحداث التي رافقت ضياع فلسطين ومقتل العقيد عدنان المالكي في دمشق، وما رافقها من مؤامرات على الحزب السوري القومي الإجتماعي.

وبالإضافة إلى معاناته الشخصية، يعتمد على ما رآه وعايشه من معاناة رفقائه في السجن وخارجه وما سمعه من حوادث رافقت الإعتقالات والتحقيقات التي أقلّ ما يقال فيها إنها خالية من كل معاني الإنسانية والأخلاق ومليئة بالصبر والتحمّل والتضحيات التي بذلها الرفقاء القوميون بالحب والوفاء لعقيدتهم وإيمانهم بقضيتهم، رفقاء ثقات ممّن رافقوا الأحداث وكانوا ضحايا للظلم والجهل والإستبداد.

وربما يكون أكثر ما كتبه متّى أسعد في هذه المذكرات أصدق تأريخ لهذه المرحلة ويتميّز بالموضوعية والأمانة التاريخية.

تحسّ، وأنت تقرأه، بموضوعيّة مدهشة وأمانة عالية للحدث وتصويره ونقله.

هناك إصرار في ما يكتبه على الصدق والدقة والأخلاق العالية التي قلما تجدها خارج هذه المدرسة العظيمة التي تخرج منها متّى أسعد.

متّى أسعد مؤرخ لا كاتب سيرة. فسيرته الشخصية تأتي، على أهميتها، في المرتبة الثانية من سياق الأحداث، لأنه يتحدث عن كل ما جرى حوله لا عن نفسه فقط. ويعطي نفسه الأهمية الثانية من الأحداث.

إنه يرافق التاريخ ولا يقفز فوقه.. تحسّ من خلال كتابته الصادقة البريئة أن هذا الرجل مؤرخ بطبيعته، لا يتعمّد ولا يتشاطر ولا يخترع القصص والبطولات الوهمية. تصدّقه وتقتنع بما يسرده أو لا... ولكنك لا تستطيع إلا أن تحترم صدقه وأمانته وأخلاقه.

متّى أسعد واحد من أولئك الجنود المجهولين الذين، من خلال صدقهم وتجرّدهم وعفويتهم صنعوا تاريخ العالم في أوطانهم وجعلوا من هذا التاريخ إرثاً حيّاً للأجيال المقبلة، والتي أخبر عنها سعاده بقوله إنه يدعو إلى رسالته أجيالاً لم تولد بعد.

مثلنا جميعاً، ينتظر متّى أسعد أن يعود فجر النهضة فيشرق من جديد متألّقاً منطلقاً، قائداً معلماً هادياً للبشر كما كان منذ فجر التاريخ.

وإن هذه الفلسفة التي يعبّر عنها هذا الإنسان بعفوية وكبر ومحبة وضعها المعلم العظيم والزعيم (الخالد) وسقاها بفكره وعقله وجهاده وأخيراً... بدمه!!

مذكّرات متّى أسعد كتاب يُقرأ من الغلاف إلى الغلاف بشغف ومحبة وإيمان.

متّى أسعد أيها الرفيق النبيل، أتممْت عملك، سلمت يداك!

أنيس أبو رافع
أول آذار 2013

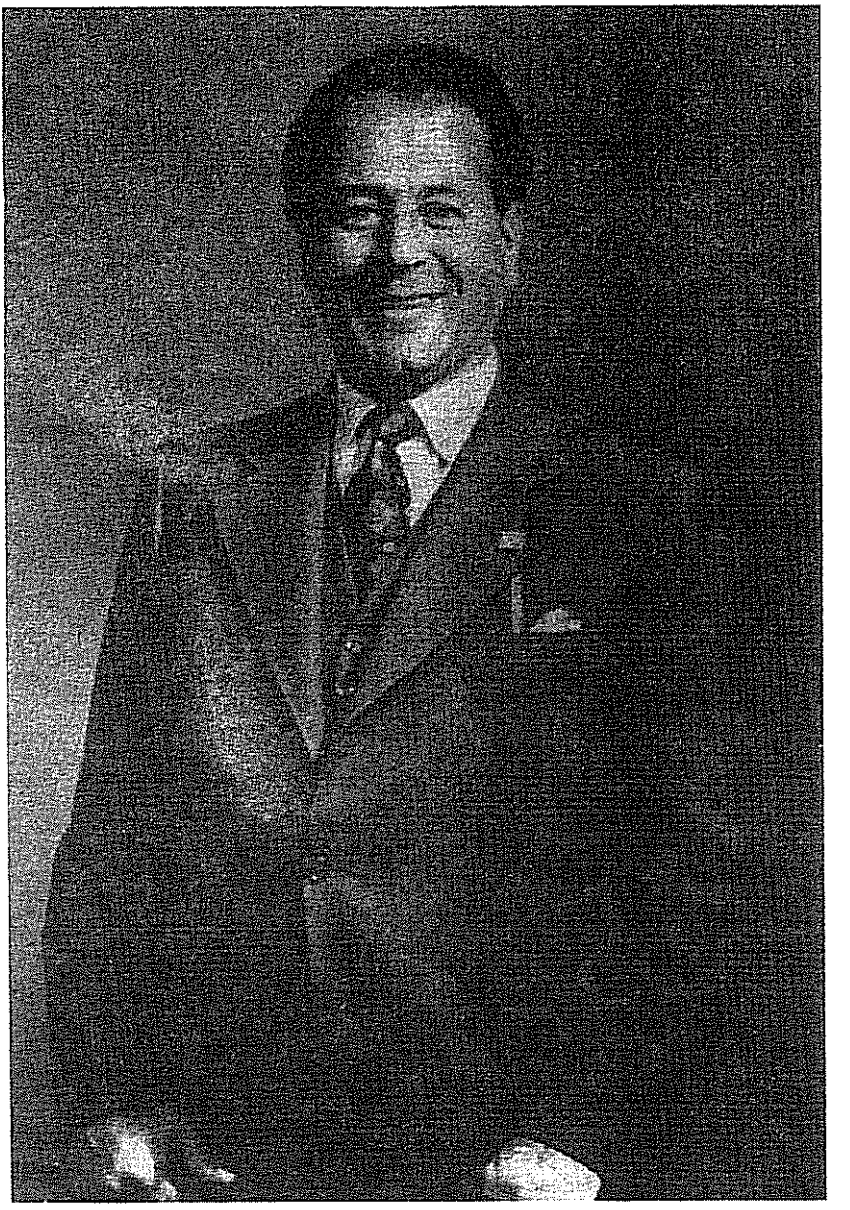

الزعيم الخالد انطون سعاده

أيّها الزعيم الخالد المُفدّى

ما زلت أذكر عندما قدّمني ألبير جزدان إليكم وسألتموني بعض الأسئلة وأعطيتم الموافقة بأداء قسم الإنتماء إلى الحزب السوري القومي الإجتماعي. أخذني ألبير وانتحى بي في دارٍ كنا فيها، وراح يتلو القسم وأنا أردّد وراءه إلى أن وصلنا إلى «وأؤيد زعيمه وسلطته»، وقد نطقت هذه العبارة بصوتٍ عالٍ، ما جعل حضرة الزعيم ينتبه إلى أدائي القسم، فرفع رأسه إلينا وترك القلم ووقف وأهداني ابتسامة ما زالت تحتلّ عقلي وقلبي وكياني. وهذه الإبتسامة هي التي أمدّتني بالقوة والصمود أمام مراحل صعبة مررنا والحزب فيها، وهي التي أنقذت رأسي ورؤوس كل الذين كانت ستطالهم اعترافاتي في المحكمة العسكرية أثناء محاكمة قيادة الحزب بمقتل العقيد عدنان المالكي. والآن أؤكد يا معلمي أن تلك الإبتسامة لا تزال تحتلّ وجودي.

أعود الآن، إلى البند الثاني من القسَم الذي ينصّ على: «وأن أتخذ مبادئه القومية الإجتماعية إيماناً لي ولعائلتي وشعاراً لبيتي». . فها أنا الآن مع أولادي وأحفادي نقف باستعداد ويدنا اليمنى مرفوعة زاوية قائمة هاتفين، وسيظل هتافنا يدوي إلى الأبد: «لتحيَ سورية وليحيَ سعاده».

النشأة والطفولة

الرفيق متّى أسعد، مواليد 1928 من بلدة حبّ نمرة (قضاء تلكلخ ـ محافظة حمص)، وهي أكبر بلدات وادي النضارة بعد بلدة الحواش التي يبلغ عدد سكانها أكثر من عشرة آلاف نسمة، وبلدة مرمريتا التي ينوف عدد سكانها على الثمانية آلاف نسمة. أما بلدتي المذكورة، فلا يتجاوز عدد سكانها السبعة آلاف نسمة. وقد سألني مطران الطائفة الآشورية الأرثوذكسية في لبنان المثلث الرحمات المطران نرساي دي باز عن إسم قريتي، فقلت: «حبّ نمرة»، سأل «هل يوجد حولها غابات؟» قلت: «نعم»، فضحك وقال: «هذه التسمية آرامية ـ آشورية، واللفظة الحقيقية لهذه القرية هي (هبّة نمرة) أي غابة النمر باللغة الآشورية، ولا معنى لهذه التسمية غير ذلك».

لقد حاول بعض المثقفين تصحيح تسمية وادي النصارى بنزع الصبغة الطائفية عنه، وتقدّموا باقتراح تصحيح هذه التسمية، بحيث تصبح «وادي النضارة»[1]. وبالفعل صدر مرسوم بذلك، فلم يتغير شيء، أيّ أنك عندما

---

(1) أما قرى وادي النضارة، فهي: تنورين ـ الحواش ـ عناز ـ التلة ـ عش الشوحة ـ القلاطية ـ الجوانيات ـ المزينة ـ بلاط ـ المقعبرة ـ الناصرة ـ كفرة ـ المشتاية ـ مرمريتا ـ حب نمرة ـ عين الباردة ـ الدغلة ـ عمار الحصن ـ بحزينا ـ عين الراهب ـ مشتى عازار ـ جوار العفص ـ الزويتينة ـ الكيمة ـ مقلس ـ عين العجوز ـ المزرعة ـ عين الغارة ـ بحور ـ حارة السرايا وبلدة قلعة الحصن.

تسأل أحداً من أبناء هذا الوادي: «من أين أنت؟»، يقول بدون تفكير: «من وادي النصارى».

يُطلق على سكان هذا الوادي أهل الحصن، وقد أوضح العلّامة المتروبوليت جورج خضر مطران جبيل والبترون وما يليهما من جبل لبنان، بأن هذه التسمية أتت من الرصافة، وهي مدينة مسوّرة بحصن منيع في وسط الشام جنوب غرب الرقّة على نهر الفرات وتبعد عنها حوالي الثلاثين كيلومتراً، وعندما احتلّ هشام بن عبد الملك هذه المدينة هُجّر أهلها منها وأصبحت تعرف برصافة هشام، ولا تزال آثار سورها باقية حتى اليوم.

أما سكان هذه المدينة، فقد اتجهوا غرباً وظلوا يسيرون حتى وصلوا إلى هذه المنطقة الغنية بالماء والخضراء، فاستوطنوها وما زالوا حتى تاريخه ينعمون بجمالها، وقد أصبح عدد قراهم يزيد على الثلاثين قرية.

والجدير بالذكر أن هذه المنطقة لم تكن خالية وجرداء، بل كانت غنية بالآثار كالأديرة والكنائس، ويُقال إن الملك الظاهر بيبرس قد احتلّها وفتك بجميع سكانها وهدم كنائسها. وبالفعل، فإنك تجد فيها آثاراً كثيرة قام الأهالي بتجديدها وإعادة بنائها، منها قبر القديسة مارينا ومار سركيس ومزار السيدة العذراء والقديس يوحنا. كما يوجد في هذا الوادي كنيسة القديس جاورجيوس القديمة، وهي تحت الأرض، وكنيسة جديدة بحالة ممتازة، وفيها أيضاً سوق فيه مقصورات عديدة للتجارة تفتح مرتين كل عام الأولى في نيسان تدوم ثمانية أيام وتنتهي يوم عيد القديس جاورجيوس في 23 نيسان، والثانية تنتهي يوم عيد الصليب في 14 أيلول وتدوم ثمانية أيام يقصدها التجار والباعة والزائرون من كل أطراف البلاد، ولا سيما من حلب وحمص وطرابلس والجوار. كذلك لا بد من ذكر قلعة الحصن، وهي قلعة قديمة جداً وأثرية بامتياز فيها طبقات عدّة، تدلّ على العهود التي مرّت عليها، وفي الطابق العلوي توجد كنيسة لا تزال بحالة جيدة إلى يومنا هذا.

إن هذه القلعة جميلة جداً ومحصّنة من الداخل والخارج.

وعند تنفيذ اتفاقية سايكس ـ بيكو الإنجليزية / الفرنسية وفرز الكيانات السورية، كان وادي النضارة المذكور تابعاً لمنطقة عكار طائفياً، إذ إن مطران عكار، ومركزه حلبا، هو عينه مطران هذا الوادي ولا يزال حتى تاريخه. ويقال إنه كان من المقرّر أن يكون تابعاً للكيان اللبناني، غير أن بطريرك الموارنة... في ذلك الوقت (البطريرك عريضة) وقف على الحدود وأمعن النظر في هذه القرى، وسأل: «ما هذا؟» أجابه الحضور: «هذه قرى وادي النصارى». فضحك وسأل مجدداً: «وهل هم موارنة؟»، أجابوه: «كلا، إنهم روم أرثوذكس». فلم يعجبه هذا الجواب وقال: «إتركوهم لسورية، لأننا إذا ضممناهم إلى لبنان يصبح عدد الروم الأرثوذكس أكثر من عدد الموارنة». وضرب عكازه في المكان الذي كان يقف فيه قائلاً: «هنا حدود لبنان»، وسمّي هذا الموقع باسمه ولا يزال حتى اليوم يعرف بالعريضة، كما لا يزال أهل الوادي حتى اليوم إذا احتاجوا إلى أي شأن طائفي أو أي معاملة لها علاقة بالكنيسة، يذهبون إلى حلبا عكار حيث مطرانية الروم الأرثوذكس.

وعندما نعود لتاريخ عائلتي، فإن جدّي متّى أسعد قحوش تزوج فتاة من عائلة شاهين من قرية عين الزبدة ـ قضاء صافيتا. رزق منها أربعة أولاد وثلاث بنات، أما الذكور، فهم: أسعد وتوفيق وزكا ونقولا. والإناث هنّ: زكية ومريم ورحمه.

أما جدّي لوالدتي، فهو طانيوس عبود قحوش، وقد تزوج من فتاة من مرمريتا، وهي ندي نعمان يازجي، ولما لم يكن وضعه المالي جيداً ليليق بالفتاة اليازجية، سافر معها إلى الأرجنتين ورزقا هناك بأربع بنات، وقد كانت جدتي حاملاً عندما انتقل هو إلى جوار ربه، وقد ولدت إبناً ذكراً سمّي طانيوس على اسم أبيه، ولكن طانيوس بلغة تلك البلاد يصبح تينو.

وفي العام 1922، حضرت جدتي إلى سورية لزيارة أهلها وأهل زوجها في حب نمرة.

تعرّف والدي على الإبنة الكبرى المدعوة عفيفة وتزوج منها، وكان وضعه المالي جيداً لأنه كان يعمل في فن العمارة وعقد الأبنية، وقد أتقن هذه المهنة وبرع فيها، على يد معلمين معماريين من مدينة حماه، كما أتقن عمي نقولا فن النحت، وأصبحا مقصودين من قرى المنطقة كافة، ولا يقلّ الدخل اليومي لكلّ منهما عن ليرة ذهبية.

من اليمين: متّى أسعد، والدي زكا أسعد، أخي إلياس، إبن عمي ناظم، عمي نقولا، بشارة ندروس، أخي نبيه ونشأت اللاطي

رزق زكا من عفيفة ولدين ذكرين الأول وجيه أخي البكر، وهو من مواليد 1925، وكنت الولد الثاني وأسموني متّى وقد ولدت عام 1928. وبعد ولادتي، أصيبت والدتي بمرض عضال ذاقت منه الأمرّين وتوفيت بعد ولادتي بسنتين، ولا أذكر من شكلها إلا الخيال، وكم يؤلمني ذلك.

أعود إلى عمّيّ أسعد وتوفيق، فالأول تزوج من عفيفة جبّور نفّوج ورزق منها ابنة أسماها رضى ولم يكن على وفاق مع زوجته. غير أنه وفي تلك المرحلة أقدم على قتل أحد أشقياء القرية واختبأ عند أخواله في عين الزبده، وسهّلوا له الوصول إلى لبنان ومنه سافر إلى نيويورك ـ أميركا وتزوج من سيدة زحلاوية تدعى خلائق، ورزق منها أولاداً وقد علمنا أن وضعه المالي جيد جداً وأن أولاده وصلوا إلى مراكز ممتازة، غير أننا لا نعلم التفاصيل، وكان أن أرسل بطلب أخيه توفيق فلحق به هذا الأخير وعمل تاجراً جوالاً اعترضه اللصوص وقتلوه، ولا نعلم عن قصته أكثر ممّا أوردت.

أما زوجة عمي أسعد، فقد أرادت اللحاق بزوجها إلى أميركا، واعتلت إحدى البواخر الذاهبة إلى أميركا حيث حطّت رحالها في الأرجنتين وفتشت كثيراً عن زوجها من دون جدوى، فتزوجت من رجل أرجنتيني ورزقت منه ولداً، ثمّ أرسلت بطلب ابنتها رضى التي التحقت بها وتزوجت رجلاً غنياً لكنها لم ترزق أولاداً، وبعد وفاتها آلت ثروتها إلى أخيها من أمها.

أعود إلى وضعنا أنا وأخي وجيه. بعد وفاة والدتنا كانت عمتي زكية متزوجة، فيما عمتي رحمة كانت قد انتقلت إلى جوار ربها، أما عمتي مريم فقد راحت تسهر على تربيتنا والإعتناء بنا، إلى أن جاءت في أحد الأيام تطلب من والدي الموافقة على زواجها من شاب من العائلة يدعى بولس عبود حنّا قحوش، فوافق غير أنه استمهلها بضعة أيام إلى أن اتفق مع قريبته تمينه داود نفّوج قحوش وتزوج منها وأنجبت له ثلاثة أولاد، إبنة أسموها وجيهة لكنها توفيت قبل أن تكمل العام، أما الولدان فهما إلياس ونبيه.

وهنا لا بد من التنويه بأن أمنا الثانية كانت تعتني بتربيتنا أنا وأخي وجيه وتعطف علينا أكثر من عطفها على ولديها إلياس ونبيه، وعلّمتنا أن نحب بعضنا بعضاً، وهكذا نشأنا وما زلنا حتى الآن على هذا وسنستمر بعونه تعالى.

وقبل أن أختم موضوع النسب لا بدّ من أذكر المرحوم عمي نقولا الذي تزوج من رضا خليل نفّوج قحوش، ورزق منها خمسة أولاد، ثلاثة ذكور وهم: رامز وناظم وكاظم، أما رامز وكاظم فقد انتقلا إلى رحمته تعالى بحادث سير على طريق دمشق ـ حمص، وبقي ناظم أطال اللّه عمره، وقد رزق أيضاً بابنتين هما أولغا وسعاد، وهذه الأخيرة لا تزال على قيد الحياة أطال اللّه عمرها أيضاً.

أكتفي هنا بهذا القدر من التراتب العائلي.

أما كيف تعرّفْت على الحزب السوري القومي الاجتماعي، فيعود إلى حادثتين في طفولتي. الحادثة الأولى في مدرستي الإبتدائية، حيث تلقيت تعليمي على يدي المعلمين يوسف يازجي وفؤاد يازجي[1]، إذ دخلنا المدرسة في أحد الأيام، وفوجئنا بصورة معلقة على الجدار، فتحلقنا حولها وبدأنا نتساءل عن صاحب هذه الصورة إلى أن تمكّنا من قراءة الكلمة المكتوبة تحتها: «الزعيم»، فسررنا لأننا تمكّنا من حل هذا اللغز. وبعد ذلك علمنا أن الأستاذ فؤاد يازجي هو الذي علّق هذه الصورة، ونبهنا إلى أنه لا يقبل بأن يمد أحد يده إليها.

أما الحادثة الثانية، فقد كان الأمين بديع كاسر قحوش يقيم في لبنان، وقد انتمى إلى الحزب السوري القومي الإجتماعي على يد الزعيم أنطون سعاده وكان ملاحقاً في لبنان فتمكّن من اللجوء إلى قريته حب نمرة في الكيان الشامي وبدأ بالنشاط الحزبي، فجمع رجال القرية الذين أذكر منهم: مخول شبشول، عيسى عبود، عيسى حمصي، غصن هزيم، حبيب قزما، طانيوس داغر، حدو اللاطي، مخائيل إبراهيم قحوش، حنا كاسر قحوش وآخرين لم أعد أذكر أسماءهم.

---

(1) فؤاد يازجي: هو والد الرفيق عيسى يازجي من مرمريتا. له مؤلفات عدّة في مجالات المفهوم القومي الإجتماعي.

جميع هؤلاء كانوا يرتدون اللباس العربي، لكنهم تخلوا عن غطاء الرأس[1]، وراحوا يتدربون على يد أحد العسكريين المحالين على التقاعد على النظام المنضمّ فيما هم يهتفون: «يحيا الزعيم سعاده يللي سنّ المبادي».

إلتقط هذه العبارة ولد في السادسة من عمره اسمه طانيوس حاطوم، فراح يرددها أينما ذهب، فسئل: «يا طانيوس لماذا تصرخ وتردد هذه الجملة؟» فقال: «الزعيم اسمه أنطون وأنا اسمي طانيوس»، فما كان من الناس إلاّ أن أطلقوا عليه اسم الزعيم، وما زال يحمل هذا اللقب حتى اليوم.

ومن أصدقاء طفولتي طانيوس عيسى عبود، وكنت ألقبه بأبي النواس، وأخوته بطرس ومخائيل وحنا وأولاد عمي رامز وكاظم وناظم أسعد ووديع وعفيف وعبد اللّه حدو اللاطي والياس متري اللاطي وسركيس السطمة ومخائيل الشمالي وإلياس الداغر وفريد عيسى قحوش وعبد اللّه الداغر وبهيج عوض حاطوم الذي لم يفارقني حتى بعد دخولي الجيش، وتبعني ودخل مدرسة اللاسلكي وبقينا على علاقة جيدة جداً حتى بعد زواجه، وعندما رزق ولده البكر، سألني ماذا نسمّيه؟ قلت له: «أفضّل أن تسميه حكمت» لأنه كان لي صديق ملازم اسمه حكمت العضم كنت معجباً بأخلاقه، فوافق على اقتراحي.

أما بالنسبة للوضع التعليمي، فلم يكن في قريتنا مدرسة ثابتة بل كانت إدارة التعليم تستأجر غرفتين وتجعل منهما مدرسة، وأذكر أن المدرسة الأولى التي تعلمنا فيها كانت في بيت الرفيق مخول الشبشول، وفي السنة الثانية والثالثة كانت في بيت الرفيق حدو اللاطي، والرابعة كانت في بيت حبيب الأزرق، والخامسة في بيت الرفيق حبيب قزما، وبعدها تمّ بناء مدرسة في أرض تابعة للوقف قرب كنيسة القديس جاورجيوس.

(1) الكوفية والعقّال.

دخولي الجيش الفرنسي

في 13 تموز من العام 1943، وفيما كنا في المدرسة نلعب في باحة دار الكنيسة، وقفت سيارة عسكرية ونزل منها ملازم، علمنا فيما بعد أنه الملازم هنري غانم، تحلّقنا حوله فضحك وقال: «مرحبا يا شباب»، أجبنا جميعاً: «أهلاً وسهلاً»، فقال: «هل تريدون أن تصبحوا عسكريين؟»، فضحكنا وقلنا: «نعم». وكان الكبير فينا في سنّ السادسة عشرة فقال: «إصعدوا إلى السيارة»، فصعدنا بفرح وسرور معتقدين أنه يريد أن يتسلّى، وكانت من نوع «شارابو»[1] وسارت بنا السيارة من دون توقّف حتى وصلنا إلى مركز القضاء في تلكلخ.

متّى أسعد

هناك، أتى بمصوّرين وأخذ لكلّ منا صوراً شمسية ثمّ دخل إلى السراي ليعود بعد حوالي ساعة ونصف الساعة

(1) «شارابو»: ناقلة جنود لها مقاعد من دون غطاء للصندوق كانت سائدة في ذلك الوقت.

حاملاً لنا هوياتنا بعدما تمّ تعديل أعمارنا إلى الثمانية عشرة.

صعدنا مجدّداً إلى السيارة التي سارت بنا إلى مدينة جبيل اللبنانية، فنزلنا على الشاطئ القريب من قلعة جبيل حيث نصبت لنا الشوادر ووزّعت علينا الألبسة العسكرية التي كانت كبيرة قليلاً، فأرسل الملازم غانم شاباً اسمه حسن دايه، وقال له: «إذهبْ إلى المدينة واجلبْ لي كل خيّاطات جبيل». فذهب حسن إلى جبيل وأتى بعدد كبير من الخيّاطات، فأمرهنّ الملازم بأن يأخذن قياساتنا وأن يفصّلنَ لكلّ منا بدلتين. وبعد أسبوع تسلّمناها وارتديناها. وأصبح همنا الوحيد إعلام أهلنا عن مصيرنا. ولحسن الحظ أن هذا الفوج كان فيه ثلاثة رتباء من أبناء قريتنا، وديع اللاطي ورفيق الخوري ومخائيل إبراهيم، فأوصلوا الخبر لأهلنا.

بدأنا بالتدرّب وكان مدرّبنا حسن دايه. في أحد الأيام كنت أنا حارساً على باب الثكنة عندما جاءت سيارة عسكرية وبداخلها كولونيل فرنسي كان معه الكابتن هاشم رعد[1] والملازم هنري غانم، وعندما وصلت السيارة إلى باب الثكنة قدمت السلاح بشكل رسمي أحييه، فأمر الكولونيل السائق بأن يتوقف وفتح زجاج السيارة وسألني بالفرنسية: «ما اسمك؟» قلت له بالفرنسية أيضاً: «اسمي الجندي متّى أسعد ورقمي العسكري 37321»، فسُرَّ كثيراً، لكنه سألني «كم عمرك؟» فقلت له: «ثمانية عشر عاماً» فابتسم قليلاً وقال مستغرباً: «لا». وذهب إلى داخل الثكنة وسأل الملازم غانم: «هل كل العساكر الذين أتيت بهم هم على هذا الشكل؟». فقال له: «نعم»، فقال الكولونيل: «أرسلهم إلى بيوتهم من حيث أتيت بهم كي لا يقال إن فرنسا تجنّد الأطفال»، فقال له الملازم غانم: «يا سيدي، هل فرنسا خالدة أم

(1) هاشم رعد: آمر السرية الثالثة من الفوج الثاني حرس الشواطئ البحرية ومساعده الملازم هنري غانم. أما الكولونيل، فلقد كان رئيساً للجنةٍ طبية وأتى خصيصاً لفحص الجنود الجدد.

زائلة!؟» فأجاب: «طبعاً فرنسا خالدة»، فقال له غانم: «إذن هؤلاء هم جيش فرنسا للمستقبل وهم يشربون حبّ فرنسا من أثداء أمهاتهم»، فضحك الكولونيل وسُرّ كثيراً من جواب غانم وقال له: «إذن دعْهم هنا ودرّبهم أحسن تدريب».

الكولونيل نفسه كان طبيباً، وكان هدف زيارته إلى الثكنة إجراء الفحوص الطبية للجنود الجدد (أيّ نحن)، وكنا نزيد عن الأربعين جندياً، وقد سبقتنا مجموعة أولى من مرمريتا منهم: تامر تامر، نادر نادر، ميشال يازجي، أسعد بيطار، عيسى بيطار وحنا سلامة وعدد آخر لم أعد أذكر أسماءهم.

وبعد ثلاثة أشهر أنهينا التدرّب في جبيل ونُقلنا بعدها إلى كفرشيما، حيث كانت تتمركز السرية الثالثة من الفوج الثاني لحرس الشواطئ البحرية، بقيادة الكابتن هاشم رعد.

وفي تلك البلدة، تولّى الملازم هنري غانم تدريبنا، وراح يجري لنا المناورات في تلةٍ قريبة من كفرشيما فيها حرش صنوبر كثيف يطلق عليها تلة «حنين» وكانت تدريباتنا تمتد حتى وادي شحرور التي كنا نتسلل إلى بساتينها ونملأ حقائبنا بالخوخ والفواكه الأخرى، وشمالاً حتى بلدة الحدت حيث كنا نقضي استراحة فيها. وكان الملازم «هنري» يحب التحدث إلى رجال الدين، وفي أحد الأيام دخل على المطران «إيليا كرم» في مطرانية جبل لبنان وكان يغلب على أحاديثه مع المطران روح الدعابة والود.

في المطرانية، تعرّفت إلى المطران إيليا كرم الذي سألني عندما دخلت للسلام عليه «من أين البطل؟».

قلت: «من حبّ نمرة».

فقال مبتهجاً بصوتٍ عالٍ: «أووه حبّ نمرة البلدة المثالية»[1].

(1) كان يقصد بذلك أنها البلدة الوحيدة في وادي النصارى التي لم يتمكّن الكاثوليك من اختراقها.

وطلب مني أن أزوره باستمرار. وبالفعل، كنت أقوم بزيارته كلما سنحت لي الظروف.

هناك، تعرّفت إلى أحد وجوه الطائفة الآشورية في منطقة الحدت المدعو «المعلم يوحنا أسمرو»، وكان المطران يناديه كما جميع الآشوريين «عمّو يوحنا». بعد أن تعرّفت إلى هذا الشخص الودود، قال لي: «أرى أن سيادة المطران إيليا كرم يحترمك ويحبك، أسألك إذا كان بإمكانك أن تتحدث معه لإنشاء كنيسة لنا في منطقة الحدت أو سدّ البوشرية أو زحلة حيث يتواجد الآشوريون وأن يمنحنا قطعة من أرض الوقف لنبني عليها مساكن صغيرة لأن أكثرنا من دون مساكن»، فوعدته بذلك. وفي إحدى الجلسات مع المطران

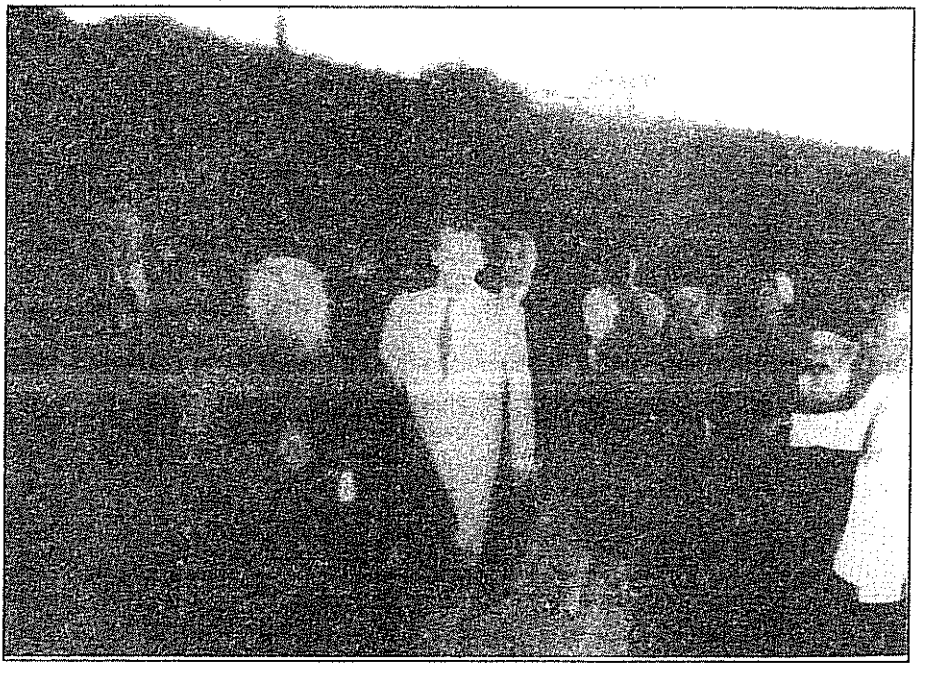

تدشين كاتدرائية مار جاورجيوس 1953 برعاية مار إيليا كرم - متروبوليت جبل لبنان للروم الأرثوذكس - بحضور رئيس جمهورية الأرجنتين الجنرال جوان بيرون والسيدة عقيلته، ويبدو الأرشمندريت شمعون إلى جانب الرئيس بيرون

رجوته مساعدة هذه الطائفة، فمنحهم قطعة من أرض وقف المطرانية لبناء مساكن صغيرة عليها وتدبير أمورهم. أما بالنسبة لأرض الكنيسة، فوعدني قائلاً: «قريباً ستأتي إحدى صديقاتي من فرنسا وهي غنية جداً، سأبحث معها موضوع مساعدة هذه الطائفة وأعتقد أنها لن تتأخر في تقديمها».

وعندما جاءت هذه السيدة المدعوة مدام دي رفول، طلب منها شراء أرض وبناء كنيسة للآشوريين فوافقت على ذلك واشترت قطعة أرض كبيرة في منطقة سدّ البوشرية بنيت عليها الكنيسة على اسم القديس جاورجيوس في العام 1953.

بعد فترة غير طويلة انتُدبت لاتباع دورة لاسلكي (المورس)[1]، فذهبت إلى ثكنة فردان (حيث يقع اليوم سيار الدرك) وكانت تسمى «كزيرن جوفر» "Caserne Joffre". اتبعت دورة لاسلكي وأجريت تمريناً على المخابرات الهاتفية، وأذكر ممن كان معنا عفيف اللاطي ووديع اللاطي من قريتنا وعدد كبير من الرقباء والمساعدين. بعد خمسة أو ستة أشهر أجري لنا امتحان فنجحت أنا وعريف آخر اسمه ديب سماحه بتفوق[2]، ورسب عدد كبير من المشاركين في الدورة فغضب المقدم ديغونيه الذي ألقى فينا كلمة قال فيها: «عندما يتبع كومندان (مقدم) دورة مع جندي فينجح الجندي ويسقط المقدم تنزع هذه الرتبة (وضع يده على كتفه) وتوضع على كتف الجندي (ووضع يده على كتفي)».

إنتهت الدورة وعاد كلّ منا إلى وحدته، وتلا ذلك عدد من الأحداث طلباً للإستقلال، فأُرسلت إلى ثكنة «كي جي 45» في منطقة تلّة الخياط، مع

---

(1) المورس: جهاز لاسلكي للإتصال، إخترعه الأميركي صمويل مورس (1781 - 1872).

(2) شارك في هذه الدورة 182 جندياً من مختلف الرتب، وقد نلتُ الدرجة الأولى بينهم.

الرقيب جوزيف سكاف من القبيات والعريف كامل حامد من سلاح الإشارة. جُهّزنا بلاسلكي وسيارة خاصة به، وتمركزنا في الجمهور حيث كانت وحدة عسكرية من الجيش الفرنسي، بانتظار حدوث تحرّكات محتملة ضد الدولة (فرنسا).

بعدها، عدنا إلى الثكنة التي تدرّبنا فيها على دورة اللاسلكي، قامت مظاهرات في منطقة البسطة في بيروت، فأُعطينا سلاحاً ونزلنا إليها، وهنا يظهر جلياً مدى جهلنا لهويتنا إذ كنا نهتف:

نحن رجالك يا ديغول نهجم ع المدفعية
نحن رجالك يا ديغول واحدنا بألف وميّة

وكنا إذا وجدنا أي شخص يطالب بخروج الفرنسيين نضربه، وأحياناً نعتقله ونسلّمه إلى الشرطة الفرنسية، وكان الإنكليز[1] قد دخلوا قبل ذلك الوقت لبنان بأعداد كبيرة بحجّة مساعدة الديغوليين ضد حكومة فيشي، وراحوا ينقلون الأسلحة مع الذخائر في شاحنات مكشوفة ومن دون حراسة، ويسيرون بها ببطء شديد في منطقة البسطة وغيرها من الأحياء في بيروت حتى يتمكّن الثوار من التسلّق إليها وأخذ السلاح منها. وبهذه الطريقة أصبح جميع الثوار مسلّحين بسلاح إنكليزي ظناً منهم أنهم باقون في لبنان بعد رحيل الفرنسيين. طبعاً، إنتبه الفرنسيون إلى هذا الأمر، فأعلنوا أنهم سينسحبون من لبنان. وقد تمّ هذا الإنسحاب بالفعل، وسُجّل جلاء آخر جندي فرنسي في 17 نيسان من العام 1946، بعد أن كان لبنان قد نال الإستقلال رسمياً في 22 تشرين الثاني من العام 1943.

(1) كان الإنكليز قد دخلوا إلى لبنان لمساعدة الديغوليين على الفيشيين إثر المعركة التي دارت بينهما في الدامور صيف 1941، والتي انتصر فيها الديغوليون.

إلتحاقي بالجيش السوري

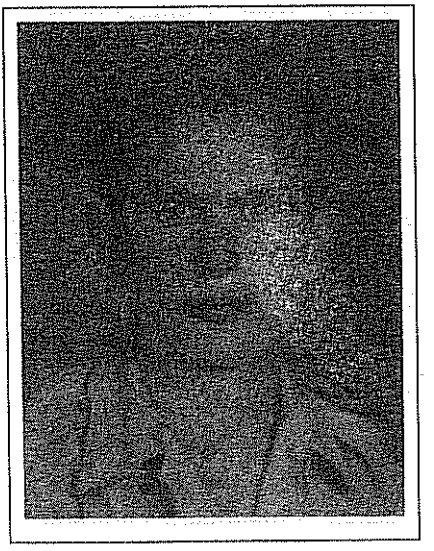

متّى أسعد ـ 1948

بقي الإنكليز في لبنان إلى أن بدأت المشاكل ضد الفرنسيين الذين أعلنوا، كما قلنا، انسحابهم في نيسان العام 1946، وأعطونا الخيار في الذهاب معهم إلى فرنسا أو البقاء في أوطاننا. وأنا كنت من الذين اختاروا البقاء في الوطن. فذهبنا مع المجموعة التي آثرت البقاء إلى ثكنة ضبّيه، حيث أقمنا لمدّة عشرة أيام أرسِلنا بعدها إلى اللاذقية وكان الوضع سيئاً للغاية لجهة اللباس والطعام وغيره، غير أن هذا الوضع تحسّن بعد وقت قصير وسارت الأمور كما يجب.

بعد بضعة أشهر أرادت قيادة الجيش الشامي استحداث جهاز إستخباراتي لاسلكي، وكان معروفاً من سجلّي العسكري أنني من سلاح الإشارة، فانتدِبت إلى دمشق حيث خضعت لدورة (مورس) باللغة العربية، وكنت متفوّقاً، وكان يدرّبنا الرقيب محمد صاري المدعو (أبو عفيف)، ولا أزال

أذكر أن هذا الرجل كان مرحاً جداً فنال محبتنا واحترامنا.

خلال الدورة التي كنت متفوّقاً فيها، كنت على خلاف مع الملازم أول (طارق الكيلاني)، لأنّني في إحدى المرات أشعلت سيجارة في الصف، فسأل: «من يدخّن؟»، فرميت السيجارة ودست عليها، قال: «إذا كان من يدخن لديه الشجاعة والشرف فليرفع أصبعه وليقف»، فوقفت ورفعت إصبعي، وقلت: «أنا». فما كان منه إلا أن أخرجني من الصف مهدّداً «إذا بتنجح سأقطع يدي».

وفي نهاية الدورة كنت ناجحاً ونلت 15/ 20 على الرغم من أن الملازم كيلاني حذف لي علامة السلوك من المجموع العام، وجاءت الشهادات وبدأ الملازم المذكور بتوزيعها، ووقف على منبر من أربع درجات ضمن الثكنة يقرأ الأسماء، وكلما قرأ إسماً صعد صاحبه على المنبر ووقف على الدرجة الثالثة وأدّى التحية للملازم الذي يسلّمه شهادته ويقول له: «ناجح أهنئك». ولما جاء دوري صعدت إلى المنبر وحييته كما فعل الآخرون، فمدّ يده إلي بالشهادة وقال: «ناجح ولكن لا أهنئك»، فقلت: «أنا لا أريد شهادتك»، ورميت الشهادة في وجهه ونزلت عن المنبر.

كان المقدّم أكرم عكر[1] يراقب المشهد فأرسل بطلبي قائلاً: «هل أنت مجنون، لماذا فعلت ذلك؟» فشرحت له القصة، وبما أنه كان يحبني قال لي: «لا تبالِ، إجلس»، وأمر أحد العسكريين بأن يجلب لي الشهادة، غير أن طارق الكيلاني لم ينسَ لي فعلتي، فحصلت تشكيلات إلى مراكز اللاسلكي في دمشق وكان أن أوفدني إلى مركز اللاسلكي في جزيرة أرواد التي كانت تعتبر منفى السياسيين منذ التاريخ القديم. وفي أثناء هذه المرحلة لم تنقطع علاقتي بالمطران إيليا كرم، لأنه كان يأتي إلى البطريركية في دمشق

(1) المقدم أكرم عكر آمر سلاح الإشارة.

ويتصل بي هاتفياً ليطمئن إليّ. كما أن أخي نبيه كان قد عيّن في البطريركية أميناً لمستودع التموين فعرّفته إلى المطران كرم وطلبت منه بإلحاح أن يظل يتابعه ويذكّره بمساعدة أبناء الطائفة الآشورية، وكان أن أعجب المطران كرم بأخلاق أخي نبيه وعيّنه مرافقاً له ونقله معه إلى لبنان. وكان أخي باستمرار يخبرني عن ملاحقة المطران بشأن الآشوريين.

وبعد انتهاء الدورة في دمشق، نقِلت إلى أرواد برفقة العريف موسى جلوف، وهناك كنا نرسل البرقيات إلى قبرص وإلى بقية المناطق، وكانت جزيرة أرواد مركز شحن عام للمراكب، كان يأتينا الكثير من الهدايا من التجار وأصحاب المراكب، الهدايا عبارة عن زجاجات من الكونياك، ومختلف أنواع المشروبات الروحية الفخمة، لذلك كنا نبقى معظم الوقت في حالة من السكر الشديد.

وكانت القلعة في جزيرة أرواد مقرّاً للمنفيين السياسيين زمن الإنتداب الفرنسي. وبعد الجلاء أصبحت القلعة تضمّ في الطابق الأول مخفر الدرك ومكتب مدير الناحية، والطابق الثاني مكتب الإشارة التابع للجيش. حينها تعرفت إلى الرفيقين إنطانيوس قنيزح[1] وحليم الضيعة اللذين كانا يأتيان إلى أرواد لـ«شمّ الهوا»، وذات مرّة صعدا إلى مركز اللاسلكي وتعرّفا إلينا وراحا يشرحان لنا مبادئ الحزب السوري القومي الإجتماعي وفكر سعاده، قلت لهما: «أنني أعرف هذا الحزب ولكن الأحزاب ممنوعة في الجيش، وأنا أتمنّى أن أدخل إلى الحزب ولكنني لا أستطيع لأنني عسكري»، غير أنهما استمرّا بالشرح والتفسير.

بعد ذلك حصل خلاف بيني وبين مدير الناحية الذي أتاني ذات مرة لكي يرسل برقية إلى قبرص، فأرسلتها له وذهب، ولكنه بعد ربع ساعة أرسل إليّ

(1) الرفيق إنطانيوس قنيزح: هو شقيق الأمين الياس جرجي قنيزح.

حاجباً يسألني إذا كنت قد أرسلت البرقية، فأجبته: «نعم أرسلتها». وبعد ربع ساعة عاد الحاجب ليسأل عمّا إذا أتى جواب على البرقية فأجبت بالنفي، ثم تكرّرت زيارات الحاجب كل ربع ساعة ليسأل عن جواب البرقية وفي المرة الأخيرة قال لي الحاجب إن مدير الناحية يريدني أن أنزل إلى مكتبه، فشتمت مدير الناحية وأمه وأخته، كما شتمت الحاجب بأقبح العبارات وقلت له: «إذهب من هنا».

بعد نصف ساعة، جاء مدير الناحية نفسه وهو يلبس الطربوش ووقف في باب المركز وأشار لي بأصبعه أن آتي إليه، غير أنني كنت في حالة من السكر الشديد، فخرجت حاملاً الكرباج وأوسعته ضرباً ودحرجته على الدرج، وكان رئيس المخفر العريف أول عبد الستار السيد يراقب المشهد فقال لي: «يا أستاذ قتلته»، فأجبته: «ليمتْ وليذهب إلى جهنم».

ذهب وكتب بي تقريراً رفعه إلى الأركان التي أحالته بدورها إلى سلاح الإشارة للتحقيق معي وإجراء اللازم بحقي. فأتى المقدّم أكرم عكر إلى أرواد مع الملازم حكمت العضم والرقيب الأول محمود الصوّاف. في ذلك اليوم، كان وفد من بنات الجامعة الأميركية يقوم بزيارة جزيرة أرواد، وبينما كنت أنا أتجوّل أتت إحدى بنات الجامعة وطلبت مني أن أعيرها المنظار المعلّق في رقبتي، فأعطيتها اياه ثم صرت أتغزّل بها ووضعت يدي على كتفها. في هذه اللحظة كان المقدم أكرم يقف على باب القلعة ويرى ما أقوم به، فقال: «أين هو الأزعر متى أسعد؟» عندها رأيته ونزلت فحيّيته وسلّمت عليه وصعدنا معاً إلى مركز اللاسلكي.

في تلك الليلة، سهرنا أنا وآمر سلاح الإشارة المقدّم أكرم والملازم حكمت العضم والرقيب الأول محمود الصوّاف واحتسينا الخمر على ظهر القلعة حتى الفجر، وكانت سكرة جنونية. في اليوم التالي، بعد أن استيقظنا من النوم، سألني المقدم أكرم عن الذي حصل مع مدير الناحية فرويت له

القصة، فما كان منه إلا أن قال لي: «ألم تذبحه؟» قلت له: «لا»، فقال: «عليك في المرة القادمة أن تذبحه».

لكنه تابع كلامه قائلاً: «أنا خائف عليك في هذه الجزيرة، لأنه منذ زمن كان هناك ملازم أول أرمني قتلوه، لذلك أريد أن أنقلك من هنا، إلى أين تريد أن تنتقل؟»، قلت: «إلى حلب». وبعد أسبوع جاء أمر نقلي إلى حلب، بعد قضاء ستة أشهر في أرواد، وهناك التقيت بصديقي ورفيقي ماجد سليمان، وكنا نذهب سوياً إلى الملاهي والمقاهي ولم نكن نشعر بالملل إطلاقاً، وأمضيت فيها ثلاثة أشهر. إلا أنّ سلاح الإشارة رأى أن مركز اللاسلكي في مقر الأركان العامة بحاجة إليّ لعدم توافر من يؤمّن الشبكة الرئيسية.

فاستدعيت من قبل المقدّم أكرم وعَيّنت رئيساً لمركز اللاسلكي (المورس) في مقر الأركان العامة في دمشق ـ الصالحية، كما أصبحتُ مرجعاً لتنظيم شبكة اللاسلكي في كل المناطق والمحافظات.

في الأركان العامة:

في بداية العام 1948، إلتحقت بمركز اللاسلكي في مقر الأركان العامة وصرت أناوب فيه.

وكان مقرّ الأركان العامة يتألّف من الطوابق التالية:

- الطابق السفلي تحت الأرض ويضمّ السنترال وموظفي الأرشيف.
- الطابق الأول: الشعبة الثانية «المخابرات».
- الطابق الثاني: الشعبة الثالثة.
- الطابق الثالث: الشعبة الأولى.
- الطابق الرابع: مكتب رئيس الأركان ومعاونيه.

ـ الطابق الأخير: في الشقة الشرقية مركز اللاسلكي (البورس) وفي الشقة الغربية مركز الشيفرة.

وكان يعمل في مكتب الشيفرة الملازم الأول رياض كيلاني، ويستلم مني البرقيات. تسلمت مرة برقية شيفرة أخذتها إليه، ودخلت المكتب فلم أجد رياض كيلاني، بل وجدت شخصاً أشقر في الخامسة والعشرين من عمره، شعره قصير، يجلس إلى طاولة رئيس المكتب... للوهلة الأولى اعتقدت أنه الحاجب فسألته: «أين الملازم كيلاني؟» فقال لي: «أنه لم يأتِ». فسألني: «هل هناك شيء؟»، قلت: «هناك برقية شيفرة»، فرد قائلاً: «لم يأتِ بعد»، فقلت: «حسناً سأعود بعد ربع ساعة»، ولما عدت وجدت الشخص نفسه فسألته: «أين الملازم؟» أجاب: «الملازم لن يأتي اليوم»، فالتفت إلى الحائط فوجدت جاكيتاً معلقة وعلى كتفها نجمة، فأشرت إليها وسألت: «أهذه لك؟، فهزّ لي برأسه إيجاباً، أخذت التحية، وقلت: «عفواً سيدي»، قال: «هيئتك مهضوم يا رقيب» أجلس، فجلست وبدأنا نتحدث وعرّفني عن نفسه بأنه الملازم زهير غزال المسؤول الجديد لمركز الشيفرة بدلاً من الملازم أول كيلاني، وسألني بعد ذلك عن طبيعة العمل فشرحت له، فقال: «نحن تعلّمنا في الكلية كيفية استعمال اللاسلكي، ولكن لفترة قصيرة، وكنت أتمنى أن ألمّ أكثر بهذا الأمر»، فعرضت عليه تعليمه فوافق وقال: «ضع يدك في يدي»، فوضعتها، وهكذا صار يأتي إلى مكتبي بين حين وآخر وأنا أجلس مكانه في مكتبه، وأصبحنا صديقين.

مقابلة الزعيم والإنتماء إلى الحزب

الرفيق رامز الأسعد

وأذكر أنني دخلت إلى الحزب السوري القومي الإجتماعي عن طريق ألبير جزدان[1]، وقد عرّفني إليه ابن عمي رامز الذي كان يعمل معه في مستوصف موقع دمشق. كان جزدان مسؤولاً حزبياً، أعلمني ابن عمي بأنه يريد أن يدخل الحزب القومي عن طريقه. وعندما عرف ألبير أنني رئيس المركز اللاسلكي في الأركان العامة، أخذ يحاول جاهداً لإدخالي إلى الحزب لأنه كان ينوي تشكيل شبكة الإستعلامات المرتبطة مباشرة مع حضرة الزعيم.

أعطى ألبير كلاً منا كتاباً عن مبادئ الحزب، وطلب منا أن نقرأه. وبالفعل، قرأنا المبادئ وحفظناها، وأخذنا بعد أسبوع إلى منزل الرفيق صبحي فرحات في باب توما. طرق ألبير الباب، فسمعنا صوتاً من الداخل يقول «أدخل»، فدخلنا وكان في الداخل الزعيم والعقيد أديب الشيشكلي

(1) لم يكن من المسموح لأحد مقابلة الزعيم من دون إذن مسبق إلا عميد الدفاع الأمين عبد الله محسن والرفيق ألبير جزدان رئيس شبكة الإستعلامات.

والعميد أمير شلاش، فرفع الزعيم يده وقال لألبير جزدان: «ربع ساعة فقط حتى أنهي هذا الاجتماع»، فخرجنا من الغرفة. بعد ربع ساعة غادر الضابطان أديب الشيشكلي وأمير شلاش وهما من خيرة ضباط الجيش الشامي، فدخلنا نحن وقال ألبير للزعيم: «إن الشباب يريدون الإنتماء إلى الحزب»، فسألنا الزعيم: «هل اطلعتم على المبادئ واقتنعتم وآمنتم بها؟» فأجابه رامز ابن عمي: «نعم. أنا اطلعت». أما أنا على الرغم من أنني قرأت المبادئ، وحفظتها فقلت للزعيم: «لم اطلع على المبادئ» وذلك بسبب خوفي من أن يسألني أي سؤال فأجد نفسي محرجاً في الإجابة، فقال لي: «إذن عليك أن تطّلع وبعد أن تقتنع بها تعود فتقسم اليمين»، خرجت من الغرفة فأقسم رامز اليمين، وعدت أنا وأقسمت بعد ذلك بأسبوع على يد ألبير جزدان ورامز ابن عمي وبحضور الزعيم، وكان ذلك في الأول من شهر آذار من العام 1948.

وهذا نص القسم

"أنا... أقسم بشرفي وحقيقتي ومعتقدي على أنّي أنتمي إلى الحزب السوري القومي الإجتماعي بكل إخلاص وكل عزيمة صادقة، وأن أتّخذ مبادئه القومية الإجتماعية إيماناً لي ولعائلتي وشعاراً لبيتي، وأن أحتفظ بأسراره، فلا أبوح بها لا بالقول ولا بالكتابة ولا بالرسم ولا بالحفر ولا بأيّ طريقة أو وسيلة أخرى، لا تطوّعاً ولا تحت أي نوع من أنواع الضغط. وأن أحفظ قوانينه ونظاماته وأخضع لها، وأن أحترم قراراته وأطيعها وأن أنفّذ جميع ما يُعهد به إليّ بكل أمانة ودقّة. وأن أسهر على مصلحته وأؤيّد زعيمه وسلطته، وأن لا أخون الحزب ولا أيّ فرع من فروعه ولا أفراده ولا واحداً منهم، وأن أقدّم كل مساعدة أتمكّن منها إلى أيّ عضوٍ عاملٍ من أعضاء الحزب متى كان محتاجاً إليها، وأن أفعل واجباتي نحو الحزب بالضبط، على كلّ هذا أقسم أنا...».

في أوائل العام 1948، أسّس الرفيق ألبير جزدان شبكة استعلامات تابعةً لحضرة الزعيم أنطون سعاده مباشرة، وكان هو همزة الوصل بين الشبكة وبين الزعيم، حيث كان يتصل بأعضاء الشبكة ويأخذ المعلومات منهم ويسلّمها إلى الزعيم في أكثر الأحيان.

وتقول الصادرة رقم 8 الموجّهة من الرفيق ألبير جزدان إلى حضرة الزعيم المفدّى: بعد بذل جهود مستمرة، توصّلت إلى استحداث (شبكة استعلامات) في سلك الشام مؤلّفة من القوميين العسكريين والمدنيين الموظفين في الدوائر والمصالح العسكرية. ومهمة هؤلاء الرفقاء الحصول على كل ما يقع تحت أيديهم من أوامر سرية وأوراق ذات أهمية تصدر عن القيادة العامة للجيش ووزارة الدفاع في الشام ونقل كل ما يمكن من المعلومات السياسية والحزبية.

إن هذه الشبكة ستصبح جريدة أو فصيلاً عندما يزداد عدد أفرادها، وقد أعطي أفرادها أرقاماً متسلسلة خاصة، مع إضافة حرف س على كل رقم، مثلاً 1/س والمقصود بحرف س (سرّي) وهذه الشبكة منفصلة عن بقية الجرائد ولا يسمح لأحد أفرادها أن يحضر أيّ اجتماع حزبي، كما أن أفرادها لا يعرف أحدهم الآخر وكل منهم يجتمع بي على حدة ويقوم بالمهمة التي أعيّنها له بحسب نوع اختصاصه.

وإنّ هذه الشبكة مؤلّفة من:

1 ـ الرفيق بهجت سويدان: رئيس قلم المكتب الثالث في القيادة العامة للجيش: نائب.

2 ـ الرفيق إحسان الخوري فرح: معاون رئيس قلم مديرية التموين في شؤون الدفاع: نائب أول.

3 ـ الرفيق متّى أسعد: عامل لاسلكي في غرفة البرقيات بالقيادة العامة للجيش: جندي.

نصّ الصادرة رقم (8) كما وردت في جريدة «كل شيء»

4 ـ الرفيق عبد الله قبرصلي: موظف سرّي في مكتب أخبار الجيش الشامي: مدني.

ولتحيَ سورية وليحيَ سعاده.

بعد ذلك وعندما أبلِغت أنني أصبحت عضواً في شبكة الاستعلامات ويتوجب عليّ نقل المعلومات إلى الزعيم، من مركز الأركان العامة، صرت أبحث في سجلات البرقيات القديمة والجديدة، وأنقل كل المعلومات التي كنت أحصل عليها.

أذكر أنه، في بدء تأليف الشبكة، طلب حضرة الزعيم أن أذهب لمقابلته، وفي ذلك اليوم كنت مناوباً في الأركان العامة ولم أتمكّن من الذهاب، فذهبت في اليوم التالي، فاستقبلني الزعيم بكل ترحاب وقال لي: «كان موعدك البارحة مع الزعيم، لماذا تأخرت؟»، قلت: «كنت مناوباً في الأركان العامة، ولم أتمكّن من الحضور»، فتدخل ألبير جزدان وقال: «ألا يستحق شمطة أذن يا حضرة الزعيم؟» فسأله الزعيم: «لماذا؟»، فقال ألبير: «لأنه تأخر عن الموعد». فقال له الزعيم: «ألا تسمع ما قال: كان لديه واجب»، فقال ألبير: «إذا كان واجب، شو الواجب يتقدم على مقابلة الزعيم»، فعبس الزعيم وقال: «ألبير، لا تقل هذا وقصة شمطة الأذن إرمِها من فمك، الواجب الذي يقول عنه الرفيق متّى واجب قبل الزعيم»، وشكرني الزعيم على عدم حضوري في الموعد المحدد وأعطاني التعليمات بالحرص والإنتباه وألا يعرف أحد من الرفقاء أياً كان شيئاً عن خصوصية هذه المهمة، وبشكل خاص أن لا يحاول أحدنا التعرّف إلى الآخر. وأن تكون المعلومات التي أُرسلها إلى حضرة الزعيم في غلاف مختوم حرصاً على السرّية التامة.

في ذلك الوقت كانت الصداقة قد توطدت بيني وبين الملازم زهير غزال ضابط الشيفرة. وقد أصبحت هذه الصداقة متينة بعد مراحل عديدة مررنا بها، كان أهمها بعد أيام قليلة من انقلاب حسني الزعيم، حيث وصلت برقية على اللاسلكي تتضمّن نصّ التعميم التالي: «يُرفّع إلى رتبة أعلى كل ضابط أمضى في رتبته الحالية أكثر من تسعة أشهر». فهمت التعميم، فأخذت البرقية ووضعتها في جيبي، ولم أبلغها لأحد، بل ذهبت إلى الملازم زهير غزال وقلت له: «ملازم زهير»، قال: «نعم»، قلت: «كم مضى عليك وأنت

ملازم؟»، قال لي: «نحو 10 أو 11 شهراً»، فقلت: «أكيد»... قال: «نعم». قلت: «يا ملازم زهير، برضاي عليك سأرفّعك إلى رتبة ملازم أول»، وكنت قبل أن أذهب قد اشتريت رتبة ملازم أول ووضعتها في جيبي مع البرقية، فعلّقتها له على كتفَي الجاكيت التي كانت معلّقة على الحائط، وقلت: «أرفّعك من عندي إلى رتبة ملازم أول». قال: «حاج تجنّ رح تبهدلني»... وبدأ ينرفز ويعصّب.. حتى سحبت له البرقية وقلت له: «إقرأ».

ولمّا قرأ البرقية، سُرّ كثيراً وراح يقبّلني ويغمرني... وقال لي: «لا تبلغ البرقية لأحد». سألته: «لماذا؟» قال: «أنا أريد أن أبلغها إلى زملائي وأضحك عليهم»... وبدأ يتصل بهم ويقول: «أنا الملازم أول زهير غزال من الأركان العامة، من مكتب الشيفرة، والذي اقترح اسمه يرفع إلى رتبة ملازم أول، وقد اقترحت اسمك وسوف تصبح ملازماً أول خلال بضع ساعات».

وبعد ذلك راح ألبير جزدان يعمل على توسيع هذه الشبكة السرّية الإستخباراتية المذكورة فتعرف إلى الرقيب إبراهيم طيبا[1]، وأدخله الحزب وطلب منه أن يعطيه معلومات فوعده بذلك، غير أن العضو الجديد في الحزب كان تابعاً للشعبة الثانية. أخبرهم ماذا فعل وطلبوا منه أن يستمر بإعطاء الرفيق ألبير جزدان المعلومات، فطلبه إلى الأركان وسلّمه معلومات جديدة، وهناك على باب الأركان تمّ إلقاء القبض على الرفيق ألبير من قبل الشرطة العسكرية ووجدت المعلومات المعطاة إليه من الواشي ووجدت أيضاً أسماء كل العسكريين القوميين في دمشق. وهكذا تمّ اعتقالنا جميعاً في 10 كانون الثاني ولغاية 20 شباط من العام 1949 وكان عددنا يزيد عن الأربعين رفيقاً،

(1) إبراهيم طيبا هو الشخص ذاته الذي وشى بأنه رأى الوكيل بديع مخلوف في الملعب البلدي عند اغتيال المالكي (راجع سلسلة «من ولماذا»، لماذا قتل يونس عبد الرحيم؟ ـ ص 7، 8 التي كتبها الرئيس السابق للحزب جورج عبد المسيح تحت اسم «خضر» المستعار).

أذكر منهم إلياس معطي وشقيقه إبراهيم، برهان الدين السباعي، بهجت سويدان، عمر ناجي، شحادة الجمل، عبد الله الجمل وإحسان فرح.

وبعد توقيفنا في سجن المزّة لمدة شهر، تعرّضنا خلاله للتعذيب، تمّت إحالتنا إلى الشرطة العسكرية في البرامكة، وكان المقدّم محمد الرافعي من يتولّى التحقيق بصفته مدّعياً عاماً. وكان محمد الرافعي منتمياً إلى الحزب، ومفصولاً في تلك المرحلة، مع نعمة ثابت[1]. وقد رفع إلى حضرة الزعيم رسالة اعتذار واسترحام للعودة إلى صفوف الحزب.

وكما علمنا لاحقاً، أن حضرة الزعيم تدخّل لإنقاذنا، واتصل بالرافعي قائلاً له: «أمامي رسالة الإعتذار والإسترحام، وأمامك رفقاؤك».

وحين وصلنا إلى التحقيق، أصرّ الرفيق برهان الدين السباعي على أن يكون أوّل الداخلين، وعند المواجهة مع محمد الرافعي سأله: «هل أنت قومي يا برهان؟»، أجاب: «نعم وبكل فخر»، السؤال الثاني: «من تعرف من القوميين؟» قال: «أعرف برهان الدين السباعي (وكان يقصد نفسه) وأعرف أيضاً محمد الرافعي». هنا ضحك المقدم الرافعي وقال له: «أترك هذا الاسم وأعطِني غيره»، قال برهان: «لا أعرف غيره». وهكذا انتهى التحقيق مع برهان، فجاء إلينا وطلب منا إنكار انتمائنا. وفي نهاية التحقيق صدر قرار بإخلاء سبيلنا جميعاً في 20 شباط 1949 (منع محاكمة، وإحالة الدعوى إلى الحفظ)، ما عدا ألبير جزدان الذي حُكِمَ عليه بسبع سنوات خُفِّضَت إلى سنتين.

غبتُ عن الأركان أربعين يوماً، وعدت بعد خروجي من السجن، فسألني الملازم أول زهير غزال: «أين كنت طوال هذه المدّة؟» قلت: «سجن

(1) فور عودة حضرة الزعيم أنطون سعاده إلى الوطن في 2 آذار 1947، خاض معركة إعادة الحزب إلى مساره القومي الإجتماعي في مواجهة بعض أعضاء إدارته العليا. وعندما لم تفلح المعالجات الهادئة لعملية الإنحراف العقائدي، أصدر مرسوماً بطرد رموز الإنحراف، وعلى رأسهم نعمة ثابت ومأمون أياس ثم فايز الصايغ لاحقاً.

المزّة»، قال: «ماذا كنت تفعل هناك، شو عامل؟» قلت له: «لأنني دخلت في حزب»، فسأل: «أيّ حزب!» قلت: «الحزب السوري القومي»، فقال: «أيّ حزب هذا؟». فشرحت له قليلاً، فطلب مني أن أحضر له كتباً ليقرأ أكثر عن الحزب، فأخذت له المبادئ وغيرها من الكتب الحزبية فأعجب واقتنع بما قرأ فطلب مني أن أصله ببعض المسؤولين فوصلته بالأمين أديب عازار الذي كان يسكن في بوابة الصالحية قرب الأركان العامة. بعد مدّة سألت الأمين أديب عازار «أين أصبحتم مع زهير غزال؟»، قال: «إنتهينا وأقسم اليمين، ولكن يريد أن يبقى الأمر سرياً». فوعدته بذلك.

المؤامرة على فلسطين

كان الزعيم أنطون سعاده يشعر بشيء خفيّ يحدث وراء الكواليس، وخاصة في ما يتعلق بالأعمال العسكرية على أرض فلسطين. وأتت حادثة المقدم فؤاد مردم بك[1]، الذي كلّف بشراء ثمانين ألف بندقية مع مؤونتها من تشيكوسلوفاكيا ونقلها إلى سورية، قبل أن تعلن دولة إسرائيل، إلا أن الباخرتين اللتين كانتا تنقلان هذه الشحنة اختفتا في عرض البحر ثم ظهرت إحداهما بعد أيام حين وصلت إلى «تل أبيب» ولم يعد بالإمكان إخفاء هذه الفضائح فحوكم فؤاد مردم بك عسكرياً وحكم عليه بالإعدام، ولكن الحكم لم ينفذ لأنَّ حسني الزعيم طوى القضية كلياً بعد قيامه بالإنقلاب على شكري القوتلي. وكان الزعيم سعاده يكثف اللقاءات مع شبكة الإستعلامات التابعة له مباشرة، وأنا منهم بحكم موقعي كرئيس مكتب الإشارة في الأركان العامة للجيش السوري الذي كان يخولني الإطّلاع على كل مجريات الأحداث

---

(1) المقدّم فؤاد مردم بك ابن أخ رئيس الحكومة جميل مردم بك. وفي محضر تحقيق مع الأول في 5/10/1948 أثناء سجنه في السجن العسكري في المزة حصل عليه الباحث الفلسطيني سلمان أبو ستة ونشر عنه في وجهات نظر، القاهرة، في عددها الخامس في 30/6/1999، ص 48، اعتراف فؤاد مردم بك بعلاقته بالجاسوسة اليهودية، وذُكر في مصدر آخر أنها تشيكوسلوفاكية وتدعى بلماس، ما سبّب إغراق سفينة الأسلحة الأولى وسيطرة اليهود على السفينة الثانية.

وذلك لأن المراسلات كافة والتي كانت تحدث بين مقر وزارة الدفاع وقيادة جيش الانقاذ، تمر كلها عبر هذا المكتب.

وكان القائد البطل فوزي القاوقجي قد شكل جيش الانقاذ في تاريخ 1/ 1/ 1948 والذي ضمّ متطوعين بينهم خيرة ضباط الجيوش السورية واللبنانية والأردنية والعراقية، لمقاتلة العصابات اليهودية من الهاغاناه والشتيرن والأرجون، التي دخلت الكيان الفلسطيني قبل انسحاب القوات الإنجليزية في 15 أيار من العام 1948. وكان تسليح هذا الجيش على عاتق وزارة الدفاع السورية وفي كل أسبوع كان حضرة الزعيم يستدعيني لمقابلته في منزل الرفيق صبحي فرحات في باب توما، ويعطيني توجيهاته التي تتعلق بكيفية العمل لجمع أكبر كمّ من المعلومات عما يحدث في فلسطين لإنقاذها من براثن تجار الأوطان، وكنت بدوري أعود إلى مكتب الإشارة في الأركان العامة، وأبحث عن البرقيات المتعلقة بفلسطين من سجل المعلومات السرّي جداً، وأقوم بنقلها له، ومنها كل البرقيات المتبادلة بين قائد جيش الانقاذ فوزي القاوقجي ووزير الدفاع أحمد الشرباتي[1].

كان نصّ البرقية الأولى من فوزي القاوقجي إلى وزير الدفاع السوري أحمد الشرباتي: «نفدت ذخيرتنا. خسرنا عدداً من القرى... نتراجع ونقاتل بالسلاح الأبيض من شارع إلى شارع، ونرجو إمدادنا بالذخيرة»، فيكون الجواب من وزير الدفاع أحمد الشرباتي: «لا ذخيرة، تراجعوا من دون مقاومة»، وقد كرر القاوقجي هذا الطلب بإلحاح عدة مرات وتعهد بإستعادة كل القرى والمدن التي خسروها في حال جاءتهم الذخيرة، فيكون الجواب

(1) كان للشرباتي علاقات مشبوهة مع اليهود، وكان شريكه في التجارة يهودياً من آل طوطح، وفق ما ورد في بحث للدكتور عزو محمد عبد القادر ناجي ـ الحوار المتمدن في 2/ 4/ 2008، وكان متزوجاً من يهودية تدعى ليندا طوطح.

«لا ذخيرة، تراجعوا من دون مقاومة وتقيّدوا بأوامر الجنرال كلوب باشا»[1]. علماً أنّ المخازن في دمشق كانت مليئة بالذخيرة وكانت البرقية الأخيرة من القاوقجي إلى وزير الدفاع السوري تنصّ «إعتباراً من هذا اليوم، أعتبر نفسي غير مسؤول عن قيادة جيش الإنقاذ[2]»، وعاد مقاتلو هذا الجيش إلى وحداتهم النظامية في بلادهم. وهكذا انتهى هذا الجيش المقدام.

وعندما أصبحت هذه المعلومات عند الزعيم سعاده، وضع يده على جبينه، وهمس: «هذه خيانة عظمى!!».

(1) الجنرال كلوب باشا: قائد الجيش الأردني، إنكليزي الجنسية.

(2) كان جيش الإنقاذ يضمّ خيرة ضباط الجيش الشامي أذكر منهم: المقدم غسان جديد، العقيد أديب الشيشكلي، ضابط قومي آخر من آل البنا والشهيد الملازم أول الرفيق فتحي الأتاسي.

لا سلاحَ لحزب سعاده

قبل أن تغدر السياسة بالزعيم القائد، غدرت بفلسطين الوطن. والمطّلعون على المقدّمات التي أدّت إلى نكبة العام 1948، نكبة تقسيم فلسطين وإقامة الدولة اليهودية، يعرفون أن الألاعيب السياسية والمناورات والمصالح والإرتباطات كان لها الدور الأساسي في كل ما حدث. تلك الألاعيب وتلك الإرتباطات ـ هي قبل غيرها ـ ما أملى الموقف أن لا سلاح للقوميين، بل كانت العبارة الوقحة التي قيلت: لا سلاحَ لحزب أنطون سعاده.

لماذا لا سلاح لحزب أنطون سعاده؟.. لأن سعاده رأى أن سياستهم ستقودنا إلى الكارثة، ولأنه قال: «نعم، إن الدول العربية سوف تتدخل، ولكن لتقتسم في ما بينها ما يتبقّى من فلسطين بعد أن يأخذ اليهود حصّتهم»، ولأنه حذّر من مغبة الفوضى ومن نتائج النزاع السياسي الواضح لكل ذي بصيرة بين الملك عبد الله الهاشمي والملك فاروق في مصر. وكان يرى ارتباط تلك المحاور بهذه العاصمة الغربية أو بتلك. هل استكان الحزب وخضع أو انزوى بعيداً عن المعركة؟ طبعاً لا، خاضها ضمن إمكانياته التي تنبع من الوعي وتتجلّى في بطولة تؤيّدها صحة العقيدة، وضمن الظروف المتاحة وسط الكثير من الفوضى.

ومن الأعمال البطولية التي خاضها الحزب في فلسطين، أن منفذ عام حيفا كميل جدع ناقش جواب وتوجيهات الزعيم التي نقلت شفهياً مع ناظر

التدريب محمد شلبي، الذي كان آنذاك يشغل وظيفة رئيسية في سكك حديد فلسطين، وتمّ رسم خطة لتدمير مبنى المطاحن الكبرى، الذي يقع في قلب المنطقة العربية من مدينة حيفا ويتمركز فيه عدد كبير من القنّاصة اليهود، يراقبون منه تحركات السكان لمسافات بعيدة، لأن المبنى يطلّ على عدد من أحياء المدينة.

حاول المناضلون مهاجمة مبنى المطاحن الكبرى أكثر من مرة دون جدوى، فالقنّاصة اليهود يراقبون كلّ تحرك في كل الشوارع والطرقات المؤدّية إليه، من شارع الناصرة إلى وادي الصليب، ومن شارع الملوك إلى طريق شركة «شل» في الشمال. سقط عشرات الشهداء الأبرياء ضحية تنقلاتهم في الشوارع والطرقات وفي أزقّة مكشوفة لقنّاصة ذلك المبنى، بالإضافة إلى قنّاصة «المنجرة» اليهودية وسط شارع الناصرة، وكانت الخطة تقضي بنسفه بأكمله.

كان هناك خطّ فرعي لسكة الحديد يصل إلى داخل مبنى المطاحن الكبرى، يستخدم لإدخال عربات القطار المحمّلة بالقمح إلى رصيف عند حافة المستودعات. وكانت الخطة تقضي بإدخال عربة قطار ـ لشحن أو لنقل الوقود ـ بعد تلغيمها بالمتفجرات وإيصالها إلى رصيف المبنى. وبعد عدد من المناورات أجرتها القاطرة التي تَقَرّر أن يقودها الموظف في سكة الحديد، كسائق قاطرة، القومي الإجتماعي «أحمد» المعروف تحبّباً باسم «حمدوش»، تمّ تنفيذ الخطة حرفياً وبأعلى قدر من الدقّة والنجاح، ونُسِفَ المبنى الذي كان يعيق حركة السكان، والفضل في نجاح العملية من الناحية التنفيذية يعود إلى القوميين الإجتماعيين: محمد شلبي ـ حمدوش ـ جميل عطية ـ عثمان دكناش وعدد من الموظفين غير الأعضاء في الحزب.

وفي منفذيّة عكّا، إتخذ العراك طرقاً مختلفة، حيث كان القوميون، منفردين أو ضمن مجموعات أخرى من المواطنين، يتعرّضون للقوافل

اليهودية التي كانت تعبر الطريق الرئيسي بين حيفا جنوباً ونهاريّا شمالاً. وفي القدس لم يختلف الأمر إلا من حيث عدد ونوعية العمليات العسكرية التي يقوم بها قوميون إجتماعيون حرِموا من السلاح العام ولم يبقَ أمامهم إلا الإعتماد على أنفسهم وعلى جيوبهم وما يستطيعون «تدبيره» من سلاح بسيط. ثمة الكثير من التفاصيل حول هذه العمليات تضمنتها تقارير المنفذيات والمديريات في سورية الجنوبية[1] والمرفوعة إلى مركز الحزب.

تاريخ فلسطين يذكر بفخر واعتزاز، ويتذكّر القوميون الإجتماعيون الواعون ويحفظون عن ظهر قلب، سيرة نضال العشرات من الشهداء إلى جانب القائد القومي سعيد العاص الذي ترك بلدته حماه في الشام ليستشهد فوق تراب فلسطين إيماناً منه أن فلسطين هي سورية الجنوبية.

وقد ردّ الزعيم أنطون سعاده على اتهامات الرجعيين والنفعيين للحركة القومية الإجتماعية، وقارنها بالأساليب التي استعملها الإحتلال الأجنبي في محاربة البعث القومي في البلاد السورية كلّها، عندما كان يُنسب للحركة القومية إتصالها تارةً بالطليان وتارةً بالألمان.

وقد أعلنت بعض الصحف أنّ الحكومة لم تجد في أوراق الحزب ما يثبت بأنه كان يهيّئ لانقلاب ما أو للتآمر على الجيش في لبنان.

وتحدّى الحكومة بعد اتهامه بالإتصال باليهود أن تبرز أية وثيقة تثبت ذلك، معلناً أن في خزائن الحزب وثائق كثيرة تؤكّد تعاون المتحكّمين بالشعب مع اليهود[2].

---

(1) المقصود بسورية الجنوبية منطقة فلسطين. وسورية الجنوبية كانت تشمل أواخر أيام السلطنة العثمانية خطاً يبدأ بعكا حتى بحيرة طبريا وينزل مع مجرى نهر الأردن حتى العقبة وشبه جزيرة سيناء حتى برزخ السويس.

(2) راجع كتاب «مراحل المسألة الفلسطينية»، الزعيم يرد على تهم الرجعيين الموجّهة للحزب.

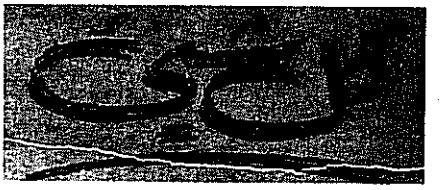

ردّ انطون سعاده على تهمة اتصاله باليهود !!

انني لم أقل ..

وكما كتبت الصحف في الاسبوع الماضي الحديث الذي نشرته الزميلة السورية « العلم » للاستاذ انطون سعادة ، شاء بعضها ان يجد في عبارة من عبارات الحديث شبهة اعتراف من زعيم الحزب القومي الاجتماعي باتصاله باليهود . وقد نشرت الزميلة « العلم » في عددها الصادر بتاريخ ٢٧ حزيران حديثا ثانيا للاستاذ سعادة يظهر فيه سوء تاويل حديثه الاول . والى القراء ايضاح زعيم الحزب القومي كما ورد في الجريدة السورية :

الاتصال باليهود لنفسها ولا شك. ولاثق مشرفة للحزب ومخربة للمتحكمين في رقاب الشعب اللبناني والطائفيين الذين نملك ولائق عديدة عن اتصالاتهم واتصالات جميع الرجعيين والخونة باليهود » .

وقد قال هنا البعض ان عبارتكم في الحديث الماضي هي نفسها تشكل مستندا تهمة توجه اليكم وحدكم .

ج — هذه ملاحظة جيدة . فالمتحكمون قد ابتدأوا يتراجعون بعد هجومهم الشرس العنيف وهم يتخبطون في تراجعهم كما تخبطوا في هجومهم ، انهم ابتدأوا يعترفون بافلاسهم على الحزب القومي الاجتماعي الذي يريد انقاذ البلاد ، انهم يتجاهلون الحقيقة الناصعة ويحاولون ان يجدوا في تراكيب الكلام ما يساعدهم لتاويله الباطل على التعويض عن تخبطهم في مهاجمتهم الواقع .

المفهوم المباشر لعباراتي

ان عباراتي واضحة في مؤداها ولا تحتمل عند اهل الحق اي تاويل في مدلولها البسيط ، فالمفهوم الوحيد المباشر لعباراتي هو انه اذا كانت الحكومة قد استولت على شيء من الولائق التي في حوزة الحزب في صدد الاتصال باليهود فان تلك الولائق التي استولت عليها استخبارات الحزب القومي الاجتماعي وتتعلق بعلاقة غيرنا باليهود ووجود هذه الولائق عندنا امر يزيد قيمة الحزب التي تقوم بها على امتداد الامة والوطن الداخليين والخارجيين الذين اشرت اليهم اكرارا في خطابانسي الاخيرة .

فالمفروض لم يروا في عباراتي الا جملة « فاذا كانت لدى الحكومة ولائق في صدد الاتصال باليهود فانها ولا شك ولائق مشرفة للحزب » واغفلوا الطرف من الذين تخذيهم الولائق لانها تتعلق باعمالهم هم المنافية مع اليهود .

انني لم أقل .. اذا كانت لدى الحكومة ولائق في صدد اتصالنا نحن باليهود بل قلت في صدد الاتصال باليهود من اية جهة كانت ثم عينت في تتمة عباراتي الجهات التي يحول الحزب القومي الاجتماعي على ولائق عن صلاتها باليهود ولكن اهل الباطل لا يميزون بين اخلاق وتمييز وكثيرا ما يجعلون المخصص معمما والمعمم مخصصا لانهم لا يرجعون الى حقيقة بل الى غاياتهم الخصوصية الدنيئة ويكفيهم ان تلافى انهاماتهم الباطلة قبولا عند اهل الباطل.

اذا كان بتاويل الكلام ساء التهمم بدون اي فعل او واقع تتعلق به فيجب حينئذ زج كل الناس في السجون واول من يجب وضعهم في السجن بسبب عباراتهم التي تثبت على الاقل دعاواهم لليهود هو صاحب الجريدة المجتهدة في صناعة التاويل

— البقية على الصفحة الرابعة

سعاده لا يكتفي بنكران تهمة التعامل، بل ويعلن انه يملك وثائق كافية لإدانة متّهميه بالجرم

إنقلاب حسني الزعيم

حسني الزعيم

كيف استلم حسني الزعيم الحكم وكيف حصل الإنقلاب؟

كان حسني الزعيم ضابطاً برتبة كولونيل مسرّحاً من الجيش الفرنسي لسوء أخلاقه[1]، يقطن في غرفة إلى جانب مقرّ الأركان العامة في بوابة الصالحية، لا عمل له سوى دعوة كل من يمرّ أمام غرفته لتناول القهوة أو الشاي معه.

في بداية سنة 1949، كان رئيس مجلس الوزراء فارس الخوري مستقيلاً، وكان حينها رئيس الأركان العامة الكولونيل عبد اللّه عطفه قد تجاوز السبعين من العمر وأُحيل إلى التقاعد. لذا، سعت الفعاليات النافذة في دمشق إلى تعيين ضابط من مدينتهم، ووقع الخيار على حسني الزعيم

(1) كانت المحكمة العسكرية الفرنسية قد حكمت على حسني الزعيم بالسجن لمدة عشر سنوات في العام 1942، وذلك لثبوت اختلاسه 3000 ليرة سورية من حكومة فيشي لمحاربة الحلفاء. وأخلى سبيله الرئيس شكري القوتلي بعد جلاء القوات الفرنسية.

ليكون رئيساً للأركان، خاصة بعد التدخلات الأجنبية سيما الأميركية منها، التي سعت سابقاً إلى إعادته للجيش بعد تسريحه.

أُعيد حسني الزعيم إلى الجيش وعُيّن رئيساً للأركان، وكان معلوماً لدينا أن تعيينه جاء بسبب ضعفه، ذلك أن رئيس الجمهورية شكري القوتلي عمد إلى إبعاد الضباط الأقوياء عن الأركان العامة للجيش كي يضمن عدم قيامهم أو قيام أحدهم بانقلاب عليه. وهنا بدأت المشاحنات في مجلس النواب لتعيين رئيس مجلس وزراء خلفاً لفارس الخوري. إختلف النواب أثناء البحث، وبدأ الضرب في المجلس بالكراسي والأحذية وحصلت مشكلة كبيرة، ولم تتدخل الشرطة لحلّها لأن الشرطي يخاف أن يتطاول على النائب، كَونه هو الذي يستطيع تسريحه أو تعيينه. بعد هذه المشكلة، إنفضّت الجلسة وغادر النواب، ولكن اتفق بعض العقلاء منهم على أن يتولى الجيش وضباطه من رتبة مقدم وما فوق حراسة مقر البرلمان أثناء انعقاد الجلسات.

إتصل هؤلاء النواب برئيس الأركان العامة حسني الزعيم، ولم يكن الجيش السوري يضمّ في ذلك الوقت أكثر من عشرين مقدّماً، فاستجاب حسني الزعيم لطلب النواب وجمع نحو عشرين مقدّماً أرسلهم يوم الجلسة في 17 آذار 1949 لحراسة البرلمان وتوفير أمن الجلسة. هناك دخل نائب مدينة دمشق فيصل العسلي[1]، وكان يومها رئيس كتلة نيابية، شاباً طويل القامة وذا شخصية قوية، ولدى دخوله إلى المجلس تلفّت من حوله فوجد أن الضباط هم من يتولّى الحراسة، ورأى حسني الزعيم في القاعة فذهب إليه وسأله: «من الذي أتى بهؤلاء الأوباش إلى هنا؟»، فسأله حسني الزعيم: «من تعني بالأوباش؟»، فقال له: «أنت وضباطك، اخرجوا من هنا، اطلعوا برّا».

(1) أبدى الشعب السوري استهزاء كبيراً بقيادة الجيش بسبب استشراء الفساد في تموينه وخصوصاً فضيحة السمنة الفاسدة. فما كان من النائب فيصل العسلي إلا أن ندّد بحسني الزعيم وتولى قيادة كتلة برلمانية دعت لعدم زيادة ميزانية الجيش.

فأعطى حسني الزعيم أمراً للضباط بالإنسحاب من البرلمان على أن يلتحق كل ضابط منهم بوحدته، وذهب هو إلى الأركان العامة، ودخل إلى مكتبه. وبعد قليل دخل عليه نائبه العقيد بهيج كلاس، وكان ضابطاً قوياً ومحترماً، رآه يبكي ويكتب استقالته، سأله: «ماذا تفعل يا مجنون؟ الله يخرب بيتك، أنت مجنون، نحن القوة، نحن السلاح، نحن المدرّعات والمدفعية والدبابات، نحن الحكام وليس فيصل العسلي». سأله حسني الزعيم: «ما العمل برأيك؟» فقال له: «أرسل لي بطلب 10 أو 15 ضابطاً من ضباط الأركان لتكليفهم بمهمات خطيرة[1]». هنا وافق حسني الزعيم على الخطة، ثم طلب من السكرتيريا في الأركان كتابة رسائل لهؤلاء الضباط ووضعها في مغلفات مختومة مكتوب عليها «تفتح عند الساعة 12 ليلاً تحت طائلة المسؤولية».

وقد تضمّنت هذه الرسائل تعليمات محددةً إلى كل ضابط، كان على أحدهم أن يتولى اعتقال رئيس الجمهورية، وعلى آخر اعتقال الوزير الفلاني أو النائب الفلاني. في 20 آذار عقد أول اجتماع سرّي للضباط، وفي 29 آذار من العام 1949 عقد الإجتماع الثاني الذي حدّدت فيه ساعة الصفر.

بالفعل، فتحت المغلفات عند الساعة 12 ليلاً، وعرف كل ضابط ما هي مهمته مع العسكريين الذين بإمرته، ولم تمضِ ساعة إلا وكانت كل هذه المهمات منفذة وأصبح جميع المسؤولين الأساسيين في الدولة نزلاء في السجن.

في ليل 29 ـ 30 آذار، كان مقرّ الأركان يعج بالعسكريين والضباط وفي الخارج بالمدرعات والآليات والدبابات!

تلك الليلة، كنت سهراناً في أحد مطاعم شارع القصّاع، وأثناء عودتي في الواحدة بعد منتصف الليل دخلت إلى الأركان فذهلتُ من زحمة الآليات

(1) هذا الحديث أفضى لي به العقيد بهيج كلاس بعد خروجه من مكتب رئيس الأركان وصعوده لعندي إلى مكتب اللاسلكي (المورس) ليبعث بعض الرسائل.

العسكرية والوجود الكثيف للجنود، صعدت إلى الطابق الرابع فوجدت أمامي المقدم أكرم عكر آمر سلاح الإشارة يقف أمام مكتب رئيس الأركان، حيّيته وقلت له: «شو سيدي أنت هنا». فقال لي: «أين كنت؟» فقلت له: «في شارع القصّاع»، ـ كان التعب والنعاس باديين عليّ ـ فضحك وقال لي: «روح نام»، سألته «ماذا هناك؟» فقال: «لا شيء روح نام». وفعلاً دخلت إلى مكتبي ونمت في سريري. بعد نحو ساعتين شعرت بأن أحداً ينكزني ليوقظني، فتحت عيني وإذ بحسني الزعيم يقف أمامي ومعه العقيد بهيج كلاس والمقدّم أكرم عكر والنقيب عبد المسيح داغوم وعدد من الضباط الكبار... فارتبكت واعتقدت أنهم اكتشفوا أنني أخذت أسراراً من مكتب الشيفرة وأعطيتها للزعيم سعاده، لأنني كنت معيناً عضواً في شبكة الإستعلامات التابعة مباشرة للزعيم سعاده.

قال لي حسني الزعيم: «على مهلك يا بنيّ، ألبسْ ثيابك على مهلك، والحقْ بي إلى مركز اللاسلكي (المورس)»، حيث أعطاني ورقة وقال لي: «إقرأها»، فقلت: «قرأتها»، قال: «إقرأها لي بصوتٍ عالٍ»، فقرأت: «تعميم: إستلم الجيش الحكم إعتباراً من الساعة صفر من هذه الليلة 30/ 3/ 1949، أنزلوا قطعاتكم إلى المدينة، اقمعوا كل فوضى تجري بالنار. التوقيع: القائد العام للجيش والقوات المسلّحة الزعيم حسني الزعيم».

ثم سألني: «متى يحين موعد أول اتصال لديك؟»، فقلت: «عند الرابعة والنصف فجراً»، ورأيت بهيج كلاس ينظر إلى لائحة الإتصالات المعلّقة على الحائط، فقال: «جيد، أدخل إلى غرفة اللاسلكي»، دخلنا وفتحت الجهاز فجلس حسني الزعيم إلى يميني وبهيج كلاس إلى يساري وبدأت أوجّه النداءات، وقلت في نفسي سأوهمهم أنني أرسلتها ولكني سأرسلها الساعة السابعة صباحاً[1]. غير أنه قال لي: «سنبقى إلى جانبك حتى ترسلها»، فبدأت

(1) وسبق أني كنت قد ألغيت موعد الرابعة والنصف فجراً وجعلته الساعة السابعة صباحاً.

أوجّه النداءات ولم أنتبه إلى أن الضباط الذين نفّذوا الإنقلاب قطعوا خطوط الهاتف بين العاصمة والمحافظات، لذلك عندما وجهت النداءات، وجدت من يتجاوب معي، لأنه بعد انقطاع خطوط الهاتف كانت كل مراكز اللاسلكي (المورس) تعمل في المحافظات كافّة، فقلت لهم: «برقية عاجلة جداً». وبدأت أرسل البرقية وبعدما أخذوها طلب مني مركز حلب إعادة البرقية وإعطاءه هوية المركز، فأعدت البرقية وأعطيتهم هوية المركز، فسألني حسني الزعيم عن الأمر فشرحت له وقال: «حسناً».

ولكنهم كانوا يتصبّبون عرقاً وكأنهم خائفون من شيء ما.

بعدما انتهيت من إرسال البرقية إلى كل المراكز، قلت لحسني الزعيم: «هل أنهي الإتصال بالمحطات اللاسلكية؟» فوضع بهيج كلاس يده على كتفي وقال: «لا، قُلْ لهم نحن سنبقى على السمع أخبرونا عن التنفيذ»، فأرسلت هذا الملحق، وبالفعل لم تمضِ نصف ساعة حتى أتت الأجوبة من كل المحطات: «نفّذ الأمر». فضحكوا وقبّلوا بعضهم وشكروني وأعطاني حسني الزعيم 500 ليرة سورية. فقلت له: «سيدي، هذا واجبي»، فمدّ بهيج كلاّس يده وقال: «إذا لم تكن تريدها أنا آخذها»، قلت له: «لا، إذا أردت أن تأخذها أنت فأنا آخذها»، وأخذتها ووضعتها في جيبي، فضحكا وذهبا فرحين.

وعلى الرغم من كل ما جرى أمامي، لم أكن في تلك اللحظة قد عرفت ماذا يحصل تماماً.

إعتقدت أن هناك إجراءات عسكرية لمنع تظاهرات معينة أو ما شابه ذلك، وقد كان لنا رفيق في الأركان اسمه رفيق حوّا يعمل في مقسم الهاتف، إتصلت به وسألته: «يا رفيق ماذا يحصل»، فاستغرب وقال: «أليس لديك علم بما يحصل؟»، قلت له: «لا واللّه»، فقال: «أنظرْ من نوافذ الأركان لترى ماذا يحصل» فنظرت من النافذة ورأيت عدداً هائلاً من العسكريين

والدبابات والمصفحات تحيط بمبنى الأركان، فعدت وسألت رفيق حوّا عن معنى هذا الحشد العسكري، فأجاب: «هذا انقلاب، رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء والوزراء والنواب والمسؤولين في السجن»... وطلبت منه أن يحوّل الخط إليّ لأستمع إلى كل المكالمات التي تتعلق بهذا الشأن وأي اتصال يحصل من الأركان وإليها... فقال: «حسناً».

تمّ الانقلاب واستلم حسني الزعيم وفي الساعة السابعة صباحاً اتصل بي الرفيق حوّا من سنترال الأركان وقال لي: «انزل إلى الطابق الأول»، فقلت: «ماذا هناك؟» فقال: «انزل». نزلت ووجدت الضباط مجتمعين حول بعض الذين تم اعتقالهم في الليل، وجاء حسني الزعيم وتوجّه فوراً إلى النائب العسلي... فصفعه على وجهه وقال له: «الآن سنعرف من هم الأوباش»، وأمسكه من أذنه وقال له: «إركع»، وصفعه ثانية وكان قد استدعى حلاقاً وأمره بأن يحلق له شعره على الصفر وبعدها أمر بأن يأخذوه إلى السجن.

في صباح الثلاثين من آذار 1949، استفيقت دمشق لتجد نفسها وسط انقلاب لم يخطر على بالها، وأصبحت ترزح تحت الأحكام العرفية، فقد انتشرت المدرعات والمفارز العسكرية في كل زاوية وشارع، بعد أن قام حسني الزعيم القائد العام للقوات المسلحة ومعه مجموعة من ضباط الجيش العربي السوري بانقلاب عسكري، وسيطرت الوحدات العسكرية الموالية على المواقع الرئيسية في العاصمة دمشق. وتم اعتقال الرئيس شكري القوتلي رئيس الجمهورية والسيد خالد العظم رئيس الوزراء الذي كان عُيّن بدلاً عن فارس الخوري وعدد من رجال الحكومة وبعض الضباط الموالين لها. ووضع حسني الزعيم حداً للحكم الديمقراطي النيابي الذي استمر منذ بداية الاستقلال، ودخلت سورية مرحلة جديدة من الحكم العسكري المباشر. ولا بد من الإشارة هنا إلى أن الانقلاب العسكري لم يأتِ من فراغ، فقد كان للتململ والشعور بالهزيمة إثر حرب فلسطين عام 1948، كما الاحساس بالمرارة والمهانة الأثر الكبير في نفس الشعب ـ والقوات المسلحة من هذا الشعب ـ إذ

سادت الرغبة بالتغيير، فشكّل ذلك عاملاً مساعداً مهّد الطريق لاستيلاء المؤسسة العسكرية على السلطة السياسية في سورية.

لقد تمّ إعداد مشروع الانقلاب في اجتماع سري عقد بتاريخ العشرين من آذار عام 1949 في مدينة القنيطرة. وعلم الرئيس القوتلي والسيد العظم باجتماع الضباط عن طريق الشائعات، ولكن لم يعيرا الموضوع أهمية تذكر، بينما عقد الاجتماع الحاسم الذي حددت فيه ساعة الصفر بتاريخ التاسع والعشرين من آذار 1949 في القنيطرة أيضاً وتمّ التنفيذ في الساعات الأولى من صباح 30/ 3/ 1949.

تمّ حشد القوات التي أعدها حسني الزعيم لتنفيذ الانقلاب في نقطتين مهمتين هما: قطنا والقنيطرة، إذ خصصت القوات الموجودة في قطنا لتنفيذ الانقلاب، فيما وضعت القوات الموجودة في القنيطرة في الاحتياط تحسباً لكل طارئ، ولم تستخدم هذه القوات نظراً لعدم حدوث ما يدعوها إلى ذلك.

كانت القوات المشاركة محدودة، وشملت عدداً من الدروع المخصصة للاستيلاء على النقاط المهمة المقررة سلفاً، وعدداً من مفارز الشرطة العسكرية التي حددت مهماتها باعتقال بعض رجال الحكم السابقين. وعزلت العاصمة دمشق عن العالم الخارجي، وقطعت الاتصالات والطرق المؤدية إليها، بعد أن تحركت وحدات الجيش إلى أهدافها المرسومة بكل دقة.

والغريب في الأمر أنه لم تتصدّ للانقلاب أية قوى عسكرية وتمّ التنفيذ خلال ساعتين فقط من دون أن تطلق رصاصة واحدة أو تسيل قطرة دم واحدة.

لقد كان للسيد أكرم الحوراني دور مهم في التخطيط للانقلاب بحكم صلاته وصداقاته مع عدد من الضباط، لذا حضر منذ اللحظة الأولى مع قائد الانقلاب، وقام شخصياً بإعداد البيانات للإذاعة، وقرأ البيان الأول بنفسه، ومما جاء في هذا البيان:

«... مدفوعين بغيرتنا الوطنية ومتألّمين مما آل إليه وضع البلد من جرّاء افتراءات وتعسّف من يدعون أنفسهم حكاماً مخلصين، لجأنا مضطرين إلى تسلّم زمام الحكم مؤقتاً في البلاد التي نحرص على استقلالها كل الحرص، وسنقوم بكل ما يترتّب علينا نحو وطننا العزيز غير طامحين إلى استلام الحكم، بل القصد من عملنا هو تهيئة حكم ديمقراطي صحيح محل الحكم الحالي المزيَّف. وإننا لنرجو من الشعب الكريم أن يلجأ إلى الهدوء والسكينة مقدماً لنا المعونة والمساعدة للسماح لنا بإتمام مهمتنا التحريرية وإن كل محاولة للإخلال بالأمن تظهر من بعض العناصر الهدّامة تقمع فوراً من دون شفقة أو رحمة».

في السادس من نيسان 1949، وافق الرئيس شكري القوتلي على الإستقالة من رئاسة الجمهورية في كتاب موجز موجّه إلى الأمة. وفي اليوم التالي ـ السابع من نيسان 1949 ـ أعلن السيد العظم استقالته من رئاسة الحكومة وقد أعقب ذلك انتقال السيدين القوتلي والعظم من المستشفى إلى داريهما.

مجمل الحوادث والبيانات
والخطب التي رافقت الإنقلاب العسكري الشامي[1]

أثناء حدوث الإنقلاب العسكري في الجمهورية الشامية، وكان من الضروري تسجيل مراحل الإنقلاب المختلفة، نورد في ما يلي البيانات والخطب والتصاريح التي أدلى بها قائد الجيش، والحوادث التي رافقت الإنقلاب.

كيف حصل الانقلاب؟

في الساعات الأولى من صباح الأربعاء 30 مارس 1949، إحتلّ الجيش مراكز البرق والبريد والهاتف ومداخل العاصمة، واعتقل عدداً قليلاً من الضبّاط عرفوا بتعاونهم مع الحكومة السابقة.

ثم توجّهت قوات من الجيش لتنفيذ أوامر الإعتقال، فاعتقل الرئيس الأسبق شكري القوتلي ورئيس مجلس الوزراء الأسبق خالد العظم والسادة جبارة والبرازي وفيصل العسلي ونجيب الريّس ووجيه الحفّار وسواهم، ونقل كبار المعتقلين إلى مستشفى المزّة وأرسل الباقون إلى معتقلات وسجون أخرى.

---

(1) جريدة «الجيل الجديد» العدد 6، تاريخ 13/ 4/ 1949.

قطعت المواصلات بين المناطق الشامية والجمهورية اللبنانية وكان راديو دمشق يعلن بلاغات القيادة العامة.

وقد تمّ الإنقلاب في كل المناطق دون أن تُهرق نقطة دم واحدة.

وعند الظهر، إستدعى القائد العام حسني الزعيم رجال الصحافة وأدلى إليهم بحديث يشرح الأسباب التي دعت إلى هذا العمل الإنقلابي، وكلّها تدور حول الشعور العام بالفوضى والإرتكابات والمخالفات وحول الإهانات التي لحقت بالجيش الباسل والتي كادت أن تحطم معنوياته.

نصّ البلاغات الرسمية[1]

وفيما يلي نصّ البلاغات التي صدرت عن القيادة العامة للجيش والقوى المسلحة.

بلاغ أول ابريل

تستأنف الدراسة في جميع المدارس الثانوية والإبتدائية والخاصة وفي كليات الجامعة بدون استثناء، إبتداء من يوم السبت الثاني من نيسان 1949.

البلاغ رقم (1)

إلى الشعب السوري الكريم

إننا متألمون من تصرفات الذين يدّعون أنهم الحكام المخلصون، وحرصاً على استقلال البلاد كل الحرص لجأنا مضطرين إلى استلام زمام الحكم مؤقتاً. وسنقوم بكل ما يترتب علينا غير طامعين بالبقاء في الحكم. والقصد من

(1) نصّ البلاغات الرسمية التي صدرت عن القيادة العامة للجيش، كنت أرسلها وأعممها من مركز الإشارة في الأركان العامة إلى الدوائر الرسمية المختصة.

حركتنا التهيئة لحكم ديمقراطي صحيح يحلّ محل الحكم الحالي المزيّف. ونرجو أن يلجأ الشعب السوري إلى الهدوء مقدّماً لنا كل المعونة والمساعدة للسماح لنا بإتمام مهمتنا التحريرية. وكل محاولة للإخلال بالأمن والتي قد تظهر من بعض العناصر الهدّامة الاستثمارية تقمع فوراً بالقوى المسلحة.

القيادة العامة للجيش والقوى المسلحة

بلاغ رقم (2)

ترجو القيادة العامة الشعب اللجوء إلى الهدوء والسكينة. وتحذّر المتجولين حاملي السلاح بأنهم سيُعدمون فوراً.

القيادة العامة للجيش والقوى المسلحة

بلاغ رقم (3)

يُمنع التجول في 30 آذار 1949 الحالي، إعتباراً من الساعة السادسة صباحاً إلى إشعار آخر.

بلاغ رقم (4)

إلى الشعب السوري النبيل

اليوم فتحت صفحة جديدة في حياة الشعب العربي في سورية وطويت صفحات. فتحت صفحة جديدة من الأمجاد وطويت صفحات ملأى بالذل والعار.

لقد رأى الجيش السوري ما آلت إليه حالة البلاد من فوضى واستئثار وخذلان، ووجد هذا العهد مليئاً بالمساوئ والخزايا والخيانات والسرقات والقضاء على الحريات الديمقراطية، إلى مخالفة الدستور والقوانين.

ورأى الجيش كل ذلك وأيقن أن الأمة تسير بخطوات سريعة نحو الموت

والفناء فأبت عليه وطنيته وكرامته أن يقف مكتوف الأيدي، وأبى بنفوس أبنائه النبيلة أن يرضى بالذل والعبودية والفناء مصيراً لأمة عظيمة كتب لها المجد والخلود. فصمم أن يقف موقف الواجب ورأى أن يتدخل ليعيد الأمور إلى نصابها وليعيد للأمة شرفها وكرامتها وحريتها.

أقدم الجيش على هذه الحركة المجيدة بنفوس ملؤها الإيمان والتضحية، فسجل نصراً للحرية على العبودية والشرف على الذل. وذكّر بالأمجاد نفوساً كادت أن تنساها وأضاف سورية إلى الأمم التي روت بدمائها أصول الحرية والديمقراطية.

اليوم أثبت الجيش السوري للعالم أجمع أنه ما يزال في سورية شعب عربي كريم يأبى الخضوع والاستسلام والموت مصيراً لها، شعب عربي مصمّم وراء جيشه على انتزاع الأمجاد وارتقاء المعالي سلّما للخلود.

أما الشعب السوري فقد قابل الإنقلاب بما يستحق من تقدير وإعجاب، فإذا بالناس يقومون مهلّلين مكبّرين وإذا بالجماهير تزحف لرفع أفراد الجيش على الأكفّ وسط زغاريد النساء وتهليل الأطفال.

إن الشعب العربي في سورية عبّر أصدق تعبير عن إخلاصه لجيشه الباسل الذي أنقذه من الهاوية وأعاد إليه حقه السليب.

لقد تمّ هذا الإنقلاب دون إراقة نقطة من دماء، ومن دون إطلاق أية رصاصة، واليوم إن شاء الله ستتألف حكومة قومية ديمقراطية تنقذ البلاد من أهوال الأوضاع الماضية فتؤمن للشعب جواً هادئاً للتمتّع بحرّياته وتضمن له مستوى من العيش يتناسب مع تضحياته.

اليوم شقّت الطريق أمام الشعب العربي في سورية للسير قدماً إلى الأمام وتحقيق رسالته الخالدة.

القيادة العامة للجيش والقوى المسلحة

بلاغ رقم (5)

إنّ القيادة العامة للجيش والقوى المسلحة تلفت أنظار الشعب الكريم إلى وجوب الاحتفاظ بالهدوء والسكينة وتحذّر من أية شائعة مغرضة يراد منها صبغ حركة الجيش الوطنية بغير صبغتها الحقيقية.

إنّ البلاد تمر اليوم بتجربة كبرى، والقيادة العامة للجيش لم تلجأ إلى استلام زمام الحكومة بصورة مؤقتة إلا تخلّصاً من الأساليب التعسّفية الملتوية التي كانت تتمشّى عليها الفئة الحاكمة وحرصاً من القيادة على ألا يتعرض استقلال البلاد للخطر وألا يستغل اضطراب الوضع الاستقلالي خارجياً.

إنّ مهمة القيادة في الوقت الحاضر تنحصر في تهيئة حكم ديمقراطي صحيح للبلاد ينقذها من المحنة التي مرت بها وإعداد الأمة إعداداً صحيحاً للاحتفاظ بما فازت به من حرية وسيادة. وهذا لا يمكن أن يتم إلا بتآزر أفراد الشعب وتعاونهم تعاوناً وثيقاً.

لذلك فإن القيادة تحذّر من القيام بأية محاولة للإخلال بالأمن، لأنها ستقمع قمعاً لا هوادة فيه ولا رحمة، ونحذّر من الاستسلام إلى ما تروّجه العناصر الهدّامة التي لا غاية لها إلا الطعن بالاستقلال والقضاء عليه، وتحذّر من حمل الأسلحة لأن عقاب كل من يعثر معه على سلاح من أيّ نوع كان سيكون الإعدام فوراً.

أما نظام منع التجول فسينفّذ اعتباراً من يوم الخميس من الساعة السابعة صباحاً حتى الساعة الثامنة مساءً.

القيادة العامة للجيش والقوات المسلحة

بلاغ رقم (6)

إبتداءً من صباح الثلاثين من آذار 1949، إستلمت القيادة العامة للجيش زمام الحكم في البلاد مؤقّتاً رغبةً منها في تهيئة البلاد لحكم ديمقراطي

صحيح وإنقاذها من فوضى غرقت فيها وباتت تهدّد استقلالها.

والقيادة لا ترغب من وراء ذلك إلا صيانة الدولة من الإنهيار وإنقاذ الجيش من محاولات للعبث والتهديم التي تعرّض لها في المدة الأخيرة.

والجيش السوري الذي ضحّى بزهرة شبابه وكرامة الخلّص من أبنائه في سبيل حماية حدود البلاد وردّ الأعداء عنها ولم يتوانَ عن تضحية، واستطاع أن يحرز انتصارات باهرة رغم إمكانياته المحدودة لا يقبل أن يتعرّض للمعاملة السيئة التي كان يلقاها.

لقد تمّت عمليات استلام الحكم اليوم في جميع أنحاء البلاد دون حادث، والهدوء مستتبّ في كل مكان، والعمل مستمر الآن لتأليف حكومة دستورية نيابية تتولى مقاليد الأمور.

وقد قامت قوات الجيش منذ الصباح الباكر بتأمين الخبز والمواد الغذائية وحذّرت أصحاب الأفران والباعة من الاحتكار والتلاعب بالأسعار.

وتؤكّد القيادة أنّ حركتها الوطنية حركة داخلية بحتة، وأن الجيش السوري مستعد لحماية الحدود وردّ كل اعتداء عليها أياً كان مصدره، وأن استيلاءها على الحكم جرى بصورة مؤقتة وإنها ستسلّم الزمام إلى أول حكومة دستورية يتم تأليفها.

بلاغ رقم (7)

إلى الموظفين: على كافة موظفي الجمهورية السورية العودة إلى ممارسة أعمالهم تحت إشراف الأمناء العامين اعتباراً من الخميس 31 آذار 1949.

ترفع الأمانة العامة في الساعة العاشرة من التاريخ نفسه جدولاً بأسماء الموظفين المتخلّفين إلى القيادة العامة للجيش والقوى المسلحة، ويعتبر كل موظف متخلّف منفصلاً عن عمله في أول نيسان 1949.

القائد العام حسني الزعيم

بلاغ رقم (8)

يرفع نظام منع التجوّل ابتداء من 3 آذار من الساعة السابعة صباحاً حتى الساعة الثامنة مساء.

القائد العام حسني الزعيم

بلاغ رقم (9)

تحذّر القيادة أصحاب الأفران وتجار المواد الغذائية من رفع أسعارها واحتكارها والقيام بأيّ عمل من هذا النوع. ويتعرّض من تسوّل له نفسه ذلك لأقصى العقوبات.

القائد العام حسني الزعيم

بلاغ رقم (10)

يوجّه القائد العام للجيش والقوى المسلحة حسني الزعيم شكره الجزيل إلى الشعب لما أبداه من عواطف التأييد لحركة الجيش السوري التحريرية، ويخصّ بالشكر الأوساط الشعبية في دمشق والمحافظات الأخرى والذين أعربوا عن تأييدهم بالبرق أو بالوفود أو بتظاهرهم الرائع ويرجو الجميع أن يثقوا بالجيش وأن يكتفوا بما قاموا به من مظاهرات طالباً إليهم العودة إلى أعمالهم المعتادة.

القائد العام حسني الزعيم

البيانات والمراسيم

وقد أذاعت دائرة المطبوعات التابعة للقيادة العامة عدّة بيانات في الأيام الثلاثة الأولى للانقلاب منها ما كان بياناً لحالة الهدوء التي تسود كل المناطق ومنها ما كان بياناً وإيضاحاً للأسباب التي دعت الجيش للقيام بهذا العمل ومنها

ما كان تهديداً للمفكرين في تعكير الأمن وللتجار في التلاعب بالأسعار.

أزمة ومخرج

على أثر الانقلاب دعا القائد العام للجيش والقوات المسلحة الأمير عادل ارسلان وتحدث إليه عن إمكانية تعاون الجيش مع المدنيين ولكن الأمير عادل، بعد التداول في الأمر مع الأستاذ فارس الخوري ومصطفى برمدا، أكّد للقائد العام أن الإنقلاب غير دستوري ومن المتعذر تأليف حكومة لا دستورية.

وهكذا كان رأي الأستاذ فارس الخوري الذي أصرّ في محادثة خاصة مع القائد العام على عدم إمكانية التعاون في عمل مخالف للدستور.

هنا رأى العسكريون أن يدعوا المجلس النيابي لعقد جلسة مستعجلة يقرر فيها خلع الرئيس غير أنه تعذر إيجاد النصاب القانوني لأن المجلس كان مقفلاً في وجه النواب.

وبعد مشاورات قام بها رئيس المجلس الأستاذ فارس الخوري مع عدد من النواب قرروا رفع احتجاج إلى القيادة العامة لعدم السماح لهم بدخول المجلس وقد رفض مجلس الدفاع العسكري هذا الطلب. ولما طال انتظار القيادة لجواب ارسلان والخوري حول طلب التعاون وتأليف وزارة جديدة صدر مرسوم بحل المجلس النيابي، هنا نصه:

مرسوم بحلّ المجلس:

إن القائد العام للجيش والقوى المسلحة استناداً لقرار المجلس الحربي الأعلى للجمهورية السورية واستناداً للأمر العسكري رقم 2 تاريخ 31/ 3/ 1949 يرسم ما يلي:

مادة (1) يحل المجلس النيابي السوري.

مادة (2) يشرع في تهيئة انتخابات حرة.

مادة (3) تمنح الحكومة التي ستؤلف حق التشريع ريثما يتم انتخاب المجلس النيابي الجديد.

مادة (4) ينشر هذا المرسوم ويبلغ لمن يجب.

دمشق في 31/ 3/ 1949

القائد العام للجيش والقوى المسلحة

حسني الزعيم

رسالة إلى رئيس المجلس

وقد بعث القائد العام الرسالة التالية إلى رئيس المجلس النيابي:

إلى دولة رئيس المجلس النيابي الموقّر

لمّا كان الجيش السوري الذي ساعدته الأمة على اختلاف طبقاتها في الإنقلاب الوطني القومي الذي قام به، والذي كان يستهدف إنشاء عهد ديمقراطي صحيح يعيد فيه إلى الشعب حقوقه المسلوبة وحرياته المغتصبة، وكان المجلس النيابي الحاضر لا يمثل في أكثريته الساحقة رغبة الناخبين وإرادتهم وإنما جرى انتخابه تحت ضغط الفئة الحاكمة وبشتّى ضروب التزوير والعنف والإكراه.

وكان قد ثبت بعشرات الأدلّة الدامغة تزوير انتخاب النواب والطعن في نيابتهم. وكان الأساس الأول في إقامة حكم ديمقراطي هو القيام بانتخابات صحيحة حرّة يعبّر فيها الشعب عن إرادته في جوّ حرّ تام لا زيف فيه ولا ضغط ولا إكراه.

ولمّا كان المجلس النيابي الحاضر الذي زوّرت الإنتخابات أكثر الأعضاء والبعض الآخر أقرب إلى التعيين منه إلى الإنتخابات، وقد ماشى طغيان الفئة

الحاكمة ووافق في أكثر من موقف على مخالفات شائنة لدستور البلاد وقوانينها وكان في أكثريته أداة طيّعة في أيدي هذه الفئة تسيّرها كيفما تشاء، إلى أن أوكل الشعب السوري أمره إلى جيشه الباسل فأنقذه من الأوضاع الشاذّة غير الشرعية الموجود بها.

فقد قرّر المجلس الحربي الأعلى للقيادة العامة للجيش السوري إصدار المرسوم المرفق ودمتم.

القائد العام للجيش والقوات المسلحة

الزعيم حسني الزعيم

مؤامرة تسليم سعاده واغتياله

بدايةً، حصل لقاء تعارف بين الزعيم أنطون سعاده وحسني الزعيم بوساطة الدكتور صبري القباني.

وإبّان الأحداث التي وقعت بين القوميين والكتائب، إثر حادثة المطبعة في منطقة الجميزة، تمكّن سعاده من اجتياز الحدود اللبنانية والإجتماع بحسني الزعيم مجدّداً.

تمّ الإتفاق بينهما على إمداد الزعيم سعاده بالسلاح، بعد إعلانه الثورة القومية الإجتماعية الأولى في الكيان اللبناني، ردّاً على ملاحقة القوميين واضطهادهم ظلماً[1].

وأعطى حسني الزعيم مسدّسه لسعاده عربون الإخلاص والوفاء والصداقة، وأقسم بشرفه العسكري أنّه سيدعم الحزب. وفي ذلك التاريخ أعطى حسني الزعيم الأمر إلى بعض وحدات الجيش بتسليم السلاح إلى القوميين، وهذا ما

---

(1) وفي بيان إعلان الثورة صرّح سعاده: «أنّ الحكومة اللبنانية الخائنة لحرية الشعب العابثة بحقوق أبنائه قد فرضت بجشعها ورعونتها الثورة للدفاع عن الحرية المقدسة وعن حياة أبناء الشعب وإرادته وقد قبلت حركة الشعب الكبرى التحدّي وأعلنت الثورة، فإلى الثورة على الطغيان والخيانة أيها الشعب النبيل». (مقر قيادة الثورة العليا في 4 تموز 1949).

حصل فعلاً. في تلك المرحلة كنت قد انتدبت لتنظيم شبكة لاسلكي واسعة على الحدود الأردنية، وكان قد أتى إلى درعا حديثاً الفوج الواحد والأربعين بقيادة العقيد حسن غنّام وصار التمهيد لاستيعاب الجمهرة الأولى بقيادة العقيد اليازجي، وهذه الجمهرة هي أقوى وحدات الجيش السوري وتضمّ أكثر من لواء. وفي ذلك التاريخ إتصل بي رامز ابن عمي وأخبرني أن حسني الزعيم أعطى أمراً بتسليم السّلاح للقوميين بقدر ما يطلبون وأعلمني أنه سيتمّ استلام السلاح. وفي تلك الليلة وقبل منتصف الليل وصلتني مخابرة أخرى من رامز ابن عمي بأنهم استلموا السلاح وأرسلوه إلى لبنان بالشاحنات، غير أن الجيش لحق بهم إلى منتصف الطريق وأعاد تلك الشاحنات. ويعود سبب ذلك إلى اتصال الملك فاروق بحسني الزعيم طالباً منه تسليم الزعيم سعاده إلى دولته، بعد أن تلقّى الفاروق تعليمات وافية وكافية عن هذا الموضوع من رياض الصلح، مهدّداً اياه بنهاية حتمية إن خالف الأمر. وفي تلك الليلة حاول مدير الشرطة العسكرية في دمشق المقدّم إبراهيم الحسيني اقناع الزعيم سعاده بعدم الذهاب لمقابلة حسني الزعيم، غير أن سعاده لم يقتنع وقال: «سألقي ورقتي الأخيرة في وجهه»، وذهب إليه. وعند وصوله وجد مدير الأمن العام اللبناني الأمير فريد شهاب بانتظاره، هنا ضحك وقال: «فهمت». في هذا الوقت أطلّ حسني الزعيم على الصالون وخاطب سعاده قائلاً: «بينك وبين لبنان حساب روح صفّيه». هنا أخرج الزعيم سعاده مسدس حسني ورماه بوجهه قائلاً: «خذْ مسدسك»، والتفت إلى رجال الأمن وقال لهم: «تفضّلوا»، وسار معهم. وفي الطريق أخذ رجال الأمن يتظاهرون بالنوم ظناً منهم أن سعاده سيحاول الهرب فيطلقون النار عليه، غير أن سعاده كان يوقظهم إلى أن وصلوا إلى لبنان.

ويقول نذير فنصة عديل حسني الزعيم، في مذكراته، أنه عندما علم من الضابط إبراهيم الحسيني بأن حسني الزعيم يريد تسليم الزعيم إلى السلطات اللبنانية ذهب فوراً ليستفسر عن الموضوع، فأخبره الأخير أن هناك ضغطاً

عليه من بشارة الخوري ورياض الصلح. فطلب نذير فنصة منه ترحيل سعاده إلى الأرجنتين، فوافق حسني الزعيم على ذلك، فسأله: «هل تقسم بشرفك العسكري أنك لن تسلّم أنطون سعاده إلى السلطات اللبنانية»، فقال حسني الزعيم: «أقسم بشرفي». وبعد أربعة أيام، عقب خلوة طويلة بين حسني الزعيم ورئيس وزرائه محسن البرازي، قال لي: «جاءتنا برقية مستعجلة من القاهرة، إلى حسني الزعيم تفيد أن الملك فاروق يريدك لأمر هام فسافرْ اليوم وعد غداً. الطائرة بانتظارك في المطار لتقلّك». وبالفعل سافرت، ووصلت إلى مطار القاهرة فلم أجد أحداً في استقبالي، عندها استغربت الأمر واتصلت بمستشار الملك أسأله عن استدعائي من قبل الملك فاروق فيجيبني بعد أن تأكد من الموضوع بأن الملك لم يرسل في طلبي. هنا علمت بأنني خدِعت من قبل حسني الزعيم ومحسن البرازي، وأنهما أبعداني لكي يتمّ تسليم أنطون سعاده دون أن توجد معارضة من قبلي (مذكرات نذير فنصة 137 يوماً هزّت سورية الصفحة: 79 ـ 82).

وللإضاءة على دور الكيان الإسرائيلي في عملية الغدر التي قام بها حسني الزعيم بحق الزعيم سعاده، نورد بعض ما قاله سامي جمعة في كتابه:

سارت أموري في بلودان بشكل روتيني إلى أن جاء ذلك اليوم في بدايات شهر حزيران الذي لا يمكن أن أنساه ما حييت. وصل حسني الزعيم كعادته حوالي العاشرة صباحاً إلى (الفندق) وبصحبته النقيب رياض كيلاني، وبعد برهة وصل الأمير عادل أرسلان وصلاح الطرزي ثم تبعهم كل من الجنرال التركي فؤاد أورباي والميجر ميد، غادر الأخيران قبيل فترة الظهيرة وعندما انتصف النهار اتصل العنصر المكلف بمراقبة المدخل الخارجي (للفندق) معلناً وصول المقدم إبراهيم الحسيني، فخرجت إلى باب (الفندق) وشاهدت سيارة الفورد بوكس التي كانت تقل الحسيني وبجواره على المقعد الخلفي ضابط يرتدي زي ضباط الجيش السوري لم استطع التعرف عليه، لاحظت أن الحسيني يتعامل مع ذلك الضابط الذي يحمل رتبة مقدم باحترام شديد حيث كان يتأخر عنه الحسيني احتراماً بأكثر من خطوة وهذا الشيء لم يكن معروفاً عنه، فلم يكن الحسيني يهاب أحداً في الجيش السوري مهما علت رتبته وذلك بسبب قربه الشديد من حسني الزعيم.

كان عدد الضباط في الجيش السوري آنذاك لا يتجاوز العشرين مقدماً وأربعة أو خمسة عقداء وثلاثة من العمداء بمن فيهم رئيس الاركان الذي رُفّعت رتبته بعد الانقلاب ليكون أول من حمل رتبة لواء في الجيش السوري. كنت أعرف كل ضباط الجيش بالاسم والصورة ولم يكن ذلك المقدم المجهول الذي يرافقه الحسيني ممن أعرفهم، إضافة إلى أن البزة العسكرية التي كان يرتديها تبدو مترهلة عليه، كما أن خطواته لم تكن تمت للخطوة العسكرية بصلة، ومما زاد في حيرتي أن الحسيني أدخله مباشرة إلى (الصالون) الذي يجلس فيه الزعيم مع الأمير أرسلان والطرزي وخرج فوراً ليجلس مع صهره السيد توفيق الحبوباتي مستثمر (الفندق)، وامتدت الفترة التي بقي فيها المقدم المجهول مجتمعاً إلى حسني الزعيم والأمير أرسلان والطرزي حتى الثالثة مساء وقد تناولوا خلالها طعام الغداء سوية دون أن ينضم إليهم الحسيني الذي تناول غداءه مع الرئيس رياض كيلاني. كنت أحاول طيلة تلك الفترة أن أقدح زناد ذاكرتي لعلّني اتذكر ذلك المقدم الذي كنت متأكداً بأني أعرف وجهه وأنه ليس عسكرياً، ثم بدأت تتراقص في مخيلتي صورة موشي شرتوك وزير الخارجية الإسرائيلي في حينها (أصبحت كنيته فيما بعد شاريت).

(أوراق من دفتر الوطن 1946 ـ 1961، ص 66 ـ 67)

هذا عرفته فيما بعد، لأنني في ذلك الوقت كنت في درعا أنظّم شبكة اللاسلكي على الحدود الأردنية.

وأيضاً في لبنان، عندما علم خليل ابن بشارة الخوري الذي كان مقرّباً من الحزب القومي أن حكم الإعدام صدر بحق الزعيم سعاده دخل على أبيه وطلب منه تخفيض الحكم إلى المؤبّد فقال له بشارة الخوري: «إذهب إلى مطران بيروت إيليا الصليبي وأطلب منه أن يتصل بي هاتفياً ويطلب مني تخفيض الحكم، وأنا بدوري سأعلم رياض الصلح بأن الطائفة الأرثوذكسية تطلب تخفيض الحكم». وعندها ذهب خليل الخوري ليلاً في 7 تموز 1949 إلى مطرانية بيروت، وبعد جهد سمح له بمقابلة المطران الصليبي وطلب منه الإتصال بوالده، غير أنه لم يستجب. وقال له: «روح خلّيهم يخلّصونا منه». وهذه الحادثة ذكرها لي المطران إيليا كرم سنة 1962م.

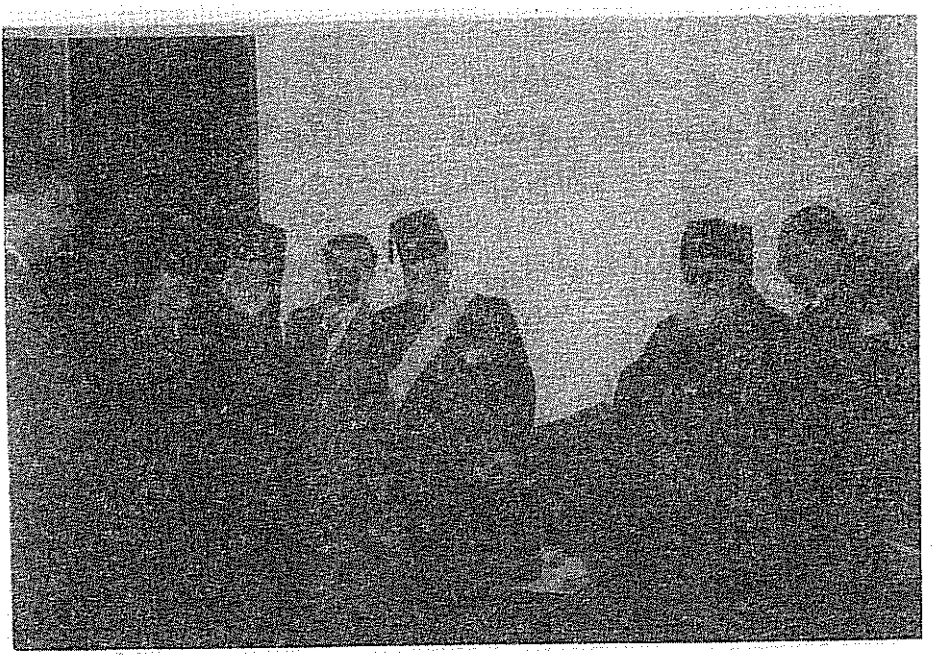

في التاسع من كانون الأول 1950 احتفل في ديوان رئاسة الوزارة اللبنانية بالسراي، بتقليد رياض الصلح، رئيس الوزراء، بالوشاح الأكبر لوسام القبر المقدّس المهدى إليه من بطريرك أورشليم الأرثوذكسي والوشاح الأكبر لوسام القديس مرقص المهدى إليه من بطريرك الإسكندرية وسائر أفريقيا الأرثوذكسي، وناب عنهما بالإحتفال المطارنة إيليا الصليبي ونيفون سابا وإيليا كرم بحضور وزراء العدلية والإقتصاد والمالية والزراعة وهنري فرعون وأديب الفرزلي. وقد أطرى المطران الصليبي خدمات رئيس الوزراء للطائفة والملة. وذكرت بعض المصادر أنه سبق تقديم الوسام مبادرة تقدير من قبل رئيس الوزراء تجاه آباء الطائفة في بيروت بسبب دعمهم لقرارته. (الصورة من أرشيف متّى أسعد، والشرح من المجلد الثاني «أنطون سعاده من التأسيس إلى الشهادة»، للباحث أنطوان بطرس).

وأيضاً من الأسباب التي عجّلت بإعدام الزعيم سعاده والتخلّص منه أن الحزب السوري القومي وجد استجابة سريعة من المثقفين الشباب في سورية ولبنان، وانتشر أتباعه طولاً وعرضاً في هذين البلدين. وكانت قواه تتركّز بصورة خاصة في أوساط الطلبة والمعلمين الذين حلموا بنهضة سورية وأملوا

في تحقيقها، من خلال وضوح الأهداف السياسية والإجتماعية للحزب وتنظيماته، باعتباره حزباً قومياً حقيقياً. وأن قبضة الحزب على أعضائه بلغت من القوة حدّاً أخاف الحكومة السورية فعمدت إلى قمعه. وسعاده، الذي أعدمته الحكومة اللبنانية، صار شهيد الحزب والأمّة.

تنظيم شبكة اللاسلكي في درعا

تلقّيت أمراً بالذهاب إلى درعا لتنظيم شبكة اللاسلكي للفوج 41. ذهبت في السادس من تموز 1949 وقمت بتنظيم هذه الشبكة، وكان يساعدني في ذلك الرفيق الرقيب عبد الكريم الصايغ والرفيق المجنّد محمد خليل الشقة، والمجنّدون عدنان نوايا وشحادة مسعود وعبدو أيّاس.

وفي صباح الثامن من تموز، ذهبت إلى أحد المقاهي الصيفية التي يظلّلها الشجر الكبير، ولم يكن قد مضى على خروجي من السجن أكثر من خمسة أشهر بسبب اعتقال الرفيق ألبير جزدان والعثور على لائحة بأسماء جميع العسكريين القوميين في دمشق، كما ذكرت سابقاً. وكنت حذراً من ملاحقة المخابرات، وإذ بشخص يأتي ويجلس إلى جانبي أثناء شربي القهوة، وسألني: «من أين الأخ؟»، فقلت له: «من حب نمرة» فبدأ يعدّد أسماء أشخاص يعرفهم من قريتنا ومن منطقتنا وكلّ من سمّاهم كانوا قوميين. وسألني «هل تعرفهم؟»، فقلت في نفسي: «أكيد هذا من فرع المخابرات» وأجبته: «لا يا أخي لا أعرفهم. وأرجوك لا تحادثني بالسياسة»، فقال: «أسألك لأطمئن عنهم». فتركته وتركت المقهى وذهبت إلى مقهى آخر مجاور حيث طلبت أيضاً فنجاناً من القهوة، وبعد فترة قصيرة، إذ بالشخص نفسه يتبعني، ويسارع إلى الإعتذار، ويقسم أنه لن يكلّمني بالسياسة أبداً، طالباً أن أرجع معه إلى المقهى الأول، قائلاً: «ليس من الأصول زعّلك ويجب أن

أقوم بالواجب معك، تفضّل معي إلى المقهى فأنا صاحبه». دفع ثمن القهوة لصاحب المقهى، مشيت معه وعدنا إلى المقهى الأول وشربنا القهوة سوياً من دون العودة إلى أيّ كلام بالسياسة. وفيما نحن جالسون سمعت صوتاً من الخلف يقول: «رفيق متّى تحيا سورية»، فالتفتّ ووجدت سعد اللّه قنيزح شقيق الأمين إلياس جرجي قنيزح، فقلت: «تحيا سورية»، ونهضت للسلام عليه وتعانقنا. وفوجئت بأن صاحب المقهى يضحك كثيراً، وعندئذٍ عرفت أنه الرفيق ميشال الديك الذي عرّفني عليه الرفيق سعد اللّه، وقال لي: «طلّعتلي روحي» وعانقني وقبّلني ثم شرح لي أنه كان ذاهباً البارحة ليشترك في معارك ثورة لبنان غير أن الحصان كبا به ووقع على الأرض وبرق ظهره فعاد، ولكنه سيعود في الغد ليلتحق بالثورة.

من اليمين: الرقيب متّى أسعد ـ الرفيق الرقيب عبد الكريم الصايغ، الرفيق المجند محمد خليل الشقّة / أمام خيمة جهاز اللاسلكي (المورس) ـ درعا

سألني «شو فيك تقدّملنا من هذا الفوج الذي عندك سلاح أو ذخيرة نكون ممنونين؟» فأجبت: «أستطيع أن أقدّم لك أكثر من خمسين بندقية مع

ذخيرتها». لأن الفوج لا يحتوي على حاملة بنادق إذ كان الجنود يضعون البنادق على الشوادر والذخيرة إلى جانبها، وتابعت: «سأذهب أنا وأربعة رفقاء من مركز اللاسلكي في درعا ونلتحق معكم بالثورة». شعرت أنه سوف يطير من الفرح وراح يضحك ويضحك.. ذهبتُ إلى مركز اللاسلكي وأوصيت الرفقاء بجمع السلاح، وبعدها وفي الساعة الخامسة من مساء ذلك اليوم عدت إلى المقهى وقلت للرفيق ميشال الديك: «إنتهينا» وفيما نحن نتحدث سمعنا الراديو المعلّق فوق إحدى الشجيرات يقول: «هنا بيروت، إليكم نشرة الأخبار»، وكان الخبر الأول «أُلقي القبض مساء أمس على الأستاذ أنطون سعاده زعيم الحزب السوري القومي الإجتماعي وحكم بالإعدام ونفّذ الحكم صباح هذا اليوم».

وما أن سمعنا الخبر في المقهى حتى بدأت تتطاير الطاولات والكراسي في الجو نتيجة ثورة الغضب لأن جميع الذين كانوا في المقهى هم من الرفقاء

متّى أسعد والرفيق عبد الكريم الصايغ / درعا

المستعدّين للذهاب إلى المعركة في صباح اليوم التالي. وبعد قليل صفنت بيني وبين نفسي مفكراً ماذا سأفعل بهذا السلاح الذي جمعته. مشيت على مهلي باتجاه مركز اللاسلكي، وقلت للرفقاء أن يعيدوا السلاح إلى مكانه.

وفي 13 آب 1949 جاءنا أمر من الأركان العامة بالإنتقال إلى إزرع، وهي مدينة أثرية في حوران. وفي اليوم التالي جاء ميشال الديك[1] في القطار من درعا مروراً بإزرع حيث توقف على المحطة، وجاء إليّ وأخبرني أنه سمع أن الزعيم إستطاع الذهاب إلى الأردن بثياب بدوي وأن خبر الإعدام غير صحيح، وأنه الآن ذاهب إلى الشام للتأكد، وفي طريق العودة سيمرّ ليخبرني بكل جديد.

متّى أسعد / إزرع 1949

(1) من المعروف عن ميشال الديك أنه بطل من أبطال المعركة التي جرت عام 1945 بين الأهالي والجنود الفرنسيين المتحصّنين في ثكنة درعا، وأنه هاجم الثكنة وهو يحمل رشاشاً على رأس مجموعة قليلة من المدنيين واستولوا عليها.

بالفعل، ذهب صباحاً وعاد مساء وأنا بانتظاره عند المحطة، وقال لي: «الخبر صحيح.. أكبر عار يلحق بالحزب إذا مات رياض الصلح ميتة طبيعية، اللّه يطوّل عمره حتى لا يتبهدل الحزب». ثم حيّاني قائلاً: «تحيا سورية»، فحييته بدوري، وذهب.

وفي 14 آب 1949 كنا ما زلنا في إزرع وكان عندي اتصال لاسلكي مع الأركان العامة في الساعة الرابعة والنصف فجراً حيث تسلّمت البرقية وكانت تتضمّن تعميماً: «أعدِم صباح هذا اليوم الطاغيتان حسني الزعيم ومحسن البرازي».

وبعد استلامي البرقية كان علي تبليغها للعقيد حسن غنّام[1] آمر الفوج 41 في درعا، وكنا أنا وطبيب الفوج والملازم أول أتاسي مدير الشرطة العسكرية في الفوج قد عملنا معه مقلباً من المزاح، إذ إن الملازم يعرف مجنداً في الفوج، معه ثيابه المدنية فطلب منه أن يلبس هذه الثياب ويأتي إليه. وكنت أنا والطبيب والعقيد حسن غنام جالسين معاً. فأتى الملازم ومعه المجنّد الشاب بلباسه البدوي وأخبرنا أنه يقرأ بالكفّ، فبدأ هذا الشاب يقرأ لنا بالكفّ فأمسك بيد الطبيب وقرأ له أشياءً متّفقاً عليها مسبقاً وأمسك يدي وفعل الشيء نفسه ثم فتح العقيد حسن يده فقال له الشاب: «لا أستطيع يا سيدي أن أخبرك ماذا أرى»، فأصرّ عليه العقيد حسن، فسأله: «هل عليّ الأمان؟»، فقال: «عليك الأمان»، فقال المجنّد: «بعد أربعة أشهر سوف يشنقك حسني الزعيم»، إصفرّ وجهه وشعرنا أنه سيغيب عن الوعي، قام الطبيب عندها وقال له: «إن هذا مزاح» فشتمنا وغضب علينا كثيراً وصرفنا من مكتبه.

عندما أخذت له البرقية التي استلمتها عن إعدام حسني الزعيم ومحسن

(1) العقيد حسن غنّام كان مسجوناً معنا في بداية عام 1949، ولكن بتهمة الغش في التموين (أي السمنة الفاسدة) التي أدخلت إلى دمشق. وكان حسني الزعيم أقسم أنه سيعدمه إذا ثبتت عليه التهمة.

البرازي، كان نائماً، طرقت الباب عليه، فسألني: «من في الباب؟» قلت: «رقيب اللاسلكي»، قال: «اطلع برّا»، فقلت له: «هناك برقية عاجلة»، سأل «ما هذه البرقية العاجلة؟.. إنتظر حتى الصباح». فقلت: «سيدي عاجلة جداً»، قال: «ليس هناك أي أمر عاجل جداً، يالله اذهب»، معتقداً أنني أمزح معه كما فعلنا معه سابقاً. أصرّيت عليه أن البرقية مهمة وعاجلة جداً ولا تنتظر التأجيل أبداً. قلت له: «إفتحْ وخذِ البرقية». ففتح لي الباب وهو لا يزال يشتمني لكنه أخذ البرقية مني ودخل إلى غرفته فقرأها، وما كان منه إلا أن اتصل برئيس الحرس وأمره باعتقالي وسجن كل من الطبيب والملازم في الشرطة العسكرية، فنفّذ رئيس الحرس الأمر واعتقلنا ووضعنا في السجن، بعد قليل أرسل العقيد في طلبي، وقال لي: «أنت مجنون حتى تعمل معي هكذا عمل، ألا تعرف ماذا يحصل لك؟» قلت: «سيدي شو بيصير فيي، أنا أعطيك برقية صحيحة وهذه ليست مزحة»، فأخذ الهاتف واتصل بالأركان.

فأجابه عامل الهاتف: نعم من؟، قال له: أنا العقيد حسن غنّام.

أجاب عامل الهاتف: إحترامي سيدي، ماذا تأمر؟

قال العقيد: أعطني الضابط المناوب.

حوّل عامل الهاتف الإتصال إلى الضابط المناوب، فسأله العقيد بعد السلام والتعارف:

هل هناك شيء؟

قال له: لا سيدي، لا يوجد شيء، الأمن مستتبّ. فالتفت إليّ، وقال لي: أسمعت يا ابن الحرام؟

قلت له: لا يا سيدي أعطني الهاتف. هنا أنا صرخت بالضابط المناوب، وقلت: هل أعدِم حسني الزعيم ومحسن البرازي؟

قال: نعم.

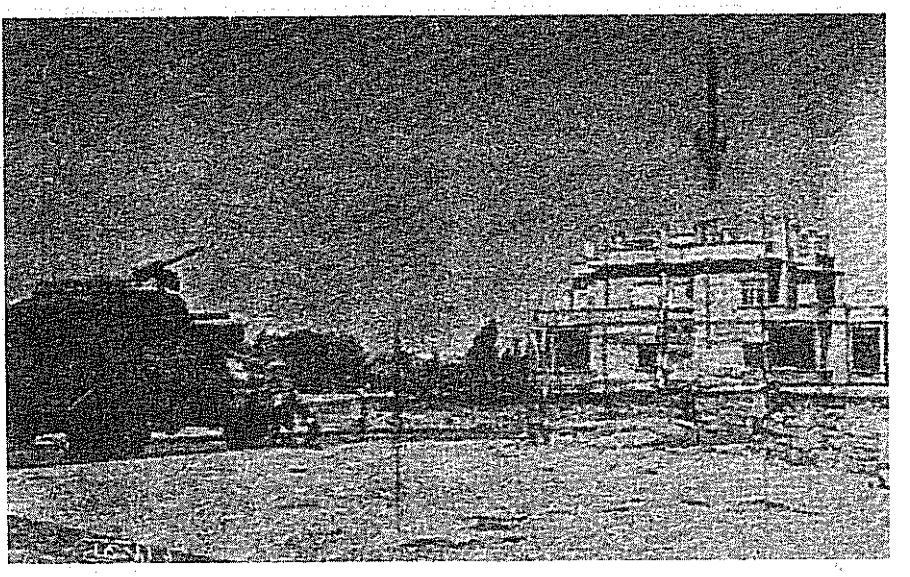

تطويق بيت حسني الزعيم بالدبابات واعتقاله

هنا قلت له: «أخبر سيادة العقيد بذلك»، وأعطيت الهاتف للعقيد، فأخبره الضابط المناوب. ضحك العقيد حسن غنّام ووضع سمّاعة الهاتف في مكانها وقام وقبّلني معتذراً ودقّ جرس الحرس، فأتى رئيس الحرس فطلب منه الإتيان بالطبيب ومدير الشرطة العسكرية في الحال واعتذر منهما وأخبرهما بالأمر.

عندما كنا في درعا، وقبل نقل الفوج 41 إلى إزرع كانت الخطّة بأن تلتحق الجمهرة الأولى بقيادة العقيد اليازجي بدرعا، والجمهرة الأولى تُعدّ أقوى قوة ضاربة في الجيش السوري، على أن تعدّ العدّة للسيطرة على الأردن، لأن جميع المؤشرات كانت تدل على ذلك. وذهابي لتنظيم شبكة اللاسلكي في درعا وعلى حدود الأردن لم تكن إلا لهذه الغاية. وكان حسني الزعيم قد اتفق مع الزعيم سعاده على دعم ثورته في لبنان، ولكن بعد تراجع حسني الزعيم عن هذه الخطّة وتسليمه الزعيم سعاده، لم تلتحق الجمهرة الأولى وانتقل الفوج 41 إلى إزرع.

هكذا انتهت هذه المرحلة بقتل حسني الزعيم ومحسن البرازي...

علمنا فيما بعد أن الضبّاط القوميين أديب الشيشكلي وفضل اللّه أبو منصور وعصام مريود قاموا باعتقال حسني الزعيم ومحسن البرازي واقتادوهما إلى المزّة، هناك بدأ حسني الزعيم يحاول رشوتهم بالمال.. فضحك الشيشكلي وقال له: «لا... لا، كل هذا لا ينفعك»، فبدأ محسن البرازي يرتجف، فقال له حسني الزعيم بالفرنسية: «لا تخف».. وقال لفضل اللّه أبو منصور: «أريد أن أشرب»، وكان بين العسكريين الحرس جندي معه مطرة مياه فقال له فضل اللّه أبو منصور: «اعطِهِ اياها»، وراح حسني الزعيم يشرب ويداه ترتجفان والمياه تشرشر على وجهه وثيابه، فتقدّم منه فضل اللّه أبو منصور وصفعه بالكفّ على وجهه، وقال له: «الزعيم سعاده لم يرتجف على خشبة الإعدام يا كلب»، هنا عرف حسني الزعيم لماذا سيعدَم وقال لمحسن البرازي: «رُحْنا». وسحب الضبّاط القوميون مسدساتهم وأعدموا حسني الزعيم ومحسن البرازي. وجرى دفنهما في قرية أم الشراطيط.

أخذ أديب الشيشكلي وفضل اللّه أبو منصور وعصام مريود جاكيت حسني الزعيم الملطّخة بالدماء وسلّموها إلى الأمينة الأولى، وقالوا لها: «هذا هو انتقامنا للزعيم سعاده».

الحزب القومي ورياض الصلح

بعد استشهاد الزعيم سعاده نتيجة المؤامرة المحاكة من يهود الداخل والخارج، إشتعلت نفوس القوميين الإجتماعيين غضباً، واتجهت آراء وأفكار العديدين منهم للإنتقام ممّن كان المسبّب والمخطّط والمنفّذ، وما محاولة اغتيال رياض الصلح، قرب فندق البريستول، على يدّ قوميّين هما توفيق رافع حمدان ويوسف حداد وبعض القوميين الآخرين إلا تعبير عن هذا الغضب، ولكنها منيت بالفشل.

رياض الصلح في عمّان:

في تموز من العام 1951، توجّه رياض الصلح إلى عمّان لمقابلة الملك عبدالله. فإذا كانت محاولة بيروت قد فشلت، فلا بدّ من غيرها ريثما يتمّ حكم الحقّ.

نزل رياض الصلح في فندق فيلادلفيا. وكانت الخطة تشمل الرفيق محمد أديب الصلاحي، وهو معاون ضابط في الأمن العام الأردني، والرفيق ميشال الديك، وهو صاحب مقهى بدرعا على الحدود الأردنية الشامية، وجاء الأخير بالرفيق سبيرو وديع ليعاونه في قيادة السيارة. لم يكن قد سبق لمحمد الصلاحي وميشال الديك أن التقيا، إنّما كان لدى كل واحد مواصفات الآخر وعلامة تعارف سرية مضاعفة. فإذا التقى الثلاثة، فالأمرة لمحمد أديب الصلاحي.

الشهيد ميشال الديك

رأى محمد أديب الصلاحي ميشال الديك قرب الفندق، فأوقفه واستجوبه وتعارفا. ثم التقى الثلاثة بسرية تامة. وتمّ توزيع الخطة والأوامر: يقود سبيرو وديع السيارة، ينفّذ محمد أديب الصلاحي، يحمي ميشال الديك الصلاحي وعند الحاجة ينفّذ عنه.

في 16 تموز ظهراً، تأهبّ رياض الصلح لمغادرة الفندق قافلاً إلى بيروت، فدخل ميشال الديك مع المودّعين إلى الفندق وتأكّد من رحيله. وتحرّك الموكب إلى المطار تتقدّمه درّاجات نارية. وتحرّكت سيّارة القوميين.

في مكان ما على طريق المطار، دفع سبيرو وديع بسيارته إلى قلب موكب رياض الصلح. وكان الصلح في السيارة مع الدكتور نسيب البربير ومحمد شقير والسائق. فلما حاذوا سيارة رياض الصلح أطلق محمد أديب الصلاحي النار على السيارة وقال «خذها من يد سعاده»، فأصاب رياض بعدّة طلقات نارية، فتوقّفت سيّارة رياض الصلح. ولكن حصلت صدفة غير متوقعة. كان قرب مكان الحادثة فصيلة من الجيش الأردني، فلحقوا بالسيارة المسرعة وأمطروها بنارهم فأصيبت الإطارات. وبعد مسافة توقفت سيارة القوميين ونزلوا منها لينسحبوا في الشول بعيداً عن الطريق العام. أصيب ميشال الديك في فخده، فترجّل الثلاثة وتبادلوا إطلاق النار مع الفصيلة المطارِدة حتى أوشكت الذخيرة على النفاد. فطلب ميشال الديك من الصلاحي أن يطلق عليه النار ليقتله بحسب الأوامر لئلا يقع أسيراً. فتردّد محمد الصلاحي. فلما أصرّ الديك قتله الصلاحي ثم أمر سبيرو وديع بالتسلّل والهرب إلى دمشق عبر الشول المحيط بهم فيما هو يحميه أثناء التراجع. فلما

أمّن محمد الصلاحي أن سبيرو قد تمكّن من الهرب واقترب الجنود منه، أطلق النار على نفسه وغاب عن الوعي. ونقله الجنود إلى المستشفى العسكري للعناية الفائقة، وتحت الحراسة المشدّدة. ولم يكن يدخل عليه سوى أطباء معيّنين وممرضة مختارة والجندي الخفير. بعد أيام، تحسّنت حالة الجريح وصار بإمكانه أن يتمتم وأن يفهم.

وكان من الأطباء المختارين الدكتور أمين تلحوق (وهو من الرعيل الأول في الحزب). ولما استوعب الجريح أين هو وأنّ السلطات ربما تحقّق معه في اليوم التالي، طلب الماء من الممرّضة، والتي وصلت إلى الغرفة لتجد دماء رفيقنا الزكيّة السائلة قرب سريره ويداه غائصتان في جراحه، حيث مزّق الجراح مرة ثانية ليستشهد قبل أن يصل المحققون. وهكذا استشهد محمد الصلاحي مرّتين مختاراً.

إنقلاب الشيشكلي

بعد الإنقلاب الذي نفّذه سامي الحناوي وأديب الشيشكلي على حسني الزعيم في 14 آب 1949، وفي صبيحة اليوم التالي، أي 15 آب 1949، أعلن الزعيم سامي الحناوي أنه يعود إلى وظيفته في الجيش ويترك الأمر للسياسيين ليتدبّروا أمور البلاد. وبعد مناقشات في الحكومة التي شكّلها هاشم الأتاسي، استقرّ الرأي على الدعوة إلى انتخابات جديدة لجمعية تأسيسية تضع دستوراً جديداً للبلاد وأعلنت الحكومة أنها حكومة إنتقالية تنتهي مهمّتها عند إتمام ذلك.

كان أبرز ردود الفعل العربية على مقتل حسني الزعيم إعلان بلاط مصر الحداد الرسمي عليه، في حين تريّثت الدول العربية الأخرى، ولم يعترف لبنان ومصر والسعودية بالوضع الجديد حتى 19 أيلول 1949.

إتضح بعد الإنقلاب أن الرأي العام الشعبي في دمشق أصبح مؤيداً للحزب السوري القومي الاجتماعي، لأنه يمثل أنطون سعاده الذي سلّمه حسني الزعيم ليعدَم في لبنان. إبتدأت الأوساط المثقّفة والسياسية والشعبية تسعى لأن تتعرّف إلى هذا الحزب ومبادئه وأن تتّصل بأعضائه المعروفين ولإيجاد علاقات معهم.

إجتمع المسؤولون الحزبيون في دمشق وتداولوا في أمر الإستفادة من هذه الموجة الشعبية المنفتحة على الحزب، وترشيح من يمثله في انتخابات الجمعية التأسيسية المقبلة، فاستقرّ الرأي على ترشيح عصام المحايري عن أحد المقاعد السنّية في دمشق. كان عصام المحايري في ذلك الوقت موّظفاً في المصرف الزراعي، فاستقال فوراً ليتمكّن من ترشيح نفسه.

تنفيذاً لوعدها السابق، أصدرت الحكومة قانون الانتخابات الذي أعطى المرأة حق الانتخابات وفي 1949/9/21 حدّد موعد انتخابات الجمعية التأسيسية يوم السبت الواقع في 5 تشرين الثاني 1949.

نظّمت هذه الانتخابات بصورة ضمنت حرية الاقتراع وعدم تدخّل أي جهة من الجهات في سيرها ونتائجها.

كانت هذه الانتخابات مناسبة غير منتظرة لإيقاظ عدد كبير من الأعضاء الذين كانوا قد انتموا للحزب منذ الثلاثينيات ولم يقوموا بأيّ نشاط بعد ذلك. توافدت أعداد كبيرة منهم إلى مكتب الحزب تعرض خدماتها وكانوا جميعاً مستعدّين لأن يقوموا بأيّة مهمة لإنجاح مرشح الحزب.

وبنتيجة الانتخابات، لم يخب أملنا، إذ أنّ دمشق قد عبّرت عن اعتذارها وأسفها لما قام به حسني الزعيم من تسليم سعاده إلى لبنان لإعدامه، فحصل عصام المحايري على مجموع من الأصوات جعله بين الفائزين الثلاثة الأوائل وأصبح للحزب السوري القومي الاجتماعي أول ممثل رسمي نجح باسم الحزب في مجلس نيابي سوري بانتخاب شعبي حرّ. في هذه الانتخابات لم يتمكن حزب البعث العربي من الفوز إلا بمقعد واحد هو مقعد جلال السيد في دير الزور، وفشل من مرشحيه كل من ميشيل عفلق وصلاح الدين البيطار في دمشق ووهيب الغانم في اللاذقية، وخالد بكداش مرشح الحزب الشيوعي في دمشق. وإذا أعدنا النظر في هذه الظاهرة لا يمكننا إلا أن نؤكّد أن استشهاد سعاده ودمه وموقفه البطولي وهو على خشبة الاعدام قد فعلت فعلها في الشعب السوري، وأعطت الثمار التي لا بد أن يكون سعاده قد أكد أنها سوف تؤتى إما قريباً أو بعيداً، معبّراً عن ذلك بقوله إنكم ملاقون أعظم انتصار لأعظم صبر في التاريخ.

في 12 كانون الأول 1949، عَقدَت الجمعية التأسيسية الجديدة جلستها الأولى ووضعت دستوراً مؤقتاً يتمّ بموجبه انتخابات رئيس الدولة وبعد إقرار هذا الدستور المؤقّت انتخبت هاشم الأتاسي رئيساً للدولة. وكلف الأتاسي خالد العظم بتشكيل الوزارة فشكّل وزارة ائتلافية من كل الأحزاب والمستقلين في أواخر 1949.

بعيد افتتاح الجمعية التأسيسية التي كان يسيطر عليها حزب الشعب،

اشتدت الدعوة إلى الاتحاد بين العراق وسورية وطرح هذا المشروع طرحاً علنياً، وبدا كأنّ هناك سباقاً في سورية بين المؤيدين له يستندون إلى قائد الجيش سامي الحنّاوي وعديله أسعد طلس، أما المعارضون لهذا الاتحاد فكانوا يرتكزون إلى كتلة من ضباط الجيش وخاصة العقداء منهم وعلى رأسهم أديب الشيشكلي قائد اللواء الأول والعقيد أمين أبو عساف الذي يسيطر على معسكرات القابون المحاذية لدمشق. كان حزب الشعب يتمتع بأكثرية في المجلس النيابي غير أنه لم يكن يستند إلى أي تنظيم عسكري مؤثر، في حين أن المعارضين للاتحاد مع العراق كانوا يستندون إلى قوى عسكرية ضاربة ومتمرّسة في تنفيذ الانقلابات. كان العراق على ما يبدو مستعجلاً للوصول إلى الاتحاد، ففي الثامن والعشرين من تشرين الثاني، قررت الهيئة البرلمانية لحزب الشعب اتخاذ خطوة حاسمة ومجابهة قوى الجيش وتشكيل حكومة برئاسة الشيخ معروف الدواليبي الذي يتسلم أيضاً وزارة الدفاع الوطني، كما أعطيت وزارة الداخلية للسيد أحمد قنبر المعروف بقوة شخصيته وهجومه المستمر على العسكريين. يظهر أن أديب الشيشكلي كان على اتصال خاص مع أحد قادة حزب الشعب الذي أبلغه كل ما دار في اجتماع الهيئة البرلمانية للحزب وقرار تشكيل الحكومة بهذا الشكل.

وفي ليل 18 ـ 1949/12/19، كان الفريقان المتنافسان في الجيش قد استنفرا قواتهما وكل منهما يحاول أن يقوم بانقلاب لمصلحته، ولكن الموالين للعقيد أديب الشيشكلي كانوا أوسع حيلة وأسرع تحركاً مما أمّن لهم السيطرة على معسكرات القابون وحركة الانقلاب، وفي صباح 1949/12/19 أذاع راديو دمشق البلاغ رقم (1) الذي أعلن فيه عن اعتقال سامي الحنّاوي وعديله أسعد طلس حرصاً على سلامة البلاد وحفاظاً على نظامها الجمهوري وأعلن «أن ليس للجيش أية غاية أخرى ويعلن أنه يترك أمر البلاد في أيدي رجالها الشرعيين».

وقد وقّع هذا البيان العقيد أديب الشيشكلي منفرداً، وظهر فيما بعد أن هذه الحركة كان يساندها عدد كبير من كبار ضباط الجيش من مختلف الرتب العسكرية.

بعد هذا الإنقلاب، عيّن أنور بنود رئيساً للأركان العامة بدلاً من اللواء سامي الحنّاوي، والعقيد أديب الشيشكلي معاوناً لرئيس الأركان، وغسان جديد

مديراً لشرطة الجيش والعقيد محمد ناصر قائداً لسلاح الطيران، كما أعلن الناطق بلسان الأركان العامة أن الجمعية التأسيسية وحدها لها حق توجيه السياسة السورية وأن قوات الجيش قد عادت إلى ثكناتها، كما صرح ناطق باسم الجيش بما يلي: «إذا كانت الغاية من مشروع الاتحاد السوري العراقي اتحاد الشعبين فالشعب السوري بأجمعه يؤيدها ويندفع إلى تحقيقها بكامل قوته ولكن الحقيقة أنّ الدعوة ترمي إلى إقامة عرش في سورية يتربع عليه شخص». ويقصد بهذا الشخص الأمير عبد الإله الوصي على عرش العراق.

أدّى هاشم الأتاسي القسم الدستوري يوم 1950/1/7، وتشكّلت لجنة لوضع الدستور برئاسة ناظم القدسي.

ومع أن العقيد أديب الشيشكلي قد عيّن رسمياً معاوناً لرئيس الأركان، إلا أنه في الواقع كان القوة الفعلية في الجيش والمحرّك الرئيسي لكلّ ما يجري فيه.

في دورة آذار 1950 للجمعية التأسيسية، ابتدأ بعض النواب، وعلى رأسهم، حسني البرازي وجلال السيد وسعيد حيدر، يطالبون بالاتحاد مع العراق كما تعرض بعضهم وخاصة منير العجلاني لتدخل الجيش في الشؤون السياسية.

كان الصراع على سورية قد بلغ أشده بين الاتجاه الوحدوي مع العراق والاتجاه المعارض له للحفاظ على الكيان السوري كما هو، وتشكلت بين الدول العربية جبهتان: الأولى أقواها وتتألف من السعودية ومصر هدفها المحافظة على الوضع الراهن في الدول العربية ويساندها معظم ضباط الجيش السوري وعلى رأسهم أديب الشيشكلي، والثانية تدعو إلى وحدة سورية مع العراق وهي تتألف من الهاشميين ولم يكن لها أي سند عسكري في سورية بعد ذهاب الحناوي. (سامي الخوري ـ أمل لا يغيب، ص 187 ـ 195).

في منتصف عام 1950 هزت دمشق جريمتان لم تألف دمشق لهما مثيلاً. الأولى اكتشاف جثة إمرأة مقتولة وموضوعة في كيس خيش وملقاة في ساقية تمر في أحد النوادي المعروفة في دمشق، ولم تظهر التحقيقات أي شيء عنها سوى أنها كانت على اتصال مع أحد أجهزة المخابرات الأجنبية، ووردت الشائعات أنها على صلة مع إبراهيم الحسيني، وفي آخر شهر تموز 1950 وُجد العقيد محمد ناصر آمر سلاح الجو السوري مصاباً بعيارات نارية وملقى في

منطقة كيوان القريبة من دمشق. كان العقيد ناصر عضواً في مجلس العقداء الذي شُكّل بعد نجاح انقلاب الشيشكلي لإدارة شؤون البلاد وكان علوياً ومن أبرز الضباط في الجيش السوري ويعمل لمصلحته الخاصة وخارجاً عن الكتلة التي يرأسها أديب الشيشكلي وظهر كأنه منافس قوي له.

عندما اكتشف كان لا يزال حياً ونقل إلى المستشفى الفرنسي للمعالجة وقيل إنه كتب على ورقة قدمت إليه اسم المقدم إبراهيم الحسيني والملازم عبد الغني قنوت وهما من ضباط المكتب الثاني، كما سرت شائعة تقول إنه قبل أن يلفظ أنفاسه الأخيرة في المستشفى أشار للعقيد توفيق نظام الدين ومن تولى إسعافه إشارات تدل على أن قاتله هو المكتب الثاني، وقد أجريت له عملية جراحية توفي على أثرها وقيل إنّ هذه الورقة التي تسلمها المحقق العسكري قد اختفت. اعتقل المقدم إبراهيم الحسيني والملازم عبد الغني قنوت وابتدأ التحقيق معهما من قبل القضاء العسكري كما شكلت محكمة خاصة للنظر في هذه القضية على رأسها قاضٍ مدني وعضوان عسكريان. وبعد شهور من المحاكمات أصدرت المحكمة قرارها بالبراءة مع مخالفة رئيسها المدني. تركت هذه القضية آثاراً سيئة في البلاد عامة، خاصة بين الضباط والطائفة العلوية إذ شعر العلويون، ولم يكتموا هذا الشعور، بأن قادتهم مستهدفون. أما إبراهيم الحسيني فقد توفي بعد سنوات بحادث سيارة في روما. (سامي جمعة، أوراق من دفتر الوطن 1946 ـ 1961 ص 113 ـ 114).

"وأذكر قبل حادثة إغتيال العقيد محمد ناصر بثلاثة أيام كنت مع بعض الأصدقاء نحضر مباراة كرة قدم في الملعب البلدي وبعد إنتهائها وخروج الحضور المشجع رأيت العقيد ناصر والمقدم إبراهيم الحسيني يقفان في أحد جوانب الملعب ويتحدثان بلهجة الخلاف واقتربنا منهما سمعت المقدم الحسيني يقول للعقيد ناصر «أنت من دعاك إلى هنا». استغرب العقيد ناصر هذه اللهجة وقال له: «عندما تتكلم معي عليك أن تقف باستعداد» فسخر المقدم الحسيني من كلامه وعندها التفتَ المقدم الحسيني نحونا فتفاجأ بوجودنا وانهى المجادلة وانصرف غاضباً.

بعد أن أنهت الجمعية التأسيسية مهمتها الدستورية وبعد إبرام الدستور

أصدرت بتاريخ 1950/9/4 قراراً تعلن فيه أن مهمتها قد انتهت فور إبرام الدستور وأنها تتحول إلى مجلس نيابي يمارس الصلاحيات المنصوص عنها في الدستور، وتبدأ دورة المجلس الجديد ومدتها أربع سنوات من أول تشرين الثاني 1950.

وفي أيلول 1950 انتخبت الجمعية التأسيسية هاشم الأتاسي رئيساً للجمهورية وبعد انتخاب الرئيس الأتاسي تمّ التفاهم بين الجيش وحزب الشعب، وفي 30 تشرين الأول 1950 اغتيل اللواء سامي الحناوي في بيروت من قبل حرشو البرازي ثأراً لابن عمه محسن البرازي الذي أعدم مع حسني الزعيم.

أما بالنسبة للوضع الحكومي فكانت حكومة خالد العظم التي شكلت عام 1949 لا تزال تحكم باتفاق بين الأحزاب، وكان حزب الشعب صاحب الأكثرية يناصب الحزب الوطني العداء في المجلس فاستقال رشدي الكيخيا (حزب الشعب) من رئاسة المجلس النيابي وانتخب مكانه معروف الدواليبي بدعم من النواب التقدميين.

طرح الدواليبي فكرة حكومة إئتلافية تتألف من حزب الشعب ومصطفى السباعي عن الجبهة الاشتراكية الإسلامية وأكرم الحوراني عن الحزب العربي الاشتراكي وجلال السيد عن حزب البعث العربي، وعصام المحايري عن الحزب السوري القومي الاجتماعي مع عدد من المستقلين، وعندما انتشر أمر هذه المحاولة تعرض الدواليبي ومخططه لهجوم من جميع الفئات الرجعية، فتخلى عنها وبقي خالد العظم يدير حكومة ضعيفة عاجزة ومن أهم المشاكل التي واجهها خالد العظم إضراب الموظفين الذي شلّ مرافق الدولة. ونتيجة لهذا الإضراب كلّف هاشم الأتاسي فارس الخوري بتشكيل حكومة دون أن يقدم خالد العظم إستقالة حكومته.

كان حزب الشعب يصرّ على تسليم جهاز الدرك والشرطة لوزارة الداخلية وفصله عن الجيش. من أجل هذا اجتمع فارس الخوري مع العقيد الشيشكلي الذي قال إن لا مانع لديه من إعادة إرتباط الدرك بالداخلية حين يتقدم بمشروع قانون إلى المجلس النيابي لأنّ فصل الدرك عن وزارة الداخلية وربطه بوزارة الدفاع كان قد تمّ بموجب مرسوم تشريعي في عهد حسني الزعيم.

وفي 6 آب 1951 قدم فارس الخوري اعتذاره لعدم تمكنه من تشكيل الحكومة لتضارب مطالب الأحزاب البرلمانية، وفي اليوم ذاته سافر أديب الشيشكلي منفرداً إلى السعودية حيث قابل الملك عبد العزيز آل سعود وكانت السعودية قد توقفت عن دفع القسط الثاني من قرضها لسورية ما أوقع سورية في أزمة مالية صعبة وخاصة فيما يتعلق بتكاليف وزارة الدفاع.

بعد اعتذار فارس الخوري توجّه عدد من النواب بينهم أكرم الحوراني ومصطفى السباعي وعصام المحايري وجلال السيد إلى القصر الجمهوري، مذكرين هاشم الأتاسي بعدم جواز إبقاء البلاد بدون حكومة في هذه الظروف الصعبة، فأخبرهم الأتاسي أنه قد كلف حسن الحكيم بتأليف حكومة جديدة، قاطعاً بذلك الطريق على معروف الدواليبي وكتلته التحريرية، وبعد عودة الشيشكلي من السعودية عقد اجتماعاً مع هاشم الأتاسي وحسن الحكيم وفوزي سلو وأعلن تشكيل حكومة حسن الحكيم في9 آب 1951. أدلى أديب الشيشكلي بعد عودته بتصريح أشار فيه إلى أن السعودية أفرجت عن القسط الثاني من القرض السعودي وحصل على وعد بعدم إيقاف المساعدة السعودية في المستقبل وصرح أن سورية توافق على الاتحاد بين سورية والأردن إذا تخلصت الأردن من المعاهدة مع بريطانيا.

ابتدأ أديب الشيشكلي بعد هذه الزيارة يميل بصورة واضحة إلى المحور السعودي المصري.

وفي شهر أيلول 1951 تابع الدواليبي رئيس المجلس النيابي بذل جهود مضنية لإقامة جبهة وطنية تقدمية تشتمل على العناصر التقدمية من حزب الشعب والجبهة الاشتراكية الإسلامية والحزب العربي الاشتراكي وحزب البعث العربي والحزب السوري القومي الاجتماعي الذي كان يبذل كل ما في وسعه ومع جميع الجهات، لإنجاح هذا المشروع.

عقدت اجتماعات مكثفة لتشكيل هذه الجبهة ولكن القوى التقليدية المعارضة لهذا الاتجاه كانت تعرقل هذه المحاولات التي لم تسفر في النهاية عن أي شيء.

من أهم العراقيل التي كانت تزيد الوضع تعقيداً إصرار حزب الشعب على إلحاق الدرك بوزارة الداخلية وعدم القبول بأية تسوية لهذا الموضوع. ومن

المعروف أن قوات الدرك يمكن أن تلعب دوراً حاسماً في الانتخابات خاصة في الأرياف.

كان الشعور سائداً في دمشق بأن الأوضاع تسير بسرعة إلى صدام بين أديب الشيشكلي وحزب الشعب، وفي الجلسة التالية التي عقدها مجلس النواب بتاريخ 1 تشرين الأول أقصى الدواليبي في الانتخابات الدورية عن رئاسة المجلس وحل محله ناظم القدسي (حزب الشعب). وكان ذلك ضربة قوية لمعروف الدواليبي وتوجهاته التقدمية.

وفي 28 تشرين الثاني 1951 عاد رئيس الجمهورية فكلف معروف الدواليبي ثانية بتشكيل الحكومة.

كان حزب الشعب في هذه الأثناء قد وحّد صفوفه واتفق مع الجبهة الإسلامية وكتلة المستقلين ورئيس الجمهورية على أن يشكّل معروف الدواليبي حكومة مجابهة مع أديب الشيسكلي، وأن تقدم هذه الحكومة مشروع قانون بإلحاق قوى الأمن الداخلي بوزارة الداخلية، وهذا إحراج واضح لأديب الشيشكلي فإما أن يقبل بالقانون الصادر عن مجلس النواب أو أن يقدم على القيام بانقلاب عسكري يستلم فيه مسؤوليات الحكم مباشرة.

ألف معروف الدواليبي حكومته من أعضاء حزب الشعب والجبهة الإسلامية والمستقلين وتسلم أيضاً وزارة الدفاع وصدرت مراسيم تشكيل الوزارة فور تكليف الدواليبي بتشكيلها.

لم تعمر حكومة الدواليبي غير يوم واحد ففي ليلة 29/11/1951 حدث انقلاب أديب الشيشكلي الذي استولى فيه على السلطة في سورية، وكان إحسان حصني الأمين العام للحزب العربي الاشتراكي قد سهر مع أديب الشيشكلي تلك الليلة حتى الفجر. وفي تلك الليلة، اعتقل الدواليبي مع عدد من الوزراء، وحسب العادة صدر في صباح اليوم التالي البلاغ رقم (1) «الذي تحيط فيه رئاسة الأركان العامة الشعب السوري الكريم علماً بأن الجيش قد استلم زمام الأمن في البلاد» وهو موقّع من رئيس الأركان العامة العقيد أديب الشيشكلي وتاريخه دمشق في 29 تشرين الثاني 1951: وتبع هذا البيان بيان مطول من رئاسة الأركان يهاجم حزب الشعب ويبيّن أغراضه المستترة، ويرفض أن يكون الجيش أداة طيّعة للقضاء على استقلال سورية وتحطيم جيشها وإنشاء عرش جديد فيها.

وفي ذلك اليوم 29 تشرين الثاني 1951 استدعى العقيد أديب الشيشكلي ممثلي الأحزاب والكتل البرلمانية إلى اجتماع في الأركان العامة، وتلا اجتماع الأركان هذا زيارة من أديب الشيشكلي لرئيس الجمهورية مع عدد من النواب وعندما استعصى الحل سمح للدواليبي بالاجتماع برئيس الجمهورية فوضع استقالته بين يديه.

بعد محاولة فاشلة لتشكيل الوزارة استقال هاشم الأتاسي من رئاسة الجمهورية وقام أديب الشيشكلي بحلّ المجلس النيابي وصدر البلاغ رقم (2) بتاريخ 1951/12/2 موقّعاً من الشيشكلي، وفي هذا البلاغ يتهم الشيشكلي حزب الشعب بأنه وقف عائقاً في سبيل حل الأزمة الدستورية متمسكاً بكراسي النيابة، وكانت أولى خطوات المجلس العسكري الأعلى الجديد تعيين فوزي سلو رئيساً للأركان العامة رئيساً للمجلس العسكري الأعلى ونقله إلى رئاسة الدولة، في حين بقي الشيشكلي رئيساً للأركان رئيساً للمجلس العسكري الأعلى.

تلا ذلك أمر عسكري رقم (1) صادر عن المجلس العسكري الأعلى يقول «بناءً على استقالة فخامة رئيس الجمهورية السورية وعدم وجود حكومة في البلاد تتولى شؤونها» يأمر المجلس الأعلى بما يلي:

1 ـ يتولى رئيس الأركان العامة فوزي سلو رئيس المجلس العسكري الأعلى مهام رئاسة الدولة ويتمتع بكافة الصلاحيات الممنوحة للسلطة التنفيذية.

2 ـ تصدر المراسيم اعتباراً من 2 كانون الاول 1951 عن رئيس الأركان العامة رئيس المجلس العسكري الأعلى الذي بقي أديب الشيشكلي يشغله.

تشكّلت في هذه الفترة حول أديب الشيشكلي مجموعة ثلاثية تتألف من قدري قلعجي وهو شيوعي بارز أخفى شيوعيته وظهر بمظهر الوطني الغيور على العهد ومن أحمد عسة وكان قد عيّن مديراً للإذاعة السورية وهو شخص نكي بارع في الوصول إلى أهدافه أما الثالث فكان نزيه الحكيم وهو يساري معروف وبعضهم يقول إنه شيوعي ملتزم. (سامي الخوري ـ أمل لا يغيب ص 198 ـ 212).

بعد الاجتماعات التي عقدت لمحاولة حل الأزمة الناشئة عن انقلاب الشيشكلي واعتقاله لمعروف الدواليبي وعدد من وزرائه، تكونت لدى أكرم

الحوراني قناعة أن الحزب السوري القومي الاجتماعي قريب جداً من أديب الشيشكلي وأن هذا الحزب هو الذي حرض على الانقلاب، رغم أن إحسان حصني الأمين العام للحزب العربي الاشتراكي هو الذي سهر منفرداً مع أديب الشيشكلي ليلة الانقلاب حتى الصباح.

قناعة أكرم الحوراني هذه جعلته يشعر أنّ ما كان يقول به أديب الشيشكلي في السابق من أن الحزب العربي الاشتراكي وحزب البعث متّحدين والحزب السوري القومي الاجتماعي هي القاعدة التقدمية التي سوف يستند إليها في إدارة عهده قد تبدد، كما أيقن أنه هو قد أصبح خارج لعبة أديب الشيشكلي السياسية (مذكرات أكرم الحوراني الجزء 2 ص 1458 ـ 1460).

تفكك الجبهة التقدمية بشقيها العسكري والمدني كان نقطة تحول حاسمة في تاريخ سورية الحديث إذ إن القوى التقدمية في سورية انصرفت بعد ذلك إلى محاربة بعضها بعضاً تاركة للقوى الرجعية مجال العمل الحر والهجوم على هذه القوى التقدمية واحدة بعد الأخرى، كما تركت أديب الشيشكلي فريداً وحيداً منعزلاً في موقعه السياسي الشائك، فوقع تحت تأثير الثلاثي الذي كان يحيط به ويصوّر له أنّ بإمكانه أن يقيم حكماً ثابتاً ومستديماً بدون القوى التقدمية التي ساندته منذ البدء وبمعزل عن القوى التقليدية التي خاصمته لن يتمكن مهما حاول من استمالتها أو الاعتماد عليها.

عندما يشعر الحاكم أنه وحيد منعزل يلجأ، حفاظاً على موقعه وحكمه، لتدابير بعيدة عن المسلك الديمقراطي مما يزيده بعداً عن الشعب وانغماساً في وحدته وتفرّده. كان فاتحة هذه التدابير عند الشيشكلي إصدار مرسوم في أول شباط 1952 يحظر فيه على أي طالب في معهد جامعي أو في مدرسة رسمية أو خاصة الانتماء إلى أي حزب من الأحزاب أو القيام بأي نشاط سياسي أو الاشتراك في الاضراب والتظاهر تحت طائلة عقوبات الطرد المؤبد والسجن والغرامة النقدية. ما يجعل هذا المرسوم رؤساء الأحزاب مسؤولين عن سماحهم للطلاب بالانتماء إلى أحزابهم.

استمرار أكرم الحوراني في الهجوم على نظام الشيشكلي أدى في النهاية إلى ردة فعل من الشيشكلي فأصدر أمراً في أوائل نيسان 1952 باقفال جريدة «الاشتراكية» أرفقه بمرسوم آخر صادر عن فوزي سلو بتاريخ 1952/4/6 بحل الأحزاب السياسية في سورية.

بعد حل الأحزاب واتجاه المعارضة التي بات يتزعمها أكرم الحوراني إلى العمل السري اختفى أكرم الحوراني عن الأنظار في أواخر عام 1952 وأن كان من المعروف أنه لا يزال في دمشق.

بعد الحظر السياسي على الطلاب تابع أديب الشيشكلي سيره في طريق الحكم العسكري المتسلط، فأصدر قراراً يحظر فيه على الموظفين الانتماء إلى الأحزاب السياسية، ويظهر أن أكرم الحوراني رأى في ذلك ضربة موجهة إليه مباشرة، فاشتدت حملته على الثنائي أديب الشيشكلي - فوزي سلو.

ابتدأت في أوائل عام 1952 اتصالات بين الحزب العربي الاشتراكي وبعض أفراد حزب البعث حول توحيد الحزبين وتشكيل نواة جبهة معارضة لأديب الشيشكلي، تقدمية الاتجاه عروبية المبدأ. وعلى عكس ما كان واقعاً قبل سنوات قليلة استثني الحزب السوري القومي الاجتماعي من هذه الجبهة على اعتبار أنه «حزب أديب الشيشكلي». حسبما كانوا يظنون.

لم يقم الحزب السوري القومي الاجتماعي بأية محاولة لإعادة تشكيل الجبهة التقدمية كما كانت قبل انقلاب الشيشكلي أو أية محاولة لأن تلعب دوراً مستقلاً أو قيادياً على الصعيد السياسي والشعبي، ويبدو أن الفكرة القديمة التي كانت تراود الشيشكلي بأن يعتمد على الحزب العربي الاشتراكي والحزب السوري القومي الاجتماعي قد انهارت كلياً في فكر الشيشكلي واكتفى بعدم التعرض للحزب السوري القومي الاجتماعي، في حين أنه لاحق الأحزاب المعارضة الأخرى وهذا ما رسخ في الأفكار أننا كنا بالفعل «حزب أديب الشيشكلي» كما أنه بذلك لم يعطِ الحزب ذريعة لمهاجمته مما أدّى إلى تحييد الحزب كلياً عن الساحة السياسية، وهذا أسوأ ما كان يمكن للحزب أن يقع فيه (سامي الخوري، أمل لا يغيب ص 214 ـ 218).

في هذه الأثناء يحدث اختلاف بين الشيشكلي ورئيس الحزب السوري القومي الاجتماعي جورج عبد المسيح لأن الشيشكلي كان سيشكّل حكومة من أعضائها عصام المحايري للدفاع والياس جرجي قنيزح للداخلية، وهذان الاثنان لم يكن جورج عبد المسيح راضياً عنهما، ورفض استقبال الشيشكلي عندما ذهب لزيارته في مركز الحزب، وجعله ينتظر في الخارج بحجة أنه مشغول ولديه اجتماع وأنه أتى دون موعد مسبق.

وبعد هذه الحادثة غضب أديب الشيشكلي وانقطع عن الحزب.

هذا الخلاف الذي استغلّه شوكت شقير وأخذ يتقرّب من جورج عبد المسيح ليعمّق الشرخ الحاصل بين أديب الشيشكلي ورئيس الحزب السوري القومي الإجتماعي.

إنقطاع الشيشكلي عن الحزب السوري القومي الإجتماعي، وابتعاد القوى الحزبية المنظمة عن دائرة حكمه، جعلاه يشعر بحاجته الملحّة لحركة شعبية تؤيده تأييداً مطلقاً وتدين له بالولاء الكامل. وهكذا ابتدأ أديب الشيشكلي في شهر نيسان 1952 بتشكيل حزب خاص به دعاه «حركة التحرير العربي».

أما بالنسبة لمصر، ففي منتصف العام 1952 حدث انقلاب فيها قادته مجموعة من الضباط سمّيت بحركة الضباط الأحرار.

وفي لبنان تعاظمت في العام 1952 المعارضة لحكم بشارة الخوري، وكانت جبهة المعارضة تضمّ كميل شمعون وكمال جنبلاط والحزب السوري القومي الإجتماعي، وكان الإجتماع الحاسم في دير القمر، والذي أدّى إلى استقالة بشارة الخوري من رئاسة الجمهورية في 8/ 9/ 1952. وبتاريخ 23/ 9/ 1952، إنتخِب كميل شمعون رئيساً للجمهورية.

نهاية حكم الشيشكلي

في تشرين الثاني 1953، عاد قادة حزب البعث العربي الإشتراكي[1] أكرم الحوراني وميشيل عفلق وصلاح البيطار فجأة من روما إلى دمشق عن طريق الجو.

وفي غمرة الجدل الدائر حول الدستور السوري الجديد وانتخاب رئيس الجمهورية، عاد حزب الشعب والحزب الوطني إلى المعارضة والتحالف مع حزب البعث العربي الإشتراكي. وبتاريخ 1953/7/4، إنعقد في حمص مؤتمر لهذه القوى السياسية التي ابتدأت تشكل المعارضة الموحّدة لنظام أديب الشيشكلي، انضم إلى هذه الأحزاب سلطان باشا الأطرش قائد الثورة السورية عام 1925 فأرسل مذكرة إلى مؤتمر حمص صادرة بتاريخ 1953/6/20 يعلن فيها انتداب بعض المناضلين من جبل الدروز لحضور هذا المؤتمر، ويباركه ويتمنى له التوفيق في إعادة الحريات والحياة الدستورية الصحيحة.

بتاريخ 1953/7/19 ألف الشيشكلي حكومة جديدة أدخل فيها عدداً كبيراً من المستقلين وبعض الحزبيين المعتدلين من حزب الشعب والحزب الوطني وفي آخر شهر تموز 1953 أصدر قانون الإنتخابات النيابية الجديدة وحدّد تاريخ 1953/10/9 موعداً لإجراء الإنتخابات النيابية.

كان الإعلان عن الانتخابات النيابية إشارة لانطلاق العمل السياسي العلني

---

(1) في 1952/1/13، اندمج حزب البعث العربي والحزب العربي الإشتراكي، في حزب واحد تحت اسم حزب البعث العربي الإشتراكي.

تحضيراً لهذه الانتخابات، ولما كان الشيشكلي لم يتخذ أي إجراء إداري ضد الذين عقدوا مؤتمر حمص الأول فإنهم عادوا للتجمع واتخذوا من إعلانهم هذا ميثاقاً وطنياً أعلنوه بتاريخ 1953/9/17 ووقعت عليه جميع الأحزاب التي اشتركت في المؤتمر، وقد أعلن كل من هاشم الأتاسي وسلطان الأطرش تأييدهما لهذه الجبهة الجديدة وهذا الميثاق الوطني، وكان من أهم بنوده شجب الحكم الفردي واعتبار ما صدر عنه غير ملزم للبلاد وإقامة أوضاع ديمقراطية دستورية جمهورية نيابية تنبثق عن انتخابات صحيحة حرّة.

حصلت الانتخابات النيابية ولم ينجح للحزب السوري القومي الاجتماعي سوى المرشح زكي نظام الدين الذي أعلن المحافظ نجاحه قبل وصول تعليمات وزارة الداخلية باسقاط جميع المرشحين من غير حركة التحرير. أما المرشحون الآخرون في جميع المناطق السورية فلم يحالفهم الحظ في النجاح ومنهم عصام المحايري وبديع إسماعيل. (سامي الخوري ـ أمل لا يغيب، ص: 233 ـ 238 ـ 240 ـ 242).

وبعد إجراء الانتخابات والتلاعب بتزوير نتائجها أخذت فكرة الثورة تجول في أوساط المعارضة التي انبثقت من مؤتمر حمص، وفي وسط هذا الاحتقان والتوتر كان الاضطراب في دمشق بلغ أشده، كما أنه خرجت مظاهرات بشكل احتجاجات شعبية في جبل الدروز. أراد أديب الشيشكلي أن يخمد هذه المظاهرات بأسرع وقت ممكن، فأرسل رئيس الأركان شوكت شقير فرقة من الجيش لمحاصرة السويداء، وأثناء هذه الفوضى استشهد لنا الرفيق جهاد الأطرش في 1/ 2/ 1954. وكنت أتلقى البرقيات من رئيس الأركان شوكت شقير وأرسلها إلى آمر القوة في السويداء، وكانت البرقيات تقول: بإعادة الأمن إلى القرى المتمردة، وبالفعل لم يكن هناك أحداث بهذه الخطورة بل هي كانت احتجاجات شعبية لا أكثر لكن هذه البرقيات التي ترسل من الأركان إلى السويداء كانت مسموعة من كافة الألوية في المحافظات لأن مركز اللاسلكي في الأركان هو المحطة الرئيسية وأي شيء يرسل منه تستلمه الوحدات الفرعية كافة في جميع المحافظات. وجميع هذه البرقيات كانت ممهورة بتوقيع شوكت شقير وكانت آخر برقية تقول اقصفوا

القرى المتمردة بمدافع الميدان.

هنا اتصلوا بشوكت شقير وسألوه: «ماذا تفعل وما هذه البرقيات التي نسمعها». فأجاب: «الأوامر من فوق».

هنا بدأت الثورة ضد الشيشكلي وأول برقية محتجة كانت من حلب، من العميد أمين أبو عساف. ثمّ توالت البرقيات تسأل شوكت شقير الذي كان يجيب بأنه يأخذ أوامره من الشيشكلي، بينما هذا الأخير لم يكن لديه علم بقصف القرى بالمدافع.

ولكن شقير لغاية في نفسه كان يجيب الذين يسألونه بأن لديه أوامر من الشيشكلي، وذلك بهدف توريطه ومن ثمّ ازاحته من الحكم.

بعد ذلك بدأت تأتي يومياً البرقيات وبالتتالي إلى مركز اللاسلكي من كل المناطق الرئيسية في المحافظات تقول بأنها تستنكر حكم أديب الشيشكلي، وتؤيد رئيس الأركان العامة العميد شوكت شقير.

كان الرئيس الشيشكلي يمضي معظم أوقاته في مكتبه. في الأركان وعندما سلمته البرقيات سألني: «من أين تأتيني بهذه البرقيات!؟».

عندما أتى أول عصيان من حلب اتصل الشيشكلي بقيادة الطيران وطلب أن يتم تحضير 8 طائرات تكون جاهزة بانتظار أمره لأنه يريد أن يقصف حلب.

ولما توالت البرقيات من كل المحافظات، اتصل الشيشكلي بقيادة الطيران وألغى استنفار الطائرات.

وفي مساء يوم 1954/2/25 عقد أديب الشيشكلي في منزله اجتماعاً ضم رئيس الوزراء ورئيس المجلس النيابي مأمون الكزبري وعدداً من نواب حركة التحرير والممثل الوحيد للحزب السوري القومي الاجتماعي في المجلس زكي نظام الدين، وكان زكي نظام الدين قد تلقى قرار الحزب بأن على الشيشكلي أن يذهب حقناً للدماء.

سأل أديب الشيشكلي الجميع رأيهم واحداً واحداً وكان زكي نظام الدين آخر من سألهم، فقال له: «فخامة الرئيس من الأفضل أن تذهب» فكرر الشيشكلي عليه سؤاله: «هذا رأيك؟» فأجاب: «نعم فخامة الرئيس». وأظن أن أديب الشيشكلي بسؤاله الثاني كان يسأل عن رأي الحزب وليس عن رأي زكي نظام الدين.

كان رئيس الأركان شوكت شقير موجوداً في هذا الاجتماع، فأعلن أديب الشيشكلي تصميمه على الاستقالة ومغادرة البلاد وسلم كتاب الاستقالة لرئيس الأركان شوكت شقير لإذاعته. غادر أديب الشيشكلي دمشق بعد انتهاء الاجتماع مع النواب حوالي الساعة التاسعة مساء (سامي الخوري ـ أمل لا يغيب الصفحة 251).

وبعد الإجتماع جاء شوكت شقير إلى مقرّ الأركان العامة. وبعد منتصف الليل، أطلق سراح جميع المعتقلين السياسيين في مستشفى المزة، وطلبني للمرة الأولى إلى مكتبه في الأركان العامة وأعطاني برقية كتب عليها تعميم: «إنتظروا بلاغاً هاماً»، وقال لي أن أبلّغ الإذاعة بأن تذيعها كل ثلاث دقائق وإبلاغ هذه البرقية إلى مركز المحافظات بواسطة اللاسلكي.

بعد ذلك بساعة ونصف، أرسل في طلبي للمرة الثانية وأعطاني البرقية وهذا نصّها:

"حقناً لدماء الشعب الذي أحبّه والجيش الذي أفتدي والوطن العربي الذي أردت أن أخدمه بتجرّد وإخلاص، أقدّم استقالتي من رئاسة الجمهورية السورية إلى الشعب السوري العزيز الذي انتخبني ومنحني ثقته الغالية، راجياً أن يكون بذلك خدمة لبلادي وأن يحقق وحدتها ومنعتها ويأخذ بيدها إلى قمة المجد والرفعة».

بعد أن غادر أديب الشيشكلي سورية، إتصل شوكت شقير بهاشم الأتاسي في حمص وطلب منه المجيء إلى دمشق لاستلام رئاسة الجمهورية. وأنا كنت استمع إلى الحديث. قال له الأتاسي: «أنا لا أستطيع المجيء إلى دمشق»، فسأله: «لماذا لا تستطيع؟» أجاب: «طالما هناك دبابة واحدة في

القابون لا آتي»، قال له: «وهل الدبابات بانتظارك على الطريق! نحن نريدك هنا. لأن لا أحد سيعترض عليك». فأصرّ هاشم الأتاسي على عدم المجيء.

ويتابع شوكت شقير قائلاً: «إذن سيدي في هذه الحالة الجيش الإنكليزي في الأردن يقف على الحدود ونخاف أن يدخلوا ويطير الإستقلال. لذلك، إذا كنت مصرّاً على عدم المجيء، فأنا مضطر أن اتصل بفخامة الرئيس شكري القوتلي في مصر ليحضر ويستلم رئاسة الجمهورية، لكي نتحاشى الوقوع في الفراغ الدستوري»، عند ذاك قال الأتاسي: «لا... لا سآتي، لا تطلب أحداً، أنا سآتي».

بالفعل حضر الأتاسي إلى دمشق واستلم رئاسة الجمهورية.

بعد أن غادر الشيشكلي البلاد، بقي ضباطه في فوج المدرعات في القابون، حيث أعلن حسن وحسين حدّه وعبد الحق شحادة[1] وطعمه العودة اللّه وأحمد عبد الكريم وواصد حنيدي العصيان والتمرد واتصلوا برئيس الأركان العامة وأبلغوه أنهم متمردون ولن يستسلموا. فحصل نقاش بينهم وبين رئيس الأركان العامة، وأنا كنت اسمعه، كما سمعت الحديث السابق بين شقير والأتاسي، لأنني ذكرت سابقاً أن الرفيق رفيق حوّا عندما يحصل نقاش من هذا النوع يدقّ لي ويقول لي «إسمع». وفي هذه المكالمة كان يدور نقاش بين شوكت شقير وحسين حدّه. كان شوكت شقير يتكلم ويقول: «يا حسين، الشيشكلي طار والأفضل أن تستسلم». فما كان من حسين إلا أن شتمه وقال له: «إن شاء اللّه تطير أنت أيضاً»، فقال له: «يا حسين... لا يجوز أن تقول هذا الكلام».

(1) عبد الحق شحادة: مما يجدر ذكره عن تاريخه كان آمراً للشرطة العسكرية أرسله الشيشكلي لاعتقال مجيب سلمان المرشد المنتمي للحزب القومي للتفاهم معه، غير أن عبد الحق قام بقتله في جبال العلويين. مدعياً بأن مجيب أبدى مقاومة عنيفة.

وهنا أخذ السماعة منه عدنان المالكي، وقال: «يا حسين إذا ما بتيجي بدّي خلّي الدم يصير للركبة». فأجاب حسين: «من الذي يتكلم؟» أجابه «معك شيخ الشباب»، فعاد وسأله: «ومن يكون شيخ الشباب هذا؟»، فأجاب: «أنا عدنان المالكي[1]» فقال حسين: «إذا كنت شيخ الشباب، إصعد إلى القابون»، فأجابه المالكي: «إذا كنت البطل، إنزل إلى دمشق»، فقال له: «سأنزل إلى دمشق وخلّي الدم يصير نهر ويجرفك يا كلب» (وبالحرف الواحد) وبالفعل في اليوم الثاني نزلت الدبابات والمصفحات إلى دمشق، وأخذت هذه المصفحات التي كانت بإمرة حسين حدّه حاجتها من التموين وعادت إلى القابون دون أن يتعرّض لها أحد.

بعد يومين من الأخذ والرد، وافق الضباط الثلاثة[2] على ترك البلاد شرط أن يأخذ كل منهم 200 ألف ليرة سورية، ووافق على ذلك شوكت شقير. فقالوا له: شرط أن نذهب إلى المطار بدباباتنا وأن لا يحاكم أحد من جماعتنا. فتمّ الاتفاق على هذا الأساس، وقبض كل واحد 200 ألف ليرة سورية ونزلوا إلى المطار بالدبابات والمدرعات وسافروا إلى جهة مجهولة في أوروبا، وانتهى عصيان حسين حدّه وزملائه في 28/ 2/ 1954، واستلم الحكم هاشم الأتاسي.

(1) كان أديب الشيشكلي قد سرح عدنان المالكي من الجيش بتهمة محاولة الإطاحة به مع بعض الضباط البعثيين الاشتراكيين، بعد مغادرة الشيشكلي البلاد قام شوكت شقير بإعادة المالكي إلى الجيش.

(2) الضباط الثلاثة هم: الملازمان الأولان حسن حدّه وحسين حدّه والنقيب عبد الحق شحادة.

مناورة الجيش في الكسوة سعسع

في منتصف العام 1953، أوفدت إلى مدينة حمص لمدّة ثلاثة أشهر لتنظيم مركز اللاسلكي فيها، وقد توطّدت علاقتي في تلك المرحلة بالمقدّم غسان جديد الذي كان معاون آمر اللواء الرابع ورئيس الكلية العسكرية لضباط الإحتياط، وكان شديد النظامية وينبّه العسكريين العاملين تحت امرته بأن يستبدلوا التحية العسكرية بالتحية السورية القومية.

أذكر حين تخرّجت إحدى الدورات في الكلية العسكرية، وأثناء التخرج كانوا يقيمون حفلة في إحدى دور السينما يحييها فنانون وفنانات. وفي تلك الحفلة راحت تغني نجاح سلام، وأعطيت أمراً بأن تغني:

صفّر يا بابور واجري شويّة
وصّلني أوام بلدي سورية
أمي وأبوي نذروني على شان الثورة السورية

بدأت تغنّيها، غير أنها ذكرت في شطحاتها الثورة العربية، فقال لها غسان: «توقفي» ثم استدعاها وسألها: «لماذا فعلتِ ذلك»، فقالت إنّ أحد الخريجين أعطاها ورقة موقّعة باسم عدنان المالكي يطلب فيها أن تقول الثورة العربية بدل الثورة السورية، وقد عرَضت على غسان جديد تلك الورقة التي كتبها شوكت شقير ولكنه وقّعها باسم عدنان المالكي.

أمرَ غسان جديد بعض القوميين الموجودين في الحفلة بأن يبلّغوا شوكت شقير وعدنان المالكي أن يخرجا من الحفلة وإذا رفضا أن يحملوهما بأيديهما وأرجلهما ويرموهما خارج قاعة الاحتفال.

فذهب العسكريون القوميون وأبلغوا الأمر الصادر عن غسان جديد إلى شوكت شقير وعدنان المالكي فخرجا على الفور من دون أي مناقشة.

بعد ذلك، طلب شوكت شقير أن يواجه غسان جديد الذي واجهه مباشرة هو والمالكي وقال لهما: «ليس لكما وجود هنا»، عندئذٍ قال له شوكت شقير: «أنا ليس لي غيركم يا غسان»، والجملة الأخيرة هذه أخبرني أياها أحد الرقباء القوميين الذين شهدوا على تلك المواجهة، التي غادر على أثرها شوكت شقير وعدنان المالكي إلى دمشق.

كان مركز اللاسلكي في حمص، قرب مركز شرطة الجيش، وكان من أفراد الشرطة العسكرية رقيب أول يدعى فضل الداغستاني والرقيب أول أحمد دروبي تعرفت إليهما وقامت بيننا صداقة مبدئية، لا عمل لهما إلا ركوب الدراجات النارية طوال النهار إلى أن ينفد الوقود من دراجتيهما فيأتيان إليّ ويأخذان ما يريدان من الوقود الموجود في مركز اللاسلكي.

هذا الأمر ولّد صداقة متينة بيني وبينهما، ومن خلال هذه الصداقة بدأت أشرح لهما مبادئ الحزب وعقيدته. وتمكّنت من إقناع الرقيب فضل الداغستاني بالانتماء إلى الحزب وكم كان مسروراً عندما أقسم يمين الانتماء على يد الرفيق غسان جديد وكنت أنا شاهد القسم. واشترط أن يبقى انتماؤه سرياً، ووعدته بذلك وهكذا بقي هذا الرقيب رفيقاً سرياً.

بعد انتهاء مهمتي في حمص، عدت إلى مركز اللاسلكي في الأركان العامة بدمشق. بعد تلك المرحلة وفي تموز العام 1954 حصلت مناورة عامة في الجيش تحت اسم «مناورة سعسع»، إشتركت فيها غالبية وحدات الجيش السوري، واستمرت لمدة شهر. وكان بين المشاركين اللواء الأول في حلب

والكلية العسكرية النظامية بقيادة العقيد عدنان المالكي، واللواء الرابع في حمص وكلية الإحتياط بقيادة المقدم غسان جديد. كنت بمركز اللاسلكي مع لجنة الحكم التي تشكلت من ضباط ألمان كانوا يعملون كخبراء في الجيش السوري جميعهم بقيادة الكولونيل كريبل.

وكان كريبل يُخرج تباعاً كل وحدة عسكرية تهزم إلى أن بقي في المنافسة المالكي وجديد.

بدأت المناورة الأخيرة عند الصباح، كان العقيد عدنان المالكي يرفع على المصفحات والآليات التي كانت تحت أمرته علم الثورة العربية، فأمر المقدم غسان جديد برفع علم الزوبعة على الآليات والدبابات والمصفحات التي كانت تحت أمرته.

أدّى هذا الأمر إلى احتكاك واشتباك مباشر حتى القتال بالسلاح الأبيض بين الفريقين حيث وقع تسعة جرحى فتدخل الكولونيل الألماني كريبل وحلّ المشكلة بين العقيد عدنان المالكي والمقدم غسان جديد على أن تنتزع كل الأعلام عن الآليات، ثم بدأت المناورة بشكل جدّي وتقني ونظامي.

كنت أجلس مع لجنة الحكم بقيادة الكولونيل كريبل على تلة نراقب سير المناورات، وعندما يودّ الكولونيل إبداء ملاحظة حول إحدى الوحدات كان يقول لي باللغة الفرنسية: «أبلغ الوحدة الفلانية أن تخرج من المناورة»، وهكذا دواليك حتى الساعة الثالثة بعد الظهر حين أعلنت لجنة الحكم انتهاء المناورة وفوز المقدم غسان جديد. وجمع الكولونيل كريبل الضباط وأبلغهم أن غسان جديد هو الفائز. جاء إليّ العقيد عدنان المالكي وقال: «هل لي أن اتصل برئيس الأركان؟» قلت له: «نعم»، وطلبت فوراً المركز وقلت له: «صلْني برئيس الأركان»، وفوراً تحدث المالكي مع شوكت شقير وقال له: «ما توفقنا مع غسان». فقال له شوكت شقير: «حسناً، هيّئ لي اللواء الأول والكلية العسكرية وأنا سأنازله غداً صباحاً، إني آتٍ لقيادة المناورة ومواجهة غسان جديد».

وبالفعل في اليوم الثاني، كانت المناورة بقيادة شوكت شقير من جهة وغسان جديد من جهة أخرى، والحكم هو نفسه الكولونيل كريبل يعاونه عدد من الضباط الألمان.

بدأت المناورة عند الساعة الثالثة والنصف فجراً، وبدأت مدفعية شوكت شقير تقصف فنظرنا إلى السهل الممتد بين الكسوة وسعسع حيث رأينا جيشاً يتقدم، بين الجندي والآخر نحو 15 متراً، فيما مدفعية الدبابات المتمركزة بين الأشجار تقصفهم، فرآهم الكولونيل كريبل فضرب يده على رأسه، وقال لي: «هذا غسان جديد مجنون يدع عسكره يمشون في السهل مكشوفين تحت القصف».

بعد قليل، جاءت سرية بقيادة الملازم أول جوزيف صقر (رفيقنا)، فربت لي على كتفي، فالتفتُّ إليه وحيّيته، أهلاً سيادة الملازم، وسألته: «إلى أين تذهبون من هنا؟» فقال: «نحن سرية بزوكا وسوف نطوّق الدبابات والمصفحات التابعة للواء الأول»، وما أن علم الكولونيل الألماني كريبل بالأمر حتى صار يقفز ويقول: «هذا رومل، غسان جديد هو رومل»، ونجحت خطة تطويق المصفحات والمدرعات والدبابات. وبدأ الكولونيل يعطيني الأوامر بأن أُبلغ كل وحدة مدرعات تطوقها سرية بزوكا بأن تخرج من المناورة، ولم يحن العصر حتى انتهت المناورة بفوز المقدم غسان جديد على العميد شوكت شقير.

وبعد انتهاء المناورة، تحلّق الضباط حول الكولونيل كريبل الذي قال لهم: «إذا كان في الجيش السوري أكثر من غسان جديد فمعنى ذلك أنّ هناك أكثر من رومل». وصار جميع الضباط يتناقلون هذه العبارة.

ولا أنسى الغضب والاضطراب الشديدين اللذين بديا على شوكت شقير وهو يغادر مسرعاً أرض المناورة.

وفي اليوم الثالث من انتهاء المناورات، عاد الجيش إلى مراكزه وعُدنا نحن إلى دمشق. وفي الساعة الثامنة من مساء ذلك اليوم كنت عائداً من شارع

في باحة ثكنة المخابرات وقوفاً من اليمين أخي وجيه، أمين الذهب، أحد الزملاء، غفرائيل سليمان، وعلى الأرض من اليمين حافظ قدور ومتّى أسعد

القصّاع إلى مركز اللاسلكي في الأركان، كان غسان جديد يقف أمام مكتب رئيس الأركان العامة شوكت شقير. سلّمت عليه، وحيّيته وباركت له بالنصر، ولم نكد نتحدث عن السلام حتى وصل العقيد عدنان المالكي، على بعد خمس أو ست خطوات أدى له التحية وقال له: «مبروك يا روملنا»، فأجابه غسان جديد: «روملك غصب عن الذي لا يريد» وغمز بعينه إلى مكتب رئيس الأركان شقير.

وبعد هذا الفوز وفي شهر تشرين الأول من العام 1954، كان المقدّم غسان جديد يتردد إلى دمشق، فما كان من رئيس الأركان شوكت شقير إلا أن دبّر له كميناً نصبتهُ فرقة من الشرطة العسكرية لاغتياله أثناء عودته إلى حمص. كشفتُ هذه المؤامرة في برقية تلقيتها من مكتب الشيفرة وأرسلتها إلى الشرطة العسكرية، غير أنني لم أفهم مضمونها فقصدت مكتب الشيفرة حيث كانت

تربطني صداقة مع رئيس المكتب الملازم أول زهير غزال، كما ذكرت سابقاً، اطلعت عليها بعد فك رموزها وإذ بها تتضمن أمراً بنصب كمين بين دمشق والقسطل[1] لإغتيال غسان جديد. ذهبت إلى مقر الشرطة العسكرية وأخبرت يونس عبد الرحيم بمضمون البرقية، وقلت له: «شوف كيف بدك تتصرف».

وبدوره، اتصل يونس عبد الرحيم بغسان وأبلغه بالمخطط فسلك الأخير بدل طريق دمشق ـ القسطل ـ حمص، طريق بعلبك ـ القاع ـ ومنها إلى حمص، وبالفعل نُصب الكمين في منطقة القابون ولكن غسان جديد كان قد أصبح في حمص. وطمأنني عند وصوله سالماً رفيق لنا في كلية الاحتياط بحمص اسمه ريشان داوود.

وفي الوقت ذاته، أرسل غسان زوجته بمفردها بسيارته عن طريق دمشق ـ القسطل ـ حمص حيث تعرّضت للكمين المسلح المتوقع وسألها الضابط مصطفى حمدون المسؤول عن الكمين وهو يشهر سلاحه: «أين المقدم غسان؟» فقالت له: «أصبح في حمص»، فكال لها كمّاً من الشتائم. وفي اليوم التالي انتشر الخبر بين القوميين وفي أوساط الجيش. وهنا استغل شوكت شقير فشل محاولة الاغتيال وأخذ يطلق الشائعات من خلال الشعبة الثانية بأن الكمين من تدبير عدنان المالكي وكانت غايته قتل غسان جديد.

وبعدما فشلت محاولة الاغتيال، اعتصم المقدم غسان جديد في كلية الاحتياط بحمص، وانقطع عن قيادة الأركان العامة للجيش في دمشق. وعدا عن التخطيط لاغتيال جديد كانت تمارس عليه ضغوط متنوعة منها تأخير ترفيعه لمدة ثلاث سنوات إلى رتبة عقيد. أرسل رئيس الأركان شوكت شقير برقية بواسطة مركز اللاسلكي إلى كلية الاحتياط بحمص والتي كنت أقوم بإبلاغها، هذا نصها: إلى المقدم غسان جديد يقتضي حضورك إلى دمشق، إلى رئاسة الأركان العامة.

---

(1) القسطل: منطقة تقع بين دمشق والنبك.

أجابه غسان برقياً: لأسباب صحية، أعتذر عن الحضور.

في اليوم الثاني أرسل شقير برقية ثانية هذا نصّها: إلى المقدم غسان جديد يقتضي حضورك إلى رئاسة الأركان العامة فور تبلغّك هذه البرقية وتحت كل الظروف. فكان جواب غسان في اليوم نفسه: إلى رئيس الأركان العامة: أرفض الحضور.

وفي اليوم التالي اتصل رئيس الأركان العامة هاتفياً بغسان وأنا استمع بواسطة الرفيق رفيق حوّا رئيس قسم الهاتف بالأركان العامة.

شقير: مرحبا غسان.

غسان: أهلاً أهلاً.

ودار السلام كأنهما التقيا بعد غياب.

وقال شقير: يا أخي أنا أريد أن أنهي هذا الخلاف بينك وبين المالكي.

غسان: لا خلاف بيني وبينه.

شقير: أنت تعال إلى دمشق وأنا أجمعكما مع بعضكما البعض. وأنا أعرف أن الأمر كبير ولكن كل شيء له حل.

غسان: حسناً سآتي بعد يومين.

شقير: لا ستأتي غداً، وأريد أن أنهي هذا الخلاف.

غسان: حسناً.

بالفعل أتى غسان إلى مقر الأركان العامة، ولكن لم يعلم أحد كيف أتى ولا أي طريق سلك، لم تكد تطأ أقدام المقدم غسان جديد مقر الأركان العامة حتى صدر الأمر بتعيينه معاوناً لآمر موقع دمشق[1] وإقالته من كل مسؤولياته الأخرى، ومنعه من مغادرة دمشق، وتبلغ هذا الأمر على يد

(1) معاون آمر موقع دمشق: مسؤولية كان يتولاها رقيب أول.

شوكت شقير، ونفذ غسان وذهب إلى موقع دمشق لأن الأمر من رئاسة الأركان ثم صدر أمر بتسريحه من الجيش، في 12/ 4/ 1955.

حينذاك، أعلن صفته الرسمية لمسؤوليته في الحزب كعميد للدفاع، فيما كان يساعده في مهمته كل من الرفقاء بديع مخلوف وعبد المنعم دبوسي، ويونس عبد الرحيم، وأنا معهم.

وأيضاً وفي منتصف العام 1954 تداعى الأمناء لتقييم حالة الحزب، وبعدها اجتمع المجلس الأعلى لانتخاب رئيس للحزب وبالنتيجة فاز الأمين عصام المحايري بأصوات الأكثرية على منافسه الأمين جورج عبد المسيح، وكان مأخذهم على الأخير تفرّده في اتخاذ القرارات.

واعتبر الأمين جورج عبد المسيح النتيجة جريمة نكراء وأيده في ذلك عدد من الرفقاء ما سبب حالة اضطراب في صفوف الحزب.

فأعطى جورج عبد المسيح الأمر إلى ناظر تدريب منفذية دمشق الرفيق سليم سعدو سالم بممارسة ضغط مسلح يهدف إلى تصحيح ما جرى، وكان سليم سعدو سالم من أشد المتحمسين والمعجبين بجورج عبد المسيح، فجمع عدداً من الرفقاء القوميين المسلحين وتوجه إلى مكان اجتماع المجلس الأعلى في بيت الأمينة الأولى، وكان هناك عدد من القوميين الذين لا يعرفون شيئاً عن هذا الموضوع لكنهم جاؤوا للإطمئنان عما يجري في الحزب.

حاول الأمناء فضّ الاجتماع دون التوصّل إلى حلّ بإعادة انتخاب الأمين جورج عبد المسيح، لكن المسلحين القوميين سدّوا عليهم المنافذ ومنعوهم ربما بقوة السلاح من مغادرة القاعة وأجبروهم على العودة لاجتماعهم، وفي هذه المرة تمت التسوية باستقالة عصام المحايري، وإعادة انتخاب الأمين جورج عبد المسيح رئيساً للحزب، غير أن الأمر لم ينته عند هذا الحدّ بل تطوّر الخلاف فيما بعد إلى أزمة فعلية داخل الحزب، وأتى اغتيال العقيد عدنان المالكي ليكرّس الانشقاق.

محطّات مضيئة في حياة غسان جديد[1]

المقدّم غسان جديد

أجرت قيادة الجيوش الخلفية أبان الحرب العالمية الثانية مناورة الكومندس، اشترك فيها ضباط من الشام وفرنسا وبريطانيا وغيرها. تفوّق غسان جديد على أقرانه من كل هذه الجنسيات ومثل الجندية العريقة في بلاده أمام جنود وضباط الدول الأخرى.

ذلك كان البطل القومي الإجتماعي الذي أحب الجيش والتصق به فكأنه هو والجيش رمزان لحب الفداء والإنضباط في أمتنا.

ترأس مفرزة من جنوده متسللاً مع كل الأسلحة الموجودة في المخفر متوجهاً إلى حمص. وقاتلت هذه المفرزة تحت قيادة غسان جديد الجنود السنغاليين[2] في مخرج طرابلس عند منشآت المصفاة، وقاتلت الدرك في العبدة، وقاتلت الجنود الفرنساويين في تلكلخ حتى وصلت إلى حمص التي كانت بحاجة قصوى إلى البندقية الواحدة وإلى المقاتل الواحد.

---

(1) منشورات عمدة الإذاعة العام 1958، من الصفحة 13 ـ 20، بتصرّف.

(2) كان الجنود السنغاليون تابعين للجيش الفرنسي.

وفي حمص، في ذروة الثورة سنة 1945، إنتدِب غسان جديد لمهاجمة ثكنة تلكلخ، وكانت في أيدي الفرنسيين. فقاد غسان جديد مفرزة من المجاهدين إنضمّت إلى قوى آل دندشي. كان في هذه المفرزة فيصل الأتاسي وعلي عبد الكريم الدندشي وكثيرون سواهم، وبعد حصار أيام عدّة سمحت القوى المجاهدة وعلى رأسها غسان جديد للحامية الفرنسية بالإنسحاب، ورفع غسان بيديه العلم السوري على ثكنة تلكلخ، وكانت هذه الثكنة من أوائل المواقع الحربية التي استردتها القوى الوطنية.

وهتفت يومها الألوف لغسان جديد. ولم يسكره النصر الذي حقّق، بل اندفع مع عدد من الضباط المغاوير إلى طرابلس، وتمكّن من أن يشكّل الفوج بأكمله ويذهب على رأسه إلى حماه، حيث استقبلتهم الحشود يومها بالهتاف.

غسان في فلسطين 1947 ـ 1949

ما أن أشرف عام 1947 على الإنتهاء، حتى كان الجو قد تلبّد بفصول مأساة فلسطين الدامية، وانهمر رصاصاً وناراً في تلك الأرض التي قرّر اليهود اغتصابها، تُعاونهم قوات دولية كبرى.

وقررت القيادة إرسال المجاهدين إلى ميدان القتال في فلسطين، وكان الملازم غسان جديد يتولّى مهمة التدريب في الكلية العسكرية، فطلب إعفاءه لينضمّ إلى صفوف المقاتلين في جيش الإنقاذ على خط النار. وكان فؤاد جديد (أخو غسان) قد سبقه إلى ميدان القتال في فلسطين في مفرزة أديب الشيشكلي. غير أن مصلحة الجيش قضت أن يبقى غسان جديد مدرّباً. وأصرّ وألحّ أن يكون في ميدان القتال، وقد لمعت في عينيه ميادين الشرف والعز وكأنها تنتظره على أحرّ من الجمر!

وشكّل غسان سرية من مواطنيه وأهله، وانتخب معاوناً له في هذه السرية الرئيس جودت أتاسي وذهب إلى فلسطين.

هنا يبدأ تعامل غسان جديد مع اليهود!!

إنه تعامل الحديد والنار والرصاص وتدمير المستعمرات اليهودية ودكّها في معارك ستبقى أنفاس ضحاياها تعطّر تاريخنا الحديث ودويّ قذائفها في آذان الذين حكموا على غسان جديد ورفقائه بالتجسس والخيانة!

إنّ تنويه الفريق طه الهاشمي بُني على أعمالٍ بطوليةٍ قام بها غسّان جديد في معارك دامية في فلسطين.

وفي مذكرات القائد فوزي القاوقجي موقعة حربية مثبتة لا ينساها القائد الكبير ولا ينساها شهود آخرون منهم صلاح البذرة أخ عفيف البذرة (رئيس الأركان العامة)، كما يذكرها العقيد زياد الأتاسي والرئيس جودت الأتاسي. وهذه هي تفاصيل الموقعة الكبرى:

قبل أن تدخل جيوش الوطن والجيوش العربية إلى فلسطين، إنتدِب غسان جديد للقيام بعمل عسكري بطولي سماه بعض الذين عرفوا بخطته أنه عمل جنوني.

كانت الخطة ـ والبريطانيون لا يزالون في فلسطين ـ أن تغزو قوة من المجاهدين أحد المعسكرات البريطانية في حيفا عن طريق يافا واستأذن غسان جديد قائده فوزي القاوقجي، فأذن له.

تنكر غسان مع مئة وعشرين مجاهداً منهم زياد الأتاسي، وإبراهيم فرهود، وعلي ماجد، بألبسة الجنود الأردنيين، واخترقوا الطريق من جنين إلى حيفا، والمعسكرات البريطانية، والمستعمرات اليهودية على جانبي الطريق، وساروا في قلب حيفا واجتازوها إلى ما تحت قرية «الطيرة» وقاموا بالمهمة العسكرية، وقاد غسان جديد هذه القوة منفذاً العمل الجنوني، فسقط المعسكر المليء بالذخائر في أيدي القوة التي لم تزد كثيراً عن المئة فدائي بقيادة غسان جديد.

ملحمة «النبي يعقوب»

وإذا كانت هذه المعارك الدامية تضيء طريق غسان جديد إلى قمم البطولة فهناك معركة في تاريخنا: معركة من أهم المعارك والبطولات في فلسطين.

كانت مستعمرة «النبي يعقوب» المستعمرة اليهودية المنيعة الحصينة بين رام الله والقدس، تقفل الطريق العام وتمنع المجاهدين من الوصول إلى نجدة القدس. كانت شوكة في حلق القوات الزاحفة تمنع عن القدس إمدادات المؤن ونجدات المجاهدين، واشتبكت قوة من جيش الإنقاذ بقيادة العقيد العراقي مهدي السامرائي مع حامية «النبي يعقوب» اليهودية وتراجعت القوة المهاجمة أمام عنف المقاومة والتحصينات، وكان غسان جديد في قرية «النبي صموئيل» المشرفة على مستعمرة «النبي يعقوب»، على بعد سبعة كيلومترات منها. وكان المقدم عفيف البذرة مرابطاً على بعد ثمانمئة متر من المستعمرة يقذفها بقذائف المدفع الوحيد الذي كان على الجبهة، ومن دون أن يتلقّى أمراً من قيادة الإنقاذ...

اندفع غسان على رأس مجموعة صغيرة من الفدائيين إلى المستعمرة الحصينة التي أعجزت الجيوش. والتفّ حولها بمناورة بارعة واستمرّ تبادل إطلاق النار بين المستعمرة وقوة جيش الإنقاذ المهاجمة بينما كان غسان يقود فدائيه إلى العمل الخطير...

وما إن رمى الفجر بخيوطه الذهبية على المروج الممتدة حتى اهتز المكان بالدوي المتتابع وأصبحت المستعمرة اليهودية الحصينة انقاضاً وخرائب، وأصبح من فيها بين قتيل وجريح وأسير. وانفتحت طريق القدس وتدفقت عليها النجدات بأمان. هل يذكر اللواء عفيف البذرة يوم احتل غسان المستعمرة؟ لقد نسف يومها غسان جديد بنفسه المستعمرة اليهودية في أروع عملية فدائية شهدتها الحرب الفلسطينية فكسب للجندية السورية شرفاً أثيلاً وللبطولة الأصيلة في أمتنا ميداناً فسيحاً!

الفصل الأخير من حياة غسان جديد

أما وقد سرّح غسان جديد من الجيش، فقد اندفع إلى صفوف الأمة المنظمة الشعبية المؤمنة، صفوف الحركة السورية القومية الاجتماعية، يعمل ضمنها لانقاذ البلاد وجيش الشام من براثن الطغمة المتحكّمة، وهذا ما اعتبره غسان جديد عملاً قومياً يصبّ في مصلحة الجيش ومصلحة البلاد كلها.

ومارس الرفيق غسان جديد مسؤولياته كعميد في الحزب السوري القومي الاجتماعي وبذل من الإقدام والنشاط والحيوية والعمل لمصلحة القضية ما جعل اسمه بين الأسماء التي رشّحت لنيل رتبة الأمانة، ولئن فاتته هذه الرتبة في حياته فقد نال ما هو اسمى وأعلى من كل الرتب الحزبية حين أطلق عليه لقب الشهيد بعد أن ردّ وديعة الأمة: دمه الذي جرى في عروقه إلى أمته وأرض بلاده.

وكان من الإمكانيات الحزبية المتنوّعة القدرة، فهو العسكري المقدام، وهو المثقف الحسن الثقافة، وهو المحدّث الإذاعي الفاهم، وهو المفاوض السياسي اللبق، وهو إلى ذلك كله صاحب القدرة على التحليل والربط والإستنتاج الدقيق وهو بالقدرة نفسها على تولّي مهام القيادة وتلقّي الأوامر.

وكان، وهو المطارد المحكوم بالإعدام، دائم الحركة والحيوية والنشاط لا يتلكّأ عن القيام بواجبات مسؤولياته الحزبية وأعبائها كاملة إبّان احتدام معركة الشام، لا يتوارى ولا يراوغ، بل يجول على كل الفروع ويزور كل المنفذيات ويجتمع إلى جميع المسؤولين ويوزّع من ديناميكيته الفذة ما هو ضروري لتفجير الطاقة والحيوية بين أعوانه ورفقائه. وكان دائم الترحيب بالموت من أجل القضية السورية القومية الاجتماعية، دائم الاستعداد للاستشهاد كأنه وإياه على موعد أو على أُلفة حميمة.

بل إنه كان يعلم بمحاولات المكتب الثاني الشامي الآثمة لاغتياله.

وعلى الرغم من ذلك لم يكن يأبه أو يجزع أو يقلّل من نشاطه لكأنما

الأمر لديه بات عادياً بل ومن متطلبات العراك العنيف. قبل يومين فقط من استشهاده، الأحد في 17 شباط 1957، تلقى خبراً أن بعض الصحف الحمراء في الشام تذيع نقلاً عن راديو «إسرائيل» أنه اغتيل في رأس بيروت. وابتسم يومها إلى هذا التوافق بين توجيه راديو «إسرائيل» والصحف الحمراء. وبعد يومين، الثلاثاء في 19 شباط، كان يسير بكل هدوء إلى مقود السيارة ليقودها ويذهب إلى عمل ينتظره وانطلقت رصاصات الغدر تخترق ظهره وهو على مقود السيارة وتسجّل على طغاة الشام الحمر أنهم عصابة لا حكومة.

إن شهداءنا يمثلون قمماً مضيئة من المناقبية القومية الإجتماعية، التي هي قبل كل شيء مناقب البذل والعطاء والتضحية الكبرى بكل شيء من أجل انتصار القضية القومية الإجتماعية المقدّسة.

تجد حادثة 22 نيسان 1955 جذورها ودوافعها في أمور عديدة أظهر التحقيق حصولها قبل ذلك اليوم. وأهمّ جذورها هو التسريحات والتنقّلات والتكتلات في جسم الضباط في الجيش السوري في الشام. هذه الأمور التي حرّكتها تدخلات العسكريين بالسياسة واختلاف آرائهم في كيفية الحصول على السلطة، وفي اختلاف وجهات النظر والإتجاهات بالنسبة إلى المبادئ المحلية والمستوردة.

ولو صحّ لنا أن نخرج عن مضمون إضبارات التحقيق والإفادات أمام المحكمة، لصحّ أن نقول إنّ القوميين الإجتماعيين كانوا يرون في التزاحم الواضح بين شوكت شقير وعدنان المالكي على السيطرة على الجيش مانعاً لاستمرار الحالة الراهنة ولإمكانية رجوع الجيش إلى ثكناته والإبتعاد به عن السياسة. وكان القوميون الإجتماعيون قد اقترحوا على شقير ترك السياسة للمدنيين، على أن يُمثّل الجيش في لجنة الدفاع البرلمانية بأحد ضباطه القادة برتبة زعيم وبوزير أو إثنين في مجلس الوزراء، على أن يكون الوزير العسكري مدنياً زمن خدمته في الوزارة، وذلك بسبب كوننا في حالة حرب مع إسرائيل

تحتاج معها الوزارة إلى خبراء عسكريين من غير الشباب المحموم بحبّ النفوذ فينجو بذلك الحكم من ازدواجيته، فلا يحكم الضباط أعضاء الوزارة.

التسريحات والتنقلات والتكتلات قبل 22 نيسان يعرفها الناس جميعاً. وليس في الجمهورية السورية كلها من العسكريين أو المدنيين من يحتاج إلى التذكير بالقلق الذي ساد فترة طويلة غذّته الشائعات المفبركة للوصول إلى أهداف نرى بوادرها اليوم ليس في الجمهورية السورية فحسب بل في الهلال الخصيب وفي العالم العربي كله.

وفي عام 1955 بدأ المعسكر الإشتراكي يتحوّل تدريجياً نحو قضايانا القومية، ولعلّ صفقة الأسلحة التشيكية لمصر عام 1955 خير دليل على ذلك، واستطراداً صفقات الأسلحة لسورية ولغيرها من الدول العربية. وكان موقف الحزب القومي من القتال إلى جانب كميل شمعون عام 1958 ضدّ الثورة، وبالتالي ضد المدّ الناصري العروبي، بعد الوحدة التي قامت بين مصر وسورية تحت إسم (الجمهورية العربية المتحدة)، له ما يبرّره، لكون لبنان الملجأ الوحيد الباقي للقوميين الإجتماعيين في ساحة العمل القومي، بعد اغتيال العقيد عدنان المالكي في الشام وخروج الحزب منها، فليس له ما يبرّره عقائدياً. فإذا كان الحزب يطمح إلى الوحدة السورية أولاً كمرحلة لإنشاء الجبهة العربية التي تمثل السدّ المنيع في وجه التجزئة والتفتيت والإستعمار، فقد يبدو من غير المنطقي الوقوف في معسكر مقاتلة الوحدة الأشمل: نردّ على ذلك أن التحالف القائم بين الحزب القومي وشمعون لم يكن تحالفاً ناتجاً عن قناعات مبدئية تصبّ في خانة الفهم للقضايا القومية والوطنية عند شمعون بالسّوية نفسها التي يدعو إليها الحزب السوري القومي الإجتماعي، حتى أنّها لا تحمل الحدّ الأدنى من اللقاء المبدئي، بل كان موقفاً أملاه، أقلّه من جانب الحزب، دفاعه عن آخر معقل له بوجه الهجمة الناصرية عليه.

مؤامرة اغتيال المالكي

العقيد عدنان المالكي

عدنان المالكي ضابط حارب عام 1941 مع مجموعة حسني الزعيم في الغوطة خلال الأيام الأخيرة لحكومة فيشي الفرنسية في سورية، وكانت مهمة هذه المجموعة محاولة عرقلة تقدم قوات فرنسا الحرة نحو دمشق.

بعد انتصار الحلفاء ودخولهم دمشق، حوكم حسني الزعيم من قبل محكمة عسكرية فرنسية بتهمة اختلاس أموال كان قد قبضها من حكومة فيشي الفرنسية، فحكم عليه بالسجن لمدة خمسة عشر عاماً. لكن الضباط السوريين، ومنهم عدنان المالكي، لم يحاسبوا لأنهم كانوا ينفّذون أوامر قادتهم العسكرية. وفي أواخر عهد الشيشكلي سجن عدنان المالكي بتهمة محاولة الإطاحة بأديب الشيشكلي مع بعض الضباط البعثيين الاشتراكيين رغم أنه لم يكن منتسباً لهذا الحزب، بل متعاطفاً مع أكرم الحوراني شخصياً. (سامي جمعة، أوراق من دفتر الوطن 1946 ـ 1961 ص 158).

بعد انهيار عهد الشيشكلي، أعيد عدنان المالكي إلى الخدمة في الجيش، وكان قد بلغ رتبة عقيد وتسلم الشعبة الثالثة في الأركان، وتزعم الضباط البعثيين خاصة جماعة أكرم الحوراني، ومنذ أن دخل عدنان المالكي الأركان

برزت بينه وبين شوكت شقير منافسة شديدة حين طالب في أول اجتماع لمجلس الدفاع بتنحية شوكت شقير عن رئاسة الأركان، غير أن مجلس الدفاع لم يوافق على اقتراح المالكي ومنذ ذلك الاجتماع بدأ شوكت شقير يشعر بأن عدنان المالكي يشكّل منافساً قوياً يحاول إزاحته من رئاسة الأركان.

عمل كل واحد من هذين الضابطين المتنافسين على إيجاد تكتل يسانده في هذه المعركة المستترة والمحتّمة الوقوع. عاد عدنان المالكي إلى التقرّب من الضباط البعثيين وتوسيع قاعدته الخاصة به في الجيش واتّبع في ذلك مخطط الحزب السوري القومي الاجتماعي بأن امتد إلى تكتّل العسكريين من جميع الرتب وخصوصاً صف الضباط والرقباء، يساعده في ذلك أنه كان في فترات مختلفة مديراً لمدارس الرتباء في الجيش (سامي جمعة، أوراق من دفتر الوطن 1946 ـ 1961، ص 159).

أما شوكت شقير فحين أحسّ بالخطر المحدق به، فعمد إلى تكتيل الضباط الدروز حوله ومنهم سلمان الشعراني وعز الدين الشوفي وجميل زهر الدين، ولكن شوكت شقير أدرك بمعرفته للوضع في الجمهورية السورية أنه لا يمكن أن يتغلب على عدنان المالكي المستند إلى كتلة قوية من الضباط وحزب شعبي واسع الانتشار هو حزب البعث العربي الاشتراكي، إلا إذا أضاف إلى كتلة الضباط التي تدين له بالولاء حزباً يستطيع أن يجابه حزب البعث في صفوف الشعب، وهكذا تفتّقت له فكرة استجلاب الحزب السوري القومي الاجتماعي إلى جانبه والاعتماد عليه في دعم مركزه في الجيش، فأخذ يتقرّب ويتصل برئيس الحزب جورج عبد المسيح لأجل هذه الغاية.

وكان سامي جمعة العامل في المكتب الثاني على صلة وثيقة مع شوكت شقير فأفرز للعمل مباشرة مع شوكت شقير بناءً على طلب هذا الأخير لتنفيذ ما يطلبه منه مباشرة من دون العودة إلى المكتب الثاني، وطلب شوكت شقير من سامي جمعة أن يراقب عدنان المالكي مراقبة مستمرة.

وكان أكرم الديري آمر الشرطة العسكرية يراقب بدوره تحركات عدنان المالكي في لبنان بواسطة رجاله في ثياب مدنية.

برز عدنان المالكي على الساحة السياسية في سورية وكانت الكتلة التي يرأسها تنمو بسرعة ولكن بروز عدنان المالكي لم يرضِ عدداً كبيراً من

الجهات، فقد كان مستقلاً يعمل لنفسه حتى أكرم الحوراني لم يكن يرضى عنه كثيراً.

تطوّر الخلاف بين شوكت شقير والمالكي حتى أصبح علنياً، وكان المالكي يشتم شقير وجاهياً وغيابياً أمام المدنيين والعسكريين (سامي جمعة، أوراق من دفتر الوطن 1946 ـ 1961، ص 164).

بقيت الأوضاع على ما هي عليه في ما يختصّ بالعقيد المالكي وشوكت شقير واتصالات شوكت شقير بالحزب السوري القومي الاجتماعي عن طريق جورج عبد المسيح، حتى النصف الأخير من شهر شباط 1955، حين أصدر أمراً بنقل بديع بشور من رئاسة الشعبة الثانية وتعيين الرائد عبد الحميد السرّاج خلفاً له في ذلك المنصب (سامي جمعة، أوراق من دفتر الوطن 1946 ـ 1961، ص 167).

عبد الحميد السرّاج ضابط من مدينة حماه نكي طموح، انتسب إلى مدرسة الدرك حيث حصل على الشهادة الثانوية ومن هناك انتقل إلى الكلية العسكرية. وفي أيام حسني الزعيم بلغ رتبة ملازم أول والحق بفريق مرافقة حسني الزعيم وبعد انقلاب الشيشكلي قرّبه الشيشكلي إليه وأصبح مع الملازم أول أحمد عبد الكريم من الذين يرافقونه باستمرار. وبعد ذهاب الشيشكلي كاد السرّاج ان يسرّح مع الذين كانوا يعتبرون من أعوان الشيشكلي ولكنهم لم يسرّحوا بل وزعوا على الملحقيات العسكرية السورية في الخارج وأصبح السرّاج ملحقاً عسكرياً في باريس.

خلال تواجد السرّاج في باريس، زار القاهرة مرات عدة حين كانت ثورة مصر في أوجها، فأعجب بجمال عبد الناصر وآمن بمبادئه ووضع نفسه في عداد جنده الأوفياء. وبعد عودته إلى سورية نجح في إقناع كل من المالكي والبعثيين وشوكت شقير بأنه مخلص لهم (سامي جمعة، أوراق من دفتر الوطن 1946 ـ 1961، ص 169).

عندما تسلم عبد الحميد السرّاج رئاسة الشعبة الثانية نظّمها تنظيماً دقيقاً وأفرد لسامي جمعة مكتباً خاصاً في مبنى الأركان العامة وكلّفه بمهام التنفيذ والمداهمة وجمع المعلومات والمراقبة وأتبع هذه المفارز له شخصياً.

كان أول عمل كلّف به السرّاج سامي جمعة هو جمع أكبر قدر من

المعلومات عن الحزب السوري القومي الاجتماعي قيادة وأعضاء، إلى عناوين سكن قادة الحزب والأماكن التي يتردّدون إليها وعن هيئة تحرير جريدة الحزب «البناء» والجمعيات التي يرعاها الحزب ويسيطر عليها، ونشاط الحزب الطالبي، وعن العسكريين الحزبيين من كل الرتب وطلب تنظيم قوائم بهذه الأسماء والمعلومات في مدة قصيرة. (سامي جمعة، أوراق من دفتر الوطن 1946 ـ 1961، ص 170).

في 21 نيسان 1955، كنا تقريباً أربعين رفيقاً في اجتماع لرؤساء الحلقات[1] في بيت الرفيق عبد السلام شاهين الكائن في سوق ساروجة، وذلك بحضور يونس عبد الرحيم المسؤول عن تنظيم الحلقات في الجيش بدمشق، والمناطق المحيطة، وكان موضوع الاجتماع تثقيفاً عقائدياً.

وما أن انتهى الاجتماع حتى خرج كل واحد منا وذهب إلى بيته، فيما عدتُ أنا ويونس عبد الرحيم على طريق سوق ساروجة وأثناء الطريق سألت الرفيق يونس عن إشاعة مغرضة بأن الحزب سيغتال المالكي لأنه نقل غسان جديد من حمص إلى دمشق، وبالتالي بعد شهر تمّ تسريحه من الجيش، والإشاعة أنّ المالكي هو الذي سرّح غسان جديد بينما الحقيقة أنّ الذي سرّحه هو رئيس الأركان العامة شوكت شقير، وأشاع شقير أنّ المالكي هو الذي فعل ذلك. فيما المالكي لا يستطيع اتخاذ قرار كهذا من منصبه كرئيس الشعبة الثالثة، فليس له هذه الصلاحية لنقل ضابط كبير ونقله من موقع إلى آخر وتسريحه، دون موافقة رئاسة الأركان.

قال لي يونس: لا، لا أحد يريد قتل المالكي، فقلت: إذا كان هناك نيّة في الحزب لهذا القتل فأنا أتعهد به لأن المجلس العسكري يجتمع أسبوعياً

(1) كان تنظيم العسكريين القوميين في الجيش بشكل حلقات لا تزيد الحلقة عن خمسة رفقاء، حيث كان يشكل الحزب قوة كبيرة لا يستهان بها وذلك بسبب الاهتمام المتوازن في انتشار عقيدة الحزب بين صف الضباط والرتباء، وهذا الأمر انتبه له البعثيون فيما بعد حيث كان اهتمامهم بالضباط فقط.

في الأركان، وفي الغرفة التي هي تحت مركز اللاسلكي، وأنا أبلغهم بموعد الاجتماع برقياً من الساعة كذا إلى الساعة كذا، فإذا كان لدى الحزب قرار بقتل المالكي أخبرني لأنني أستطيع أن أضع متفجرة موقوتة تحت الطاولة التي يجتمعون حولها فيذهبون جميعاً ونرتاح منهم، قال يونس: لا شيء من هذا على الإطلاق.

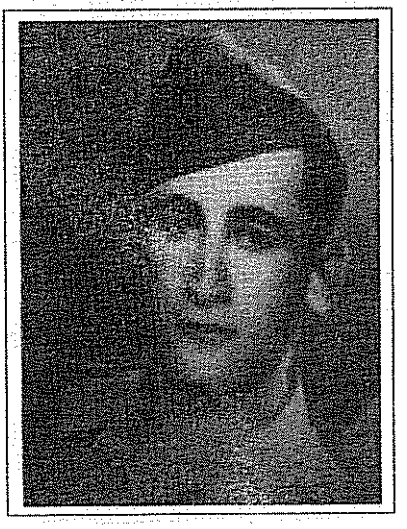

الشهيد يونس عبد الرحيم

وصلنا إلى بوابة الصالحية أمام الأركان العامة، ووقفنا إلى جانب سبيل المياه، وافترقنا وذهب كل واحد منا باتجاه مسكنه.

كان الرفيق يونس نظامياً بامتياز، يرتدي دائماً لباسه العسكري بما في ذلك حذاءه العسكري، ويضع مسدسه على خصره، ولا يتخلّى عنه أبداً وعندما توقّف صوت خطواته، التفتُّ إلى الخلف فإذا به يؤشّر لي بيده، ويعود إلى المكان الذي افترقنا عنده بالقرب من سبيل المياه، فرجعت حيث قال لي: «أنا حقوقي ومحقّق في الشرطة العسكرية ولا يمكن أن أقوم بمهمة حرس، لا أدري ماذا يقصد أكرم الديري بانتدابي للقيام بمهمة حرس على المالكي في الملعب البلدي غداً».

فقلت له: «ما قصدك بهذا الكلام».

فتابع حديثه قائلاً: «إنني مستغرب تكليفي بمهمة من هذا النوع، ولكن إذا حصل شيء كل واحد يعرف واجبه». ودّعني بالتحية السورية وذهب. لم يوضح أكثر من ذلك، ولم يخطر في بالي أي شيء لتفسير كلامه. افترقنا على أن نلتقي في اليوم التالي بنادي النقباء في تمام الساعة السابعة مساءً.

وفي اليوم التالي الواقع فيه 22 نيسان 1955، حصلت المباراة بين فريقَي الشرطة العسكرية السوري وخفر السواحل المصري. وفي الساعة الرابعة والنصف أتى أحد المجنّدين العاملين في غرفة البرقيات من الملعب إلى الأركان العامة وهو يلهث سألته: «ما بك؟» أجاب: «قُتل المالكي[1]»، سألته: «من قتله؟»، أجاب: «رقيب أول في الشرطة العسكرية». تجرّأت وسألته: «هل اسمه يونس عبد الرحيم؟» قال لي: «نعم نعم». طبعاً لم يكن عليّ أن أتسرّع، ولكن المجند لم ينتبه إلى الأمر.

وبدأت المذيعة عبلة خوري تبثّ في الإذاعة السورية ما يلي: «خسر الجيش اثنين من خيرة عناصره، الرقيب الأول يونس عبد الرحيم والعقيد عدنان المالكي...»، وكانت كل ربع ساعة، تعود لتذيع الخبر من الإذاعة السورية.

قبل حادثة الملعب واغتيال المالكي بيومين، إلتقيت مع الرفيق رامز ابن عمي وأخبرني بأن جورج عبد المسيح كلّفه بالذهاب إلى الرفيق توفيق عويس المقيم في شارع بغداد لجلب مسدس 7 ملم. وفعلاً ذهبنا إلى الرفيق المذكور وجلبنا المسدس وسلّمه الرفيق رامز بدوره إلى جورج عبد المسيح في مركز الحزب الكائن في الصالحية. ولا أعلم لمن أعطاه جورج عبد المسيح، ولكن في يوم حادثة اغتيال المالكي تواجد في الملعب الشرطي العسكري المجنّد إبراهيم الصّواف الذي كان معيّناً حارساً على مدخل الأركان العامة. وهنا التساؤل عن سبب وجوده في الملعب.

وأيضاً كان يقف في الزاوية الشمالية الغربية في الملعب الوكيل بديع مخلوف والرقيب الأول محمد عبد المنعم دبوسي وذلك بطلب من الرقيب

(1) كان العقيد عدنان المالكي في ذلك اليوم متوجهاً إلى صيدا لرؤية خطيبته، وقدّم اعتذاره لعدم تمكّنه من حضور المباراة، ولكنه غيّر رأيه بسبب إصرار سفير مصر في سورية محمود رياض الذي رجاه تأجيل الزيارة وحضور المباراة.

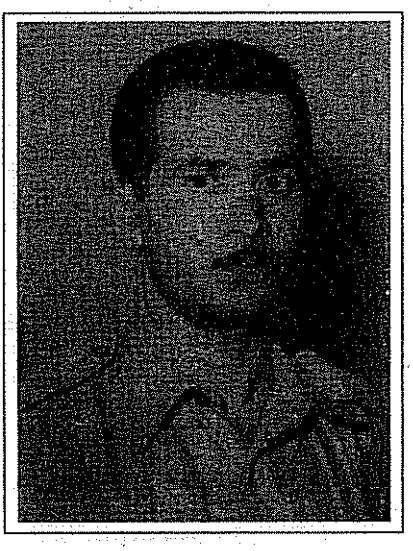

الشهيد بديع مخلوف

الأول يونس عبد الرحيم لأنه كان غير مطمئن لتكليفه بمهمة حراسة المنصّة التي كلّفه بها المقدّم أكرم الديري مدير الشرطة العسكرية وطلب منه أن يقف خلف العقيد عدنان المالكي لأنه يشكّ بأنّ القوميين سيقتلون المالكي[1] لأنه سرّح المقدم غسان جديد من الجيش. وبعد ثلاثة أشهر من هذه الحادثة، وعندما كنا في السجن، إلتقيت الرفيق بديع مخلوف في باحة تنفس المتهمين الخطرين. وفي غفلة من مراقبة الشرطي، أخبرني أن أكرم الديري آمر الشرطة العسكرية هو الذي نقل يونس عبد الرحيم من مكانه البعيد عن المنصّة التي يجلس عليها كبار المشاهدين ووضعه خلف عدنان المالكي تماماً، قائلاً له: «هذا محلّك»، وبأنه رأى الملازم أول عبد الكريم النحلاوي وبعد دخول أحد الأهداف يستغلّ التصفيق والهتافات لينطلق مسرعاً نحو العقيد عدنان المالكي

(1) بعد مواراة جثمان المالكي الثرى عاد ذووه إلى بيتهم لتقبّل التعازي، وكانت دارهم تعجُّ بوفود المعزّين، وكنت بينهم عندما دخل العميد شوكت شقير وبرفقته معاونه العميد توفيق نظام الدين وبصحبتهم وفد من كبار ضباط الجيش بيت آل المالكي للقيام بواجب العزاء، وما إن وصل شقير إلى منتصف البهو حتى انتفض الأستاذ المالكي بوجهه قائلاً بأعلى صوته: «هل تعرف من قتل أخي عدنان؟» وصمت لبرهة قبل أن يستدرك بالقول: «أنت الذي قتله يا حضرة العميد»، ثم أدار له ظهره وعاد إلى مقعده بينما ظل شقير ومرافقوه متوقفين في منتصف البهو ثم غادروا المكان دون أن يقوم أحد من آل المالكي بوداعهم. من كتاب سامي جمعة (أوراق من دفتر الوطن، 1946 ـ 1961، ص 184 ـ 185).

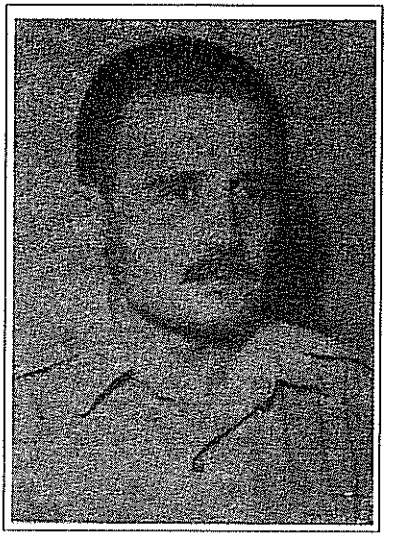

الشهيد محمد عبد المنعم دبوسي

ويطلق النار عليه وينسحب. وأنه ذكر ذلك في التحقيق غير أنهم لم يأخذوا به. وتحت ضغط التعذيب الشديد اضطر للقول بما يريدون بأنّ جورج عبد المسيح هو الذي قال لنا اقتلوه وهذا ما كان سبباً مباشراً لإعدامه مع محمد عبد المنعم دبوسي في 3 أيلول 1956 بقرية المنصورة التابعة لمحافظة القنيطرة ومن ثم نقلت جثتماهما إلى المزّة حيث دفنتا في مكان مجهول لم يعرف حتى الآن.

وبالعودة إلى يوم الإغتيال، كنت في ذلك الوقت في الأركان، فاتصل بي الساعة السادسة مساءً الرقيب إبراهيم من الشعبة الثانية وقال لي انزل إليّ... نزلت إلى الشعبة الثانية فأعطاني ثلاثة أرقام هاتفية وقال: «اذهب إلى مكتب أخبار الجيش[1]، وراقب لي هذه الأرقام واسمع ماذا يتحدثون مع بعضهم وسجّل أقوالهم وآتني بها غداً صباحاً». قلت: «حسناً». ذهبت إلى مكتب أخبار الجيش وحين كنت خارجاً من باب الأركان وصلت سيارة عسكرية نزل منها الرفيق إبراهيم الصواف. وكانت ثيابه ملطخة بالدماء وعلمت أنه هو الذي نقل الشهيدين يونس والمالكي إلى سيارة الاسعاف في الملعب البلدي بعد مقتلهما. وهناك رآني وقبلني وأعطاني الخرطوشات وقال لي: «كُل بذر»، وبعد أن وضعت الخرطوشات في جيبي جاءني رقيب أول من ركاب السيارة العسكرية وقال لي: «عفواً هذا ممنوع التحدث معه». فتركته وتابعت سيري إلى مكتب أخبار الجيش حيث ألقيت

(1) مكتب أخبار الجيش: كان بعيداً عن مقر الأركان حوالي مئتي متر، حيث مركز التنصت على الأجهزة والمخابرات الغربية كافة لتسجيل الأحاديث الهاتفية.

هذه الخرطوشات التي سلمني إياها في جورة المرحاض وفتحت المياه عليها ولا أعلم بالضبط حتى الآن سر هذه الخرطوشات[1] التي كانت من عيار 7 ملم و9 ملم بعضها فارغ وبعضها ممتلئ. وبعدها دخلت إلى مكتب أخبار الجيش وسلمت الأرقام إلى رئيس القسم وجلست خلف الطاولة. وقلت له: «حين يتصل أحد الأرقام أو حين يأتيه اتصال من أحد دعني استمع إلى الحديث»، جلسنا ثلاث ساعات، أخذ بعدها رئيس المركز يضحك، فسألته عن السبب فقال: «من أعطاك هذه الأرقام، إنها لأشخاص مسافرين خارج البلد». ضحكت عند ذاك وعلمت بالمقلب الذي كان القصد منه ابعادي عن مركز اللاسلكي ليتم التفتيش والإستقصاء في مكتبي، وبالفعل عدت إلى الأركان وفي طريق عودتي سمعت صفارات الإنذار، فسألت عن الأمر فقيل لي: «أُحرقت مطبعة الجيل الجديد». وعند وصولي إلى مكتبي وجدت أن كل ما فيه مبعثر. ولحسن الحظ لم يجدوا طلبات انتماء إلى الحزب لبعض العسكريين، كنت قد خبأتها في غرفة مكتبي.

وإنّ هذه الأرقام التي أعطاني أياها رقيب الشعبة الثانية وكلّفني بمراقبتها من مكتب أخبار الجيش لم يكن تحضيرها وليد ساعتها، بل كانت محضّرة منذ فترة طويلة. وما هي إلا فترة قصيرة حتى بدأت حملة اعتقالات واسعة للقوميين المعروفين في كل مناطق الكيان الشامي. وأصدر رئيس الأركان شوكت شقير أمراً بمنع مغادرة البلاد للعسكريين والمسرّحين منهم، وكانت الغاية منع القوميين من الهرب.

وفي اليوم التالي، وعندما كنت في سكني الكائن في بوابة الصالحية، جاءت زمرة من الجيش (الشرطة العسكرية) بقيادة ملازم أول وبصحبتهم أخي وجيه الذي جاء يدلّهم على البيت. فصرخ بي الملازم الأول: «رقيب متّى

(1) خرطوشتان فارغتان عيار 7 ملم، ثلاث خرطوشات فارغة عيار 9 ملم، أربع خرطوشات ممتلئة عيار 9 ملم.

أسعد، ارفع يديك، واعطني مسدسك وامشِ معي». فذهبت معهم إلى السجن في فوج التسليح، وهناك جلس عن يميني رقيب بالمدفعية وعن يساري رقيب آخر، وجّه كلامه إليّ قائلاً: «أليس من الحرام أن يُقتل عدنان المالكي!». قلت وأنا متحمّس جداً: «إذا قام الآن سنقتله مرة أخرى، وإذا قام غداً سنقتله، وإذا قام بعد غد سنقتله مرة ثالثة». وما هي إلا لحظات حتى طلب هذا الرقيب الإذن بالخروج، ثم عاد إلى الحمام بعد قليل.

الرقيب الآخر الذي على يميني قال لي: «هذا من عناصر الشعبة الثانية من المخابرات، قد يكون وشى بك على الكلام الذي قلته له. إذا صار أي شيء ضعني شاهداً لأنني من الشعبة الثانية ولكنني سوري قومي.. فإذا سألوني، فسأقول لهم إنكم اختلفتم على توزيع اللحمة أثناء الطعام».

وما هي إلا خمس دقائق حتى طلبني مدير السجن الذي كان رقيباً أول يدعى «مخلف»، وسألني: ماذا قلت عن المالكي، علمنا أنك قلت سأقتله مرة ثانية وثالثة، فكان جوابي بأن أنكرت الأمر وقلت هناك الرقيب مرعي كان حاضراً استدعوه واسألوه وهكذا حصل، أتى الرقيب الشاهد وأكد أننا اختلفنا مع ذلك الرقيب الواشي على توزيع اللحمة، وكانت النتيجة أن أكل ذلك الرقيب فلقة حتى نزف الدم من قدميه.

بعد أسبوع من توقيفي في سجن فوج التسليح إستدعيتُ إلى مقر الشرطة العسكرية الكائن في منطقة البرامكة. تمّ التحقيق معي من قبل آمر الشرطة العسكرية المقدم أكرم الديري الذي قام بتعذيبي، ومن شدة ضربي بالكرباج نفرَ الدم من ظهري فتلطخت بدلته البيضاء، الأمر الذي سبب له الازعاج. كان بعد كل ضربة يسألني: «لماذا لا تصرخ؟ ألا تريد أن تصرخ!» فما كان منه إلا أن وجّه كرباجه إلى وجهي فامتلأ فمي دماً بصقته بقصد بوجهه فجن جنونه. وأذكر ضابطاً مصرياً وقف عند باب غرفة التحقيق، وقال: «لا تنسَ دم عدنان يا أكرم»، فأجابه الأخير: «ولا يهمك».

وخلال حفل التعذيب رنَّ جرس الهاتف، دخل الديري إلى مكتبه ليرد، فاغتنم المعاون فيصل هاشم الفرصة، واستلم الكرباج وسار نحوي فما كان مني إلا الهجوم عليه، وفي هذه الفوضى تدخل كاتب ضبط المحضر الرفيق الرقيب الأول فاروق واستدعاني إلى مكتبه وأخبرني أن الرفقاء حليم خوري وعبد السلام شاهين وتوفيق مشرقي، اعترفوا بأنني منتم للحزب القومي، ونصحني بأن أكتفي بذكر أسمائهم، فأنجو من استمرار تعذيبي على يد الديري.

وحين عاد الديري، أخبره الرقيب الأول فاروق باعترافي بالأسماء الثلاثة المذكورة آنفاً، فالتفتَ إليّ الديري، وسألني: «وماذا عن يونس عبد الرحيم، وبديع مخلوف، ومحمد عبد المنعم دبوسي»، فأجبتُ بالنفي وعدم معرفتي بهم»، وانتهى التحقيق وختم المحضر.

أنزِلت إلى القبو، وأنا منهك القوى والدم ينزف من ظهري كالشلال، التقيتُ برفقاء لنا من آل عياش، وآل السيد، وهم من دير الزور، كانوا مطروحين أرضاً وحالهم ليس بأفضل من حالي. بقيت في القبو لثلاث ساعات أرجعت بعدها إلى سجن فوج التسليح .

ومن أطرف حالات الإعتقال إعتقال الرفيق عبد الوهاب التركماني الذي كان معاوناً لآمر فوج التسليح وكان يداوم في مكتبه. وبعد مقتل المالكي بأسبوعين قال العقيد المالح للرفيق عبد الوهاب التركماني «إن القوميين قتلوا المالكي وسيقتلون ضباطاً كثيرين لأنهم يريدون استلام الحكم، فهل تعرف إذا كان في فوجنا أحد منهم؟» أجاب عبد الوهاب: «كلا سيدي لا يوجد أحد». وعندما كان يتحدث، دخل الملازم في الشرطة العسكرية بعد أن قرع الباب وأذن له بالدخول مع اثنين من رجال الشرطة فقال للعقيد: «سيدي لديكم رقيب أول اسمه عبد الوهاب التركماني». وانتفض العقيد وقال له: «نعم ما به؟» قال ملازم الشرطة: «إنه قومي خطير سيدي». هنا التفت العقيد المالح إلى عبد الوهاب وقال له: «أنت يا عبد الوهاب»، ضحك عبد الوهاب: «نعم سيدي»، وسمح العقيد باعتقاله.

سجن المزّة وبدء التحقيق والإستجواب

أطلقت شائعات في تلك المرحلة أنّ توقيف القوميين سوف لن يدوم أكثر من أربعين يوماً، وبالفعل بعد أربعين يوماً جاء من يصرخ: متّى أسعد..

قلت: حاضر، وصرت في نفسي أعتقد أنه سيخلى سبيلي فقال ارتدِ ثيابك وامشِ معنا. وخرجت فوجدت سيارة مصفحة تنتظرني أصعدوني إليها وأخذوني إلى سجن المزّة فيما السيارة تطلق زمور الخطر.

على باب سجن المزّة، كان هناك ثلاثة أشخاص سيدخلون قبلي، وكان حارس باب السجن جندياً اسمه عبد السلام. كلّما دخل واحد يضربه كفاً ويوقعه أرضاً، لأنّ كفه مخيف...!!

لما وصلت أنا التفت وقال: رقيب كمان، وضربني كفاً، حنيت رأسي فراح كفه في الهواء، فنجوت من هذه الضربة. دخلت إلى السجن حيث أمضيت الليلة الأولى في حمام أبو ريحة. وقد سمي بهذا الاسم لأن كل الأوساخ والنفايات ومجاري السجن تحته، في اليوم الثاني نقلت إلى مستودع تحت السجن، لو صرخ فيه الإنسان ثلاثين سنة فلن يسمعه أحد!

وطلب التحقيق مني الإعتراف بما كنت أقوم به من مهمات حزبية وغيرها، فأنكرت كل شيء.

أخذ أحد أفراد الشعبة الثانية يزرع لي شريطاً في إصبع يدي وشريطاً في

إصبع آخر غني عن التعريف، وسألني عن المعلومات التي كنت أنقلها إلى حضرة الزعيم فأنكرت كل شيء وبعد ذلك بدأ الشرطي العريف عبد الوهاب يبرم يد المولد الكهربائي فشعرت أن روحي تنسحب من جسدي وقال: «اعترف».. وبقيت مصرّاً على أنني لا أعلم شيئاً، ثم استمر بتعذيبي بالكهرباء إلى أن غبت عن الوعي ولم أعد أرى شيئاً إلا في اليوم الثاني حين فتحت عيني وكنت ملقياً في باحة السجن. جاء شرطي وقادني إلى ما يسمى الحمام، هناك أيضاً يوجد أداة تعذيب، مقصورات حمامات منفردة صغيرة مربعة عددها 12 مقصورة عرض الواحدة 70 سم بارتفاع مترين، يدخلون إليها السجين ويضعونه واقفاً على قدم واحدة تحت ماسورة المياه التي تنقط على رأسه الحليق ويداه مرفوعتان إلى أعلى وهذا نوع من أنواع التعذيب المتبع في سجن المزّة وعندما يتعب السجين وينزل يديه يضربه الحارس بالسوط صائحاً: ارفع، كي يعود السجين ليرفعهما مجدداً.

وكان الأمين كامل حسّان موجوداً في مقصورة الحمام المجاورة لمقصورتي وأذكر أنه فقد توازنه وراح يصرخ ويلطم رأسه بالحائط قاصداً الانتحار إلى أن وقع أرضاً فاقداً الوعي نقل بعدها إلى المستشفى. وأمضيت في الحمام (أبو ريحة) 32 يوماً تحت التعذيب الشديد، وهناك يضعون أخطر المتهمين. ثمّ بدأ التحقيق معي من قبل الملازم أول بهجت المسوتي، وكان الاستجواب ماذا تعرف وماذا كنت تفعل وما هو دورك إلخ... أما إجابتي فاستمرت على حالها، إنكار كل شيء، لا أعلم شيئاً عن كل ما تسألني عنه، يقرأ كتاب الاتهام بالرسائل التي كنت أنقلها لحضرة الزعيم من أركان الجيش سنة 1948 فأعيد القول إنني لا أعلم شيئاً عنها.

وكان التحقيق قد بدأ على أساس أنني قومي وأنني معترف بذلك، فكانا يقولان لي أنه لا داعي للنكران والأهمّ هو الإعتراف بما ورد في الصادرة التي رفعها ألبير جزدان إلى حضرة الزعيم، عن استحداث شبكة استعلامات في الحزب، داخل صفوف الجيش والتي ورد اسمي فيها وكان يُرمز إليّ فيها

بـ «3/ س». وطبعاً، أصرّيت على نكران كل ما تقدّم.

جيء بي إلى المستودع وجلبوا لي خبير خط، لأن أوراق الرسائل[1] كلها مكتوبة بخط يدي، وأنا منذ طفولتي لا أعرف أن أكتب إلا باليد اليسرى. فعندما جاءوا بخبير الخط، أخذت القلم ورحت أكتب باليد اليمنى، نصّوا عليّ بعض الكلمات فكتبتها، وبعد كتابتها أخذها الخبير، وفي اليوم التالي أعطى الخبير الجواب في تقريره، أنّ الخط ليس هو نفسه.

إستغرب المحقّقون فأتوا بخبير آخر، فقرّر الأمر نفسه، فانتدبوا خبيراً ثالثاً لثقتهم بأنّ الأوراق صادرة عني وبخطّي، فكان الجواب: هناك تشابه كبير في نبرات الخط، إنّما ليس الخط نفسه. أُرسلت إلى السجن المنفرد، وبدأ التحقيق معي شفهياً في المستودع، كنت أنكر كل شيء، فقلعوا ظفر إبهام يدي اليسرى فغبت عن الوعي.

في اليوم التالي، فتحت عينيَّ في مستشفى المزّة والحرس على باب الغرفة. وفي اليوم الثالث أعادوني إلى السجن.

بعد مدّة، حصل استجوابي بشكل قاسٍ بالتعذيب بواسطة الكهرباء والكرباج، ولما أصرّيت على الإنكار قلعوا ليَ ظفر خنصر يدي اليمنى.

وكالعادة، كنت أستيقظ لأجد نفسي في المستشفى العسكري، فيرجعونني بعدها إلى السجن ويداي ملفوفتان بالقماش.

إستمرّ التحقيق معي بهذا الشكل القاسي، ولم يأخذوا مني «لا حقّاً ولا باطلاً»، إستمرّيت بالإنكار، والقول إنني لا أعرف شيئاً عن هذه الأوراق،

---

(1) إنها الأوراق التي وجدتها الأمينة الأولى في حقيبة أليسار، وكان جورج عبد المسيح قد وضعها فيها... وتقول الأمينة الأولى: «إنّ هذه الحقيبة أعيدت إلى صاحبها غسان جديد على يد أشخاص، لم أعرف هويتهم»... (راجع مذكرات الأمينة الأولى من ص 239 حتى 241 الناشر/ دار سعاده).

والغريب بالأمر أني لم أسأل عن محتوى الأوراق المصادرة وخاصة المتعلقة بالبرقيات المتبادلة بين فوزي القاوقجي آمر جيش الإنقاذ ووزير الدفاع السوري أحمد الشرباتي.

أما الأوراق التي يسألونني عنها فلم يقرأوها لي، ولكنني أصرّيت بأنني لم أقم بنقل أية أوراق وليس لدي علم بما يسألونني عنه. استمر التحقيق معي على هذا الشكل لمدة ستة أشهر، ثم بدأت محاكمة قيادة الحزب بعد صدور قرار الاتهام. وصلت المحاكمات إلى مرحلة يريدون فيها شاهداً على أن الحزب يتجّسس على الجيش ويعطي أخباراً للعدو. ومن أجل تحقيق هذا الهدف، تمّ طلبي إلى مكتب السرّاج ليلاً بوجود الملازمين الأولين بهجت المسوتي وعبد المجيد جمال الدين، اللذين قالا لي: «المعلم[1] سيرفّعك إلى رتبة ملازم وينقلك إلى الشعبة الثانية معنا في المخابرات في حال اعترفت أنك كُلفت من قيادة الحزب بنقل هذه المعلومات».

وأضافا: «نحن لا نريد منك شيئاً، والمعلم لا يريد منك شيئاً أيضاً، يريد رؤوس الكلاب الكبار»، قلت لهما: «نعم أوافق»، فسألاني مجدداً: «هل تقول ذلك؟» قلت: «نعم أقول».

أرسلاني إلى السجن المنفرد، المريح بعض الشيء، وأمضيت مدة عشرين يوماً استراحة إلى أن استقر جسدي واستعدت قواي، طُلبت بعدها إلى المحكمة العسكرية التي كانت منعقدة في بيت حسني الزعيم الذي أصبح مركزاً لمحاكمة القوميين.

---

(1) المعلم: المقدم عبد الحميد السرّاج رئيس الشعبة الثانية وبعد اعتقالنا ووضعنا في السجن، كان رئيس الجمهورية هاشم الأتاسي، فاقترح عليه السرّاج وزمرته أن يوافق على صعود بعض العسكريين إلى سجن المزة ورش جميع القوميين وقتلهم من دون محاكمة فكان جواب الرئيس هاشم الأتاسي: «هذا جيد جداً إنما يجب أن تقتلوني أنا أولاً ثم تصعدون إلى سجن المزّة وتقتلون القوميين».

وأنزلت بمفردي بواسطة مصفحة إلى المحكمة العسكرية، في النظارة جاءني الملازم الأول في الشرطة العسكرية عيسى العجي وهو سوري قومي اجتماعي وأنا أعرفه جيداً ولكنه غير مكشوف وهو من مشتى حلو، وسألني «متّى أسعد»، قلت: «نعم»، قال: «أتعلم شهادتك إلى ماذا تؤدّي وما هي نتيجتها؟» قلت: «أعرف»، قال: «إذن تعرف». قلت: «نعم أعرف». قال: «حسناً»، وانصرف.

آنذاك جاءني النقيب زهير غزال الذي أصبح قاضياً في المحكمة العسكرية العرفية، ليسألني أين محاكمتي ومن هو القاضي الذي سيتولّى الحكم عليّ، فأجبته أنني لا أعلم فقال: «هل بالوسع أن تُنقل إلى محكمتي؟» قلت: «لا أستطيع الانتقال، لأنهم سيعينون محكمة خاصة لي»، وعندها لاحظت وجوماً على وجهه قبل أن يذهب مسرعاً.

طُلبت إلى المحكمة وعلى الباب أعطى مدير السجن الأمر بنزع القيود من يديّ ودخلت إلى قاعة المحكمة وكان رئيسها العقيد عفيف البذرة الذي يقال إنه شيوعي. صعدت إلى المنبر، قال لي: «ما اسمك»، قلت: «متّى أسعد»، قال: «مدّ يدك»، مددت يدي حيث وضع الإنجيل والقرآن وفوقهما محرمة صغيرة، قال: «قُل واللّه العظيم أقول الحق دون زيادة ولا نقصان»، ردّدت ما قاله، سأل: «هل تعرف شيئاً عن الأوراق التي نقلت من الأركان العامة إلى زعيم الحزب السوري القومي الاجتماعي؟»، قلت: «لا أعلم شيئاً»، قال: «إذن لماذا جئت إلى هنا؟» قلت: «لا أعلم». ارتفع صوت من قاعة المحكمة مصدره محامٍ عراقي راح يقول: «سيدي أرجو أن تسأله باللغة العامية لأنه قد لا يكون فهم ما تقوله أو تطلبه، لأن هؤلاء القوميين ينكرون أي سؤال تسألهم إياه»، وكان يتحدّث باللهجة العراقية... فضحك الحضور، وكان في القاعة نحو ثلاثمئة شخص. سألني القاضي عفيف البذرة مجدداً عن أوراق سرقت من الأركان العامة وسُلمت إلى زعيم الحزب السوري القومي الاجتماعي أنطون سعاده إن كنت على علمٍ بها؟، فما كان مني إلا أن قلت:

«سيدي أنا رئيس مركز اللاسلكي في الأركان العامة للجيش وبرتبة رقيب، وأفهم ماذا قلت، لكنني لا أعلم شيئاً عمّا تسألني عنه».

قال: «إذن، لماذا جئت؟» قلت: «لا أعلم»، قال: «خذوه». فوضعوا القيود في يديّ وجاء شرطيان ورمياني داخل المصفحة كما لو أنني كيس تبن وأطلقا زمور الخطر كأنهما ينقلان غوبلز[1]. أعاداني إلى سجن المزة، ووضعاني في المنفرد، وفي الليل طُلبت من قبل الملازم عبد المجيد جمال الدين وبهجت مسوتي إلى مكتب عبد الحميد السرّاج الذي قال لهما: «لو أن متّى أسعد سيعترف بهذه السهولة لما عيّنه أنطون سعاده في هذه المهمّة، ثم بدأ بتوجيه الكلام إليّ: «لقد وعدتنا أنك ستقول ما اتفقنا عليه»، أجبت: «نعم وعدتكم ولكن لم تقل لي إن هناك الإنجيل والقرآن وتريدني أن أعطي إفادة كاذبة، هنا في الدنيا تستطيعون مكافأتي إذا شهدت معكم زوراً لا بل سأحصل على الترقية إلى رتبة ملازم، ولكن في الآخرة عند الله لا تستطيعون أن تخدموني بشيء إذا أدليت بإفادة كاذبة وتسببّت بالأذى لأشخاص آخرين». فضحكوا جميعاً، وقال عبد الحميد السرّاج: «لقد كذبت علينا لأنك أقسمت على القرآن والإنجيل بشهادة غير صحيحة». وبعد ذلك، استدعوا الحرس وطلبوا منهم إعادتي إلى السجن المنفرد.

وبعد أسبوع استدعيت إلى مكتب السرّاج بحضور بهجت مسوتي وعبد المجيد جمال الدين وهناك سألوني إذا أبعدنا القرآن والإنجيل عن طاولة المحكمة تشهد وتقول على ما أتفقنا عليه سابقاً، فوافقت.

كان كل اهتمام عبد الحميد السرّاج أن أقرّ واعترف بنقل هذه الأوراق ليكون مصيري ومصير قيادة الحزب الإعدام.

حدّدوا موعداً جديداً للمحكمة. وفي اليوم المحدّد ذهبت إلى المحكمة

(1) جوزف غوبلز (1897 ـ 1954) وزير الدعاية السياسية في عهد أدولف هتلر.

للمرة الثانية، وكانت برئاسة القاضي بدر الدين علّوش، إذ تمّ إبدال هيئة المحكمة لهذه الغاية، وأدخلت المحكمة بالطريقة نفسها، وكان السؤال عينه، إنما لاحظت بعدما وقفت أمام القاضي أنّ القرآن والإنجيل وضِعا أمام القاضي الذي يقف إلى يساري ويضع يده على القرآن والإنجيل ووضع فوقعهما منشفة كبيرة، كي لا يظهرا جيداً، لم يُخفَ عليّ هذا الأمر، فمددت يدي إلى مكان الإنجيل والقرآن ووضعتها عليهما وأقسمت أنني أقول الحقيقة ولا شيء غير الحقيقة. وسئلت ماذا تعلم عن الأوراق التي نقلت؟ قلت: «لا أعلم شيئاً». قال القاضي: «يا ابني أنت أقسمت أن تقول الحقيقة». فأصرّيت على قولي إنني لا أعلم شيئاً. ثم سألني عن المتهمين الموجودين في قفص الإتهام، وهم قيادة الحزب: الأمينة الأولى جولييت المير سعاده والأمناء عصام المحايري[1] وفؤاد الشوّاف ومعروف صعب وكامل حسّان والرفيقان بديع مخلوف ومحمد عبد المنعم الدبّوسي. نظرت إلى الحضور الذين في القاعة وقلت: «لا أعرفهم»، قال: «هؤلاء الذين في القفص!» قلت: «لا أعرف أحداً منهم». إبتسم محمد عبد المنعم دبوسي وكانت ابتسامته ستتطوّر إلى ضحكة، فنكزه بديع مخلوف كي يسكت ويضبط أعصابه، قاصداً أن الكذب قد بدأ.

قال لي: «إذن لماذا جئت إلى هنا؟»، قلت: «أنا أيضاً لا أعرف»، فقال: «خذوه إلى السجن». وفي المساء تمّ استدعائي إلى مكتب السرّاج بوجود عبد المجيد جمال الدين وبهجت مسوتي اللذين كانا من رجال السرّاج ويأخذان التعليمات منه وينفّذانها.

سمعت الكثير من الشتائم، وقال لي عبد المجيد: «أنت خائف من القرآن والإنجيل»، فقلت له: «نعم»، فقال: «الآن دعست عليهما وحلفت

(1) لم يبقَ من تلك القيادة على قيد الحياة حتى الآن إلا الأمين عصام المحايري، أطال الله عمره، هو الوحيد الذي لا يزال يستطيع أن يذكر تلك الأحداث.

كذباً ولست خائفاً من شيء»، وراحوا يضحكون.

قال لهم معلمهم السرّاج: «خذوه أو سوّحوه أو أفلتوه أو أنقلوه إلى المهجع لأنه لن يعترف بهذه السهولة»، فوضع عبد المجيد يده على ذقنه وقال: «سيدي سنجعله يعترف». وذهبوا بي إلى المستودع وأشبعوني ضرباً وتعذيباً بالكهرباء والكرباج... ويعيدون السؤال عينه عليَّ، وكان هناك كاتب محضر الضبط مساعد أول اسمه جميل الهوّاش.

بعد فترة من التعذيب على يد المجيد وبهجت لأكثر من ساعة، قال لي عبد المجيد: «لا تريد أن تعترف»، قلت: «ليس لديّ شيء لأعترف به».

فأتى بهجت مسوتي بورقة وقلم ووضعها أمامي وقال: «أكتب وصيّتك لأهلك» (ووضع يده في الوقت ذاته على مسدسه مهدّداً بإطلاق النار على رأسي). فأجبته: «لا أملك شيئاً لأوصي به، وقمْ بما تريد القيام به بسرعة».

عندها قال لي عبد المجيد: «سنرى» وضغط على زرّ في الطاولة وأنا أقف أمامه. بعد نصف دقيقة شعرت بيد تربّت على كتفي من الخلف ويداً أخرى تمتدّ نحوي بلكمة تصل إلى ذقني وتتوقف، فصرخ هذا الشخص: «هذا أنت»، نظرت إليه ففوجئت به، إنه فضل الداغستاني[1] الذي كنت قد أقنعته بالإنتماء إلى الحزب في حمص ومعه أحمد الدروبي وقد اتفقت معه أن يبقى انتماؤه سرياً، عرفني وعرفته على الفور، فالتفت فضل إلى عبد المجيد جمال الدين، وقال له: «هذا الشخص لا يكذب، أنا أعرفه جيداً»، فردّ عبد المجيد قائلاً: «أضربه يا فضل»، فرفض فضل وقال له: «لا أضربه ولن أسمح لأحد بأن يضربه»، فعاد عبد المجيد ليسأل أحمد الدروبي قائلاً: «وأنت يا أحمد»، فأجاب: «وأنا أيضاً لا أضربه ولا أسمح لأحد بأن يضربه»... وكان هذان العنصران هما اليد اليمنى لعبد الحميد السرّاج.

---

(1) راجع ص 108 من هذا الكتاب.

بدأ عبد المجيد بالصراخ، قائلاً: «يا فضل اضربه»، وكان جواب فضل هو نفسه: «قلت لك لن أضربه ولن أسمح لأحد بأن يضربه، هذا الرجل لا يكذب، إسأله فهو لا يتكلم إلا الشيء الصحيح وعليك أن تصدّقه»، فغضب عبد المجيد ومساعده وغادرا المستودع، وبعد ذلك خرجنا من غرفة التعذيب إلى الباحة فجاء فضل وأعطاني سيجارة وأشعلها لي وجلب لي كرسياً لأجلس عليه، فجلست وإلى جانبي أحمد الدروبي، وشعرت أنه منشرح، وغاب فضل فترة ثم عاد وناولني فنجاناً من الشاي، قلت له، شاي يا فضل، خذه إلى أمك، ضحك وقال لي: «يخرب بيتك... أتريد قهوة؟!» قلت: «نعم». فذهب لفترة قصيرة وجلب معه ركوة قهوة، جلسنا بباحة المستودع نشرب القهوة ودخّنت سيجارتين، فقال فضل لكاتب المحضر جميل الهوّاش: «كل ما يقوله تدوّنه لأنه رجل صادق»، فسألني الكاتب جميل مرة أخرى: «هل تريد أن تعترف؟» فكررت قولي «إنني لا أعرف شيئاً حتى أعترف به».... فسجّل ما قلته ثم قرأت محضر التحقيق ووقّعت عليه ثم أعادوني إلى المنفرد.

إن الأمينة الأولى ذكرت هذه الحادثة في مذكّراتها لأنها كانت مسجونة في الطابق الثاني، ونافذة غرفتها تطلّ على المستودع، وشاهدت ما كان يحصل في تلك الليلة. وتقول الأمينة الأولى في مذكراتها إنهم جلبوا في منتصف الليل سجيناً وحققوا معه وعذّبوه كثيراً، وفي آخر التعذيب جلبوا له فنجان قهوة، «وأعتقد أنه ليس قومياً اجتماعياً لأنه لو كان قومياً لما جلبوا له القهوة»[1].

الأمينة الأولى
جولييت المير سعاده

بعد أسبوع نُقلت إلى المهجع في الطابق الثاني، وكان فيه الرفقاء عبد الكريم كيالي،

(1) راجع مذكرات الأمينة الأولى الصفحة 280 ـ 281. الناشر: دار سعاده للنشر.

ونديم نعمة وبدر عدرة ورامز طنّوس ونصري حبيب وإبراهيم بيطار وأمين غنام وراجي الحلبي وطانيوس الحمصي وعادل قواس وعبد السلام شاهين، وسعيد عابدين، محمد المصري، عبد الله كوزاك، مصطفى أبو الجدايل، اسماعيل عبد اللطيف، عبد الحليم عبد الرحمن، إبراهيم نجيب، وغيرهم لم أعد أذكر أسماءهم.

أما المهجع في الطابق الثالث، فكان فيه الأمينان حسن جمّال ويوسف دعيبس والرفيق سليم سعدو سالم.

بعد فترة غير طويلة أُبلغت قرار الإتهام. وهنا لا يسعني إلا أن أقول إن هذا القرار «مسخرة المساخر»، لأنهم، عندما لم يجدوا في القانون السوري مادة تستحق إعدامي، إستعانوا بمادة من القانون التركي، ونصّ هذه المادة: كل من قام بأعمال من شأنها إيقاع المملكة بالتهلكة يُحكم بالإعدام». وأيضاً في الإثبات تقرير منظّم بخطّ يد الرقيب متّى أسعد الذي يعترف به صراحة أنه كان يقوم بنقل المعلومات من قيادة الأركان في الجيش إلى زعيم الحزب السوري القومي الإجتماعي أنطون سعاده.

والتهمة الإستحصال على وثائق ومعلومات يجب أن تبقى مكتومة حرصاً على سلامة الدولة، وهي جريمة يعاقب عليها بموجب المادة 272 من قانون العقوبات العام. واتهامي بجنحتي تشويق العسكريين على الانضمام إلى جمعية سرية ذات هدف سياسي وقبولهم فيها وجنحة الانتساب إلى جمعية سرية يعاقب عليها بموجب المواد 149 و150 من قانون العقوبات العسكري و328 من قانون العقوبات العام. واحتفظت بهذا القرار من دون أي اعتراض حتى يوم المحاكمة.

بعد سنة أو أكثر نُقلت إلى مهجع الطابق الرابع العلوي، فوجدت الرفقاء: محمد عزّو، حنّا حجّار، فؤاد جديد، حسن السلموني، إسبر إسبر، وحنا فارس. وقد أفهمني هؤلاء الرفقاء بأن الشرطي قال لهم: «يمكنكم أن

تتكلّموا مع الجميع في هذا المهجع إلا مع هذا السجين (يقصدني أنا)»، لكنني حركشت بحنّا حجّار وإسبر إسبر، فقالا لي إنهما هاربان من الجيش وكذلك قال محمد عزّو وحسن السلموني، فقلت لهم: «إنكم ملاقون أعظم انتصار لأعظم صبر في التاريخ»، عند ذلك وقف محمد عزّو وقال لي: «تحيا سورية، فنحن قوميون ولكن نبّهنا عناصر الشرطة ألا نتكلم معك، ولكننا سنتكلم واللي بدو يصير يصير».

أمضيت في هذا المهجع في الطابق العلوي فترة طويلة، ولكني استفدت كثيراً، إذ كنت مع الدكتور سامي سحلول وعلي الشرع[1] والرفيق الشاعر أدونيس الذين أعطونا دروساً في اللغة العربية. كان السجن بالنسبة لنا مدرسة، ونتيجة العلم الذي تلقيناه فيه إستفاد الكثيرون منا وتقدّموا في اللغتين العربية والفرنسية[2].

وأذكر أن أدونيس كان يترجم كتاباً من اللغة الفرنسية إلى العربية للكاتب والمؤلف بيار لويس فساعدناه في الكتابة والنسخ ووعدني أنه حين يطبعه سيهديني نسخة منه، ولكنني لم أره بعد السجن إطلاقاً، وأذكر أنّ الكتاب كان قيّماً جداً وموضوعه عن فتاة شاعرة اسمها بيليتيس[3] أغريقية من أم فينيقية وأب هيليني، ولدت عام 612 ق. م، اكتشفوا قبرها في قبرص على عمق ثمانية أمتار ووجدوا على جدرانه قصائد عاطفية رائعة جداً.

---

(1) علي الشرع: شقيق الوزير السابق ونائب رئيس «الجمهورية العربية السورية» فاروق الشرع.

(2) كنت قد تركت المدرسة في الصف الخامس كما ذكرت سابقاً، وفي السجن قدمت طلباً لامتحان البكالوريا بعد إلحاح الرفقاء لكنه رُفِضَ من قبل إدارة السجن بضغط من الشعبة الثانية.

(3) لمزيد من المعلومات راجع دار الغاوون للنشر، مجلة نقد العدد «6» ـ آب 2008 مقال للدكتور تمام التلاوي (أغاني بيليتيس التي ترجمها الشاعر أدونيس في سجن المزة).

وقد كان الرفيق الشاعر أدونيس يعدّ مجموعة شعرية جديدة للنشر، وتتضمّن هذه المجموعة القصائد واليوميات التي كتبها خلال فترة اعتقاله. وفي ما يلي مقاطع من قصيدة طويلة لم تُنشر وهي بعنوان «قصيدة إلى سجن المزّة».

"هذي أهازيجنا تعلو وتزدحم تبارك الصبر والإيمان والألم
يا يا رفاقي يا شمساً عرفت بها كيف الصباح على الآفاق يرتسم
أيّ المعامع خاضوها وما فشلوا أيّ المعارك خاضوها وما انهزموا"

ولم أعد أذكر بقية أبيات القصيدة، والتي كانت تتجاوز الثلاثين بيتاً.

محاولة إنقلاب 1956

في سجن المزة في العام 1956 التقيت بالرفقاء عبد الوهاب التركماني ورحيل غيبور ومحمد الماغوط وأمين غنام وراجي الحلبي وإحسان فرح، وبسبب محاولة انقلاب فاشلة لانقاذنا، انضم إلينا الرقيب أول الرفيق منير حداد والملازم الرفيق شوكت صفطلي والنقيب الرفيق عبدو وهبه والرائد الرفيق شكيب وهاب والعقيد محمد صفا والعقيد محمد معروف والمقدم حسين الحكيم والمقدم عز الدين الجرّاح والنواب في مجلس الشعب السوري: منير العجلاني، حامد منصور، فضل اللّه جربوع، فرزت المملوك، عدنان هاشم الأتاسي، عادل العجلاني، هائل سرور، إلى الوزير السابق سامي كباره ورئيس مجلس الوزراء السابق معروف الدواليبي، ومعظمهم من الشخصيات العسكرية والسياسية البارزة في سورية.

هذه المحاولة الانقلابية، كان العراق داعماً لها بالمال والسلاح، وذلك خوفاً من انغماس سورية في المعسكر الشرقي الذي كانت تقوده موسكو (الاتحاد السوفياتي سابقاً) وتدعمه قوى اليسار في العالم.

كان لبنان مركز التحضير للانقلاب، وكانت قيادة هذه المحاولة يتقاسمها غسان جديد المسؤول عن الجناح العسكري يعاونه عميد الإذاعة سعيد تقي الدين، والنائب في مجلس الشعب السوري ميخائيل إليان مسؤولاً عن الجناح السياسي.

وقد وافقت قيادة الحزب على المشاركة بهذا الانقلاب بغية انقاذنا من سراديب التعذيب في سجن المزّة وإزالة الغمامة السوداء التي تلفُّ الحزب في الكيان الشامي. وقد فشلت هذه المحاولة الانقلابية لأنها كانت مخترقة من الداخل فالنقيب برهان إدهم[1] المسرّح من الجيش السوري كان يعمل مع المخططين للانقلاب متظاهراً أنه خصم لعبد الحميد السرّاج وجماعته، بينما كان في الحقيقة يطلع المكتب الثاني في الجيش السوري على كل خطوة يقوم بها المخطّطون للانقلاب حتى تمكّنوا من إفشاله.

تأسيس جريدة «الفضيحة» في السجن

وفي السجن قمت بتأسيس جريدة اسمها جريدة «الفضيحة» أكتب فيها عن أعمال الرفقاء في السجن، الجيد منها والسيّء وكل من يخطئ من الرفقاء يحال إلى المحكمة الحزبية التي كانت بأمرة الرفيق أمين غنّام... وهو الذي يحكم ويفرض العقوبات، وكانت تتراوح بين عشر ليرات وخمس وعشرين ليرة، ويساعده في ذلك الرفيق راجي الحلبي، وكنا نجمع هذا المبلغ مع الرفيق محمد المصري حتى وصل إلى نحو خمسة وثلاثين ألف ليرة سورية وكنا نستعمله لدفع كفالات مادية للرفقاء الذين يخلى سبيلهم بكفالة. وجريدة «الفضيحة» أخذت دوراً كبيراً في السجن، وصار الأمناء يطلبونها، وكانت تصدر أسبوعياً، وإذا تأخّرت كان الأمينان فؤاد الشوّاف وأديب عازار وغيرهم يسألون أين صارت «الفضيحة» لأنها كانت تشرح أوضاع الرفقاء بدّقة مع أسلوب ماغوطي. وأقدَمَ عبد الوهاب التركماني، من غيرته، على تأسيس جريدة أخرى، أسماها «القلم العريض» ولما أصدر العدد الأول، قمت

(1) طُرح اسم برهان أدهم بين المخططين للانقلاب من قبل أديب الشيشكلي لثقته به أيام حكمه، وكان الشيشكلي قد دخل لبنان خلسة قادماً من البرازيل عبر «شط الأوزاعي».

بإصدار نسخة من جريدة «الفضيحة» ونشرت فيها رسماً يظهر فيه التركماني راكضاً أمامي وهو يضع يده على قفاه وأنا ألحق به حاملاً القلم العريض، وهو يصرخ ويقول: «آه لو سمّيتها بأرفع قلم ممكن»... فأخذ هذا الرسم الكثير من الضجّة في السجن ولاقى صدى واسعاً جداً من الضحك والمرح... وقال الأمين فؤاد الشواف للرفيق عبد الواهب التركماني: إلغِ هذه الجريدة لأنه لن يبقى على الساحة إلا هذه «الفضيحة».

واستمرّت «الفضيحة» بالصدور لفترة وكانت تزيل الهمّ عن قلوب الرفقاء في السجن... وكنت أشرح أوضاعهم بشكل دقيق. وكان المحرّر معي في الجريدة الرفيق طانيوس الحمصي.

أذكر أن أحد الموقوفين ويدعى اسماعيل عبد اللطيف قد أخبرني صديق له اسمه إدريس عبدالله أنه مطرود من الحزب لأسباب سلوكية سيّئة، فكتبت عنه مقالاً في الجريدة ينصُّ على أنه: «علمنا من مصدر موثوق أن المدعو اسماعيل عبد اللطيف لم يسبق له أن انتمى إلى الحزب السوري القومي الإجتماعي، إنّما كل ما في الأمر أن زوجته تضايقت من ثقل دمه وسماجته وانتهزت فرصة اعتقال القوميين فوشت به إلى السلطات المختصّة وقالت لهم إنه قومي.. ولهذا السبب دخل إلى السجن».

وفي اليوم التالي وزّعت الجريدة ووصلت منها نسخة إلى مدير السجن الملازم أول تركي التركاوي فأرسل بطلبي وذهبت إليه فقال لي: «ألا تعرف أيها الرقيب أن الصحف ممنوعة في السجن»، فقلت: «سيدي هذه ليست صحيفة سياسية كل ما فيها أخبار القوميين داخل السجن»... فقال: «أنت كاتب مقال عن اسماعيل عبد اللطيف، هل هو صحيح أم أنه من تأليفك؟» قلت: «هذا الكلام صحيح»... وبالفعل فقد أخلوا سبيله بعد أسبوع.

هروب محمود نعمه من سجن المزة

في 11 كانون الأول 1957، وبعد منتصف الليل في الساعة الثالثة إلا ربع،

الملازم أول محمود نعمه

فجراً، إستيقظنا على ضجة قوية من حراس السجن وتبيّن أن الكهرباء قد قطعت وراح المسؤولون في السجن يعملون لإعادتها فلم يتمكّنوا، وقد أخبرنا أحد السجناء من المجنّدين الفارين[1] بأن الضابط السجين القومي محمود نعمه تمكّن من تعطيل الكهرباء باحتكاك الأشرطة وخلع حديد نافذة زنزانته وهرب بواسطة الحبال التي صنعها من الحرامات وخيوط الليف ومزّق بيجامته لتمتين عقد الحبال، وأعطاني هذا المجنّد قطعة من بيجامته احتفظت بها إلى ما بعد خروجي من السجن. وفي الصباح رأينا من نوافذ السجن عدداً كبيراً من الشرطة العسكرية ينتشرون مع الكلاب البوليسية في التلال المجاورة للسجن للبحث عن الملازم الأول الفارّ محمود نعمه. وعلمنا أخيراً أن هذا البحث كان دون جدوى والسجين الفارّ أصبح في لبنان. وبعد خروجي من السجن سنة 1958 وذهابي إلى لبنان، إلتحقت بمقرّ عمدة الدفاع في قرية بيت الشعّار، حيث التقيت هناك بالملازم أول محمود نعمه الذي كان يتولّى إدارة وتنظيم جميع الرفقاء المقاتلين، وبعد أن حيّيته وعرّفته عن نفسي أعطيته القطعة التي كنت أحتفظ بها من بيجامته فضحك كثيراً، وسألني: «من أين أتيت بها؟»، فقلت له: «لن أُفصِح قبل أن تخبرني ما هي هذه القطعة»، فقال: «إنها من بيجامتي التي مزقتها واستعملتها لربط عقد حبال الهرب من السجن».

(1) السجناء المجنّدون الفارون: هم من المجنّدين الفارين من الخدمة العسكرية والذين كانت تستعملهم إدارة السجن لأعمال التنظيفات. وكنا نطلق عليهم إسم «البلدية».

بدء جلسات المحاكمة

بعد حادثة هروب محمود، بدأت محاكمتي، حيث أمضيت في السجن سنتين ونصف السنة، وكان القاضي الأول العميد بديع بشور. عندما قرأ قرار الإتهام ورأى أن نتيجة القرار إعدامي، قدّم استقالته، وقد علمت لاحقاً أنه قومي. جاء بعده عقيد اسمه حسن غنّام، وهذا كان معنا في السجن عام 1949 عندما اعتقلِنا، وكان مسجوناً بتهمة غشّ في التموين، ومن ثم عندما استلم حسني الزعيم حقّق معه وهدّده بالإعدام إذا ثبت هذا الغشّ. عقد حسن غنّام جلسته، ولما رآني قال لي: «هذا أنت»، قلت له: «نعم»، فأنهى الجلسة فوراً ثم استقال.

عيّنوا بعده العميد أمين أبو عساف من السويداء، وهذا معروفٌ بالنسبة لنا أنه قومي، ولكنه بالنسبة للنظام لم يكن مكشوفاً. كذلك عقد أول جلسة وقال لي: «يا ابني اعترف أحسنلك»، قلت له: «سيدي بماذا تريدني أن أقرّ وأعترف وأنا لا أعرف شيئاً؟»، فأنهى الجلسة وأرجأها لمدّة خمسة عشر يوماً ثم استقال. القاضي الرابع الذي عُيّن لمحاكمتي كان العميد عبد الرحمن مردم بك، يتمتع بشخصية قوية ومعتبرة، يعاونهُ القاضي درويش الزوني. وفي جلسة المحاكمة سألني مردم بك: «هل أنت سوري قومي إجتماعي؟»، قلتُ: «نعم أنا سوري قومي إجتماعي»، وقلت له أيضاً: «يا سيدي إذا تمّ أخذك الآن إلى المزّة سوف تعترف أنك سوري قومي إجتماعي»، قال: «لماذا؟»،

قلت: «هناك كرباج وحمام وكهرباء، وعدّدت له كل أدوات التعذيب»، فقال لي: «ما هذا الكلام، ومن كان يعذبك؟» فقلت له: «الشرطة»، فسأل أيضاً: «من هو مدير السجن؟»، فقلت: «عزّت حسين»، فقرع الجرس وطلب من رئيس شرطة المحكمة الذهاب فوراً إلى السجن وجلب المساعد الأول عزّت خلال نصف ساعة، وكانت المحكمة لا تزال منعقدة وهي جلسة سرية، أتوا بعزّت، فقال له القاضي: «أنت مدير سجن المزّة؟» فقال: «نعم»، فسأله: «ما هو الكرباج والحمام وغير ذلك؟» فأجاب: «سيدي، الكرباج لكي نضرب به ضربات بسيطة لأي مسجون يخالف مخالفات صغيرة، والحمام كي يستحموا، والكهرباء حتى نضيء لهم».

وطلبت، من القاضي أن يجعله يقسم اليمين على ما يقوله، وأردفت قائلاً للقاضي: «سيدي أعرف أن المساعد الأول عزّت حسين يصلّي يومياً خمس مرات، ونحن كنا نراه يصلّي في السجن، لذلك أرجو أن يقسم اليمين». فاعترض في البداية قائلاً: «سيدي كيف أقسم اليمين وأنا مدير السجن، معفى سيدي!» فنهره القاضي وقال له: «لا أحد معفى، أقسم وإلا»... فأقسم ثم قال: «سيدي الكرباج هو للجلد والحمام للتعذيب والكهرباء للتعذيب القاسي جداً... إلى أن أقرّ بكل شيء».

بعدما أعطى عزّت حسين إفادته، خرج من المحكمة عائداً إلى مقر عمله في سجن المزّة، لكنه لم يصل وقالوا إن سيارته تدهورت وقتل بحادث سيارة. أنا أعتقد أن السرّاج أمر بقتله بعدما عرف بما قال أمام المحكمة.

وكان محامي الدفاع عني الدكتور في القانون محمد الفاضل[1]. لم يكن مطّلعاً على أخبار التحقيق معي، فبدأ دفاعه بالقول إنه يعرفني ويعرف أهل

(1) كان الحزب السوري القومي الاجتماعي قد عيّن المحاميين محمد الفاضل ومظهر العنبري للدفاع عني.

منطقتي ومحيطي وهؤلاء الناس لا يعرفون الأحزاب، ومن المعروف أن الأحزاب في تشكيلها لخلايا وشبكات سرية تكون أسماء أعضائها حركية ووهمية، وقد يكون اسم الرقيب متّى أسعد ورد عوضاً عن اسم شخص آخر. وما أن أنهى الدكتور الفاضل مرافعته، حتى أخذ الكلام المدعي العام زهير العادلي فقال فوراً: «هذا الرقيب الخائن أخذ أسرار الجيش من قيادة الأركان وسلمها إلى حزب عميل لإسرائيل». هنا قاطعه محامي الدفاع الدكتور محمد الفاضل قائلاً: «واللّه واللّه مرتين لحفر بئر بإبرتين وكنس أرض العراق بريشتين لهو أقرب إلى التصديق من أن نقول إن الحزب السوري القومي الاجتماعي عميل لإسرائيل».

ثم تابع المدعي العام يقول: «وفي الإثبات، التقرير المنظم بخط الرقيب متّى أسعد والذي يعترف به صراحة بأنه كان يقوم بنقل معلومات من الجيش إلى الحزب».

وتابع المدعي العام وأفاض في اتهامنا وتخويننا وقرأ قرار الاتهام وطلب الحكم عليّ بالاعدام مراراً فسألني في النهاية القاضي العميد رئيس المحكمة عبد الرحمن مردم بك: «ماذا تقول يا بني؟» قلت: «سيدي أنا أريد أن أقول شيئاً للمحكمة فأرجوا الاستماع إليّ».

فقال: «قُل ما تريد».

قلت: «في قرار الاتهام كما جاء على لسان حضرة المدعي العام الملازم أول زهير العادلي، وفي الإثبات أنني كنت أقوم بنقل المعلومات من الأركان العامة للجيش إلى زعيم الحزب السوري القومي الاجتماعي، أرجو من المحكمة الكريمة أن تطّلع على هذا التقرير الذي يقول الإدعاء أنه منظّم بخط يدي»، (أنا متأكد أنني لم أكتب أي كلمة خصوصاً أنني كنت دوماً أخرج من التحقيق معي فاقداً للوعي، فكيف أكون قد اعترفت كتابة بما ذُكِرَ)، قال القاضي: «ماذا تقصد؟» قلت: «فقط أطلب أن تطّلعوا عليه». قال: «حسناً»،

وبدأ التفتيش في أوراق الملف عن هذا التقرير، فلم يجد شيئاً والتفتُّ إلى المدعي العام، وناداه: «زهير». أجابه: «نعم سيدي».

نهره القاضي: «ولاه عندما تكلمني عليك أن تقف»... فوقف زهير العادلي وسأله القاضي: «بناء على ماذا تطلب إعدام الرقيب متّى أسعد؟» فقال: «بناء على قرار الإتهام»، فقال له: «هل رأيت التقرير الذي تتحدث عنه؟»، فقال زهير العادلي: «لا سيدي». فقال له: «إذن من كتب قرار الإتهام؟»، فأجاب المقدم يوسف شقرا، فطلب القاضي أيضاً من الشرطة العسكرية للمحكمة أن تجلب المقدم يوسف شقرا... وبالفعل بعد دقيقتين كان المقدم يوسف شقرا ماثلاً أمام المحكمة، فقال له القاضي: «يوسف هل أنت من نظم قرار الاتهام بحق الرقيب متّى أسعد؟»، فقال: «نعم سيدي»، فقال القاضي: «خذْ هذه الإضبارة ودُلّني على التقرير المنظّم بخطّ يد متّى أسعد كما تقول في قرار الإتهام».

أخذ المقدم يوسف شقرا الإضبارة وبدأ يبحث ويفتش في الأوراق ويمسح جبينه من العرق... أكثر من نصف ساعة ثم قال: «سيدي... التقرير مسروق»، فقال له القاضي: «من سرقه أنت أم أنا؟... أنت إنسان مجرم أُخرج من هنا»...

ثم رفع القاضي الجلسة للمذاكرة وألغى سرية المحاكمة، فخرج شرطي إلى ردهة المحكمة الخارجية وسمح بالدخول لمن يريد إلى المحكمة حيث كان أهلي ينتظرون في الخارج... فدخل إلى الجلسة عدد من أفراد عائلتي والأقارب...

بعد حوالى ربع ساعة، خرجت هيئة المحكمة من المذاكرة ودق القاضي بمطرقته، وقال: «محكمة»، فوقف الجميع، وتابع القاضي: «التأمت المحكمة ودرست ومحّصت وقرّرت بالإجماع براءة المتّهم متّى أسعد وإخلاء سبيله فوراً إن لم يكن موقوفاً بجرم آخر».

هنا صرخ أخي نبيه ووالدي: يعيش العدل، ووقفت زوجة عمي صائحة: «تحيا المحكمة»، فسألني القاضي: «وماذا تقول أنت يا بني»، قلت: «شكراً سيدي».

بعد الجلسة أرجعوني إلى سجن المزّة، ولم يخلوا سبيلي على الرغم من أن المحكمة حكمت ببراءتي، لأن السرّاج يريد أن يبقيني حتى يدبّر لي تهمة ثانية لكي يتخلّص مني. وفي اليوم الثاني أضربت عن الطعام، وفي اليوم الرابع جاء مدير السجن وقال لي: «يا أخي أرجوك يجب أن تأكل هذا الصحن من الشوربة»، قلت له: «أرجوك أن لا تأتي إليّ بعد الآن إذا لم تأتِ لي بإخلاء السبيل»، قال: «أنا أتعهّد إليك بإخلاء السبيل، ولكن عليك الآن أن تأكل صحن الشوربة»، أصرّيت على الرفض.

عاد في اليوم التالي، وقال لي: «بشرفي العسكري، سأؤمّن لك إخلاء السبيل، فأرجوك أن تأكل صحن الشوربة اليوم»، هنا شتمته... فذهب وطلب الطبيب لمعاينتي، فأتى الطبيب وأجرى لي الفحص وقال لمدير السجن إن وضعي سيّئ جداً، فما كان من مدير السجن إلا أن ذهب إلى الشعبة الثانية، وقال لهم: «لا أستطيع تحمّل مسؤولية هذا السجين، فإما أن تقبلوا استقالتي عندكم أو إخلوا سبيله، أنا لا أستطيع تحمّل مسؤوليته أو احتمال وفاته. وهو محكوم براءة في المحكمة العرفية».

وإذ به يأتي إليّ في اليوم التالي ويقول لي: «خذْ، هذا إخلاء سبيلك، وهذا صحن الشوربة، كلْه»، فقلت له: «لن آكل شيئاً هنا»، وخرجت من سجن المزّة دائخاً، أسير يميناً ويساراً فرآني رقيب أول من المصفحات وأتى نحوي وأمسك بيدي وسألني: «كم يوماً أمضيت في السجن»، فقلت: «تسألني كم يوم؟ إسألني كم سنة»، فقال: «كم سنة»، قلت: «ثلاث سنوات»، فقال: «وما هي تهمتك»، قلت: «قومي»، ففوجئ، وانتابه الرعب وتركني وركض هارباً بعيداً عني.

إحترت من أين أذهب، وما أن مشيت قليلاً حتى وقفت ورحت أتدحرج نزولاً لمسافة طويلة إلى أن استطعت التوقف وتمالكت نفسي ووقفت ونفضت الغبار عن ثيابي وسرت قليلاً حتى وصلت إلى باصات المزّة فنظر إليّ السائق والركاب نظرات غريبة، نظراً إلى مظهري المزري وثيابي العسكرية المغبّرة... ووصلت إلى باصات القصّاع فحصل الأمر نفسه من السائق والركاب.

ركبت أحد الباصات ووصلت إلى القصّاع، وكان هناك مقهى أعرفه كنت أزوره سابقاً أنا وابن عمي رامز نشرب عنده كأساً من الويسكي ونأكل الفستق الحلبي... المهم دخلت إليه ففوجئ بي لأنه يعرف أنني كنت في السجن، وعندما رأى الغبار والمنظر الذي أبدو فيه إعتقد أنني هارب من السجن، فحضر لي بعض المكسرات وكأسين ويسكي وقال لي: «خذْهم واذهبْ»، قلت: «لا، خذْ. هذه عشر ليرات»، ومشيت، ولم أخبره وضعي لأنه كان خائفاً جداً.

بعدما خرجت من المحل، وأنا لا أزال على بابه، شربت كأساً من الويسكي، فأحسست بعدها وكأنني تناولت خروفاً، فعادت إليّ قوتي وعزمي، فأخذت الكأس الثانية... ومشيت أبحث عن بيت عمي... لأنني لم أعد أعرف أين المنزل بسبب الأوتوستراد الحديث الذي شقّوه أثناء وجودي في السجن، إلى أن اهتديت إلى الطريق الداخلي الصحيح، وكان العصر قد اقترب، فوصلت ودخلت الدار... فوراً قال رامز ابن عمي: «هذا متّى... هذه دعسة متّى»، هبَّ الجميع يستقبلونني بترحاب كأنني أحد الفاتحين، ومن ثم في اليوم التالي جاء من يقول لي إن شرطة الجيش تدور في الحي وتسأل عنك. فقلت: «لا حول ولا قوة إلا باللّه، فأنا بالكاد خرجت من السجن للتوّ»، ذهبت إلى سجلّ الإحصاء بدمشق حيث هناك المساعد الأول فؤاد يازجي (وهو ابن خال والدتي) فأعطيته هويتي العسكرية وطلبت منه إشعاراً باستلامها. وأخذت هذا الإشعار وذهبت به إلى مركز نفوس أبناء الوادي الكائن في بلدة الناصرة. وكان عليَّ أن أمرّ أولاً على المخفر، لكن رئيس

المخفر كان لديه أمر باعتقالي وتسليمي من جديد إلى الشعبة الثانية، فذهبتُ مباشرة إلى مدير الناحية وسلّمته إشعار السجلّ والإحصاء... فاكتفى به وأعطاني هويتي المدنية، دون أن يلزمني بالمرور على رئيس المخفر فأخذتها وعدت فوراً إلى دمشق، وما زلت أذكر تاريخ ذلك اليوم في 22 شباط 1958 لأنه اليوم نفسه الذي تمّ فيه إعلان الوحدة المصرية ـ السورية...

إلى بيروت

في ذلك اليوم، كان أخي نبيه في دمشق برفقة المطران إيليا كرم (مطران جبل لبنان). وقد سمعوا أنني خرجت من السجن ببراءة وكانوا يبحثون عني، ولما وجدوني، أتى المطران وهنأني وقال لي: «هل تذهب معي إلى بيروت»، قلت: «نعم أذهب»، فذهب إلى سيارته وجلب ثوباً رهبانياً وقال لي: «إلبس هذا»، فقلت له: «سيدي أنا خرجت من السجن ببراءة فلا داعي لذلك»، لكنه أصرّ عليّ قائلاً: «براءة أو غير براءة إلبس هذا الثوب»، فلبست الثوب وركبت في السيارة... على الحدود جاء رقيبٌ من الشرطة وأدّى السلام: «اللّه معك سيدنا... هل كل الذين معك لبنانيون؟»، فقال المطران: «نعم كلهم لبنانيون»، فقال الرقيب: «اللّه معك»...

بعدها جنّ جنون عبد الحميد السرّاج ولم يعرف كيف استطعت اجتياز الحدود، وأرسل رئيس مخفر وادي النضارة، اسمه أبو فواز إلى بيروت، لكي يعتقلني، وكان يسمع أن أكثرية السوريين من أبناء منطقتي ينزلون إلى سد البوشرية... ويعملون في معامل العسيلي فراح يسأل عني هناك حتى وصلني الخبر، فأخذت مجموعة من القوميين وذهبت إلى المنطقة أسأل عنه فلما علم بذلك هرب إلى الأشرفية، لحقت به إلى هناك فهرب مجدداً ولكن هذه المرة هرب وعاد إلى مركزه في بلدة الناصرة، وعندما رأى والدي قال له: «ما الذي فعلته أنا لإبنك حتى يلحقني في بيروت من مكان آخر»، فقال

له والدي: هو يلاحقك أم أنت تلاحقه، يلعن أبو الذي يلاحق الآخر».

بعد وصولي إلى بيروت تلقيت كتابين، واحداً من تنظيم جورج عبد المسيح[1] وفيه مئتا ليرة والثاني من مركز الحزب وفيه أيضاً مئتا ليرة. الرفيق غطاس سعاده أعطاني الكتاب من تنظيم عبد المسيح، وفيه أرقام هواتف مجلة البيدر لكي أتصل بها في بيروت وألتحق، ورفيق آخر أعطاني الكتاب من المركز ورقماً هاتفياً في بيروت، حتى اتصل به وألتحق بالتنظيم الثاني.

أنا لا أنكر أن أهوائي وميولي كانت لجورج عبد المسيح. وبالفعل لما وصلت إلى بيروت، إتصلت بمجلة البيدر لصاحبها ورئيس تحريرها الرفيق وليم صعب وكان فيها مكتب لجورج عبد المسيح، ولكن لم يردّ عليّ أحد.

عندها اتصلت بالرقم الثاني التابع لتنظيم المركز، فردّ عليّ الرفيق أنور فهد، وقال: «نعم»، قلت: «أنا متّى أسعد»، فصرخ وقال: «من أين تتكلم؟» قلت: «من منطقة البوشرية»، فقال: «لا تتحرك من مكانك، أنا آتٍ إليك».

بعد قليل أتت سيارة جيب عسكرية للحزب، أقلّتني إلى المركز في شارع السادات، هناك رأيت المسؤولين وشرحت لهم وضعي وقدّمت لهم تقريراً بما حصل معي، وقام رفيق اسمه إسماعيل جمعة وهو مسؤول في عمدة المالية، فأعطاني مئتي ليرة وقال لي: «أصرف كل يوم خمسة وعشرين ليرة، ثم عدْ لتأخذ غيرها لتستعيد صحتك».

ذهبت بعد ذلك إلى مطرانية جبل لبنان للروم الأرثوذكس، عند أخي نبيه الذي كان يعمل في المطرانية مرافقاً للمطران إيليا كرم، وبقيت عنده لبضعة أيام إلى أن أتاني الرفيقان أنيس أبو رافع وأكرم بشّور وأقلّاني إلى ديك

(1) بعد مقتل المالكي حدثت تطورات وخلافات داخل الحزب أدّت في العام 1957 إلى انقسامه بسبب طرد جورج عبد المسيح من صفوفه وأصبح في الحزب تنظيمان أحدهما تابع لجورج عبد المسيح والآخر للمركز.

المحدي وبيت الشعّار. هناك في عمدة الدفاع تعرّفت إلى رفيق اسمه أمين معوّض، فعرّفت عن نفسي فقال: «أهلاً وسهلاً»، وسألني: «هل أتيت لتلتحق بالمركز؟» قلت: «نعم... ولكن هل نستطيع أن نشرب كأس عرق؟»، فقال: طبعاً ونادى ولداً عمره حوالي 9 سنوات وقال له: «ميشو»... فأتى الولد فقال: «نعم»... قال له: «اذهب بابا إلى الدكان وأجلب لنا بطحة عرق، والكاسات والثلج من البيت»... وبينما كنا نتناول العشاء إذ بصبية جميلة جداً تمرّ بنا وتقول: «بونسوار»، فقلنا لها: «بونسوار». وقلت للرفيق أمين معوّض: «شو في حلوين في قريتكم»، فضحك وقال: «هذه ابنتي ناديا» فقلت: «لا بأس ولو كانت ابنتك فهي جميلة»، من يومها قام بيني وبينها نوع من التعاطف... إلى أن تزوجت منها... وأصبحت فيما بعد أم عصام...

وبعد انتهاء السهرة مع الرفيق أمين معوض، قابلت في اليوم التالي عميد الدفاع فضل اللّه أبو منصور الذي سلّمني مسؤولية اللاسلكي وأعطاني أجهزة حديثة وطلب مني تدريب فرقة من القوميين على المخابرات الهاتفية، وهكذا جمعت عدداً من الرفقاء منهم: عفيف الجوهري، نديم كاسر قحوش، دياب ديّوب، سجيع حبش، إنطانيوس قنيزح، عادل طبري، إبراهيم سليمان، وبدأت بتدريبهم إلى أن أتقنوا أسرار التخاطب والتخابر الهاتفي. وكان لهذه الفرقة دور مهم في المعارك التي خاضها الحزب في تلك المرحلة.

اقترحت على عميد الدفاع استئجار المنزل المقابل لعمدة الدفاع، وهو الطابق العلوي من منزل الرفيق أمين معوّض، الذي لم يكن مسكوناً فقدّمه لنا مجاناً، لكن الحزب لم يقبل بذلك فدفع له الإيجار. نصبت خيمة على السطح، حيث صرت أدرّب الرفقاء فيها.

وهنا أريد أن أذكر هذا الحادث الطريف الذي حصل معنا في البوشرية. في أحد الأيام نزلت من بيت الشعّار مع الرفيقين محمود نعمه والرفيق المصارع جورج ديراني إلى سد البوشرية بدعوة على فنجان قهوة من الرفيق جميل حدّو اللاطي. وعند وصولنا إلى كنيسة مار مخايل، كان علينا أن

نسلك طريقاً ضيقة نسبياً وكان الرفيق ديراني يقود السيارة ببطء غير أن سيارة قادمة من الجهة الجنوبية بسرعة فائقة صدمت سيارتنا وأنزلت إطارها الأمامي في خندق المياه الشتوية وكسر ضوء سيارتنا إثر الصدمة، فتوقفنا ونزل صاحب السيارة المسرعة وجاء إلينا مهدّداً... «العمى في عيونكم مش شايفين قدامكم». هنا تحفز جورج للنزول إليه فقال له محمود: «جورج قعود عاقل»، وراح محمود يهدئ الأمور، غير أن صاحب السيارة التي صدمتنا راح يصرخ بأعلى صوته: «بدكم تدفعوا تصليح السيارة وإجركم فوق رقبتكم ومدّ يده إلينا مهدّداً»، هنا قال محمود لجورج ديراني: «جورج إنزل»، نزل جورج وأمسك بالرجل ورماه على شجرة أبو صفير داخل بستان مسوّر بالشريط الشائك فحطّ الرجل على أعلى الشجرة وراح يتدحرج نحو الأرض ببطء غير أن هذا الرجل كان له أهل وأقرباء وبيتهم قريب من الحادث وهنا بدأت الصرخة وهجم الرجال، هذا بالعصا وذاك بالسكين ولم يكد يصل الرجل الأول حتى لحق برفيقه على الشجرة وراح يتدحرج. وأخذ جورج شكل النسر المستعد للقتال، وعندما رأى القادمون ما حلّ برفيقهما! تراجعوا راكضين ونزل جورج إلى خندق المياه الشتوية ورفع السيارة بمفرده وتابعنا سيرنا.

زواجي من ناديا

كان في عمدة الدفاع رقيب أوّل اسمه حليم خوري راح يلفت نظري إلى إبنة الرفيق أمين معوّض التي كانت تنظر إليّ بعين المحبة. وبالفعل، أخذت كل انتباهي ورحت أسعى للتعرّف إليها بشكل جدّي واجتمعت بها على انفراد وتحدّثنا واتفقنا، فقالت لي: «اطلبني من أهلي»... فقلت: «وإذا لم يوافقوا؟» قالت: «تطلبني مرة ثانية»، فقلت: «وإذا لم يوافقوا»، قالت: «اطلبني مرة ثالثة»، قلت بإصرار: «وإذا لم يوافقوا؟» فسألت: «إذن ماذا نفعل؟»،

1959 بيت الشعار: حليم خوري ورامز الأسعد ومتّى أسعد وولدا حليم خوري عصام واليسار

قلت لها: «نذهب خطيفة»، فقالت: «موافقة».

في اليوم التالي، جلست أنا ووالدتها وكنا نلعب الباصرة، وقبل أن نبدأ باللعب قلت لها: «أم جوزف»... قالت: «نعم»... قلت: «أريد أن أطلب منك أمراً»، فقالت: «ماذا تريد؟» قلت لها: «أنا أحب ابنتك ناديا فهل تعطيني إياها؟» فقالت لي: «لا... لا أعطيك إياها». فقلت: «خير»... أكملنا دق الباصرة وكانت ناديا في الغرفة تستمع إلى الحديث...

انتهى الدق الأول، فقلت لها قبل أن نبدأ الدق الثاني «أريد أن أطلب منك مرة ثانية يد ابنتك ناديا».

فقالت: «لا».

فقلت لها: «لآخر مرة سأطلب منك يد ابنتك ناديا فماذا تقولين؟»،

قالت: «أنا أعرف أنك شاب طيّب وابن أوادم ويبدو عليك أنك إنسان جيّد، ولكن لا نعرف قرعة بيّك منين، لذلك لن أعطيك ابنتي».

أنا أعلم بيني وبين نفسي أنني روم أرثوذكس وأنهم موارنة، وربما قد يكون هذا هو المانع.

كان الرفيق أمين معوّض (والد ناديا) يستمع إلى الحديث، فقال لزوجته: «إذا لم يخطف متّى ناديا غداً سأقطع يدي»، فقالت زوجته: «إذا خطفها فأنني سأنشر عرضه»... وصودف وجود منشار خلف الطاولة التي نجلس إليها، فتناولته ووضعته على الطاولة وقلت لها: «ابدئي بالنشر منذ الآن».

عند ذاك تغيّر وضعها، وفي اليوم التالي، عندما استيقظت نزلت إلى الطابق السفلي حيث حنفية المياه لأغسل وجهي، وجدت ناديا تقف في الخارج ومعها حقيبتها. فسألتها: «ما الأمر؟» فقالت: «أنا ذاهبة إلى بيت جدي في عينطورة»، فقلت: «لماذا؟» أجابت: «أمي تريد أن ترسلني إلى هناك لأنها خائفة منك»...

وفيما كنت أتحدث مع ناديا، أتت والدتها وقالت: «بونجور»... فقلت لها: «أنتِ ما تستاهلي أن يردّ عليك الصباح»... فتعجّبت وسألت: «لا أستأهل؟»... قلت لها: «لا، هل اعتقدت فعلاً أنني أريد ابنتك، كنت أمزح معك حتى نمضي السهرة... فصدّقتِ الأمر وحرّضتِ ابنتك عليّ حتى لا تردّ الصباح».

فزاد استغرابها وقالت: «ألم تردّ عليك الصباح؟»... قلت لها: «لا لم تردّ»، فالتفتت إلى ابنتها وصرخت في وجهها: «ولي... كيف ما بتردّي»... فقالت ناديا: «لا أريد أن أردّ عليه»... فقالت الوالدة: «إذن ادخلي إلى المنزل».

بعد ثلاثة أيام ذهبت إلى مطرانية جبل لبنان، وسألت المطران كرم قائلاً: «أريد أن أخطف فتاة مارونية عمرها 15 سنة، فهل توافق على زواجي منها؟»... قال: «الإنسان يتزوج مرة واحدة... جئني بهذه الفتاة»...

وفيما كنت نازلاً من المطرانية، إلتقيت بالرفيق مهيب خوري والرفيق معروف عبد الخالق (الذي كان سائق رئيس الحزب الأمين عبد الله محسن) والرفيق إميل حدّاد، وقالوا لي: «أين أنت؟» نحن نبحث عنك... قلت: «لماذا؟» فأجابوا: «لأننا مدعوون إلى الشويفات حيث ذبحوا لنا الخراف وينتظروننا»... قلت لهم: «أنا ذابح أكثر منهم وأنا أدعوكم»... فاستغربوا وسألوني عن الأمر، فأخبرتهم بما أنوي القيام به... فهلّلوا وأبدوا كل استعداد للمساعدة، فذهب الرفيق إميل حدّاد وأتى بزوجته وصعدنا إلى ديك المحدي. وعند وصولنا أرسلت الرفيق نديم قحوش إلى غرفتي لكي يأتيني بمسدسي الموجود تحت وسادتي في المنزل ومعه الرصاصات ويمرّ على ناديا ليخبرها أنني انتظرها في مركز عمدة الدفاع[1].

(1) مركز عمدة الدفاع آنذاك كان في منزل الشيخ نجيب خوري - في بلدة بيت الشعار.

وبالفعل، بلّغ الرفيق نديم قحوش ناديا فاستغربت وقالت له: «في هذا الليل»... قال لها: «نعم الآن»... فأتت ناديا مع نديم والتقينا وركبنا في السيارة إلى مطرانية جبل لبنان. في هذه الأثناء كان عدد من شباب الحزب عائدين من المعارك ومعهم أسلحتهم، فسمعوا بأمر الخطيفة والإكليل فأتوا أيضاً إلى المطرانية حيث لعلع صوت الرصاص في سماء منطقة الحدت.

علمت والدة ناديا بالأمر، فذهبت إلى بيت المختار واتصلت بالمطران كرم وقالت له: «لا تكلّل ابنتي فأنا آتية»، فقال لها المطران: «نحن بانتظارك»... فيما كنا قد أنهينا الإكليل. وكان ذلك في 20 تشرين الثاني من العام 1958.

أتت والدتها مع المختار إلى الحدت، ولكن عندما وصلوا إلى مدخل البلدة سمعوا صوت الرصاص الكثيف، فقال لها المختار: «دخيلك أنا لا أستطيع أن أكمل معك إلى المطرانية».

إنتهى الأمر إذن وتكلّلنا، ولكن الموضوع الأهم من كل ذلك كان أنني لا أملك في جيبي في تلك الليلة إلا 35 ليرة لبنانية وهي لا تكفي لعشاء في فندق.

لذلك وقفت بعد قليل أفكر، وكان بين الرفقاء الموجودين في المطرانية رفيق اسمه نقولا حلاّق... لاحظ الأمر على وجهي... فأتى إليّ وسألني قائلاً: «رفيق متّى... إلى أين ستذهب مع عروسك؟» قلت: «واللّه لا أعرف»... فقال: «ألا تعرف إلى أين؟» قلت: «لا، لا أعرف»، فقال: «أليس معك نقود؟»، فقلت له: «لا»... فقال: «إذن تذهب معي إلى بيتي... أنا عندي شقتان، شقة لي ولزوجتي وشقة لوالدتي وأولادي، تسكن أنت وعروسك في شقتي وأنا وزوجتي ننام في الشقة الثانية مع والدتي والأولاد، وتستطيع البقاء عندنا إلى أن تدبّر أمورك». شكرته كثيراً... وبالفعل ذهبنا معه إلى بيته، وكانت شقة فخمة ومحترمة من الطراز الأول، فيها من جميع ما هبّ ودب، وكل الوسائل الترفيهية...

بقينا في تلك الشقة أكثر من عشرين يوماً، وكان كل يوم أفضل من الذي سبقه، من حيث المعاملة التي لقيناها من الرفيق نقولا ومن زوجته ومن والدته، كما لو كنا من أهل البيت وأكثر.

بدأ الرفقاء يتوافدون لزيارتي، وكان كل واحد منهم يقدّم (نقوطاً) بما تيسّر له... هذا ينقّط بخمسة وعشرين ليرة وذاك بخمسين ليرة وذاك بمئة ليرة...، ولم تمضِ العشرون يوماً في شقة الرفيق نقولا إلا وكان معي 850 ليرة لبنانية، وكان هذا المبلغ في ذلك الوقت مبلغاً محترماً جداً.

كان قد أتى إليّ الرفيق عبد الوهاب التركماني وقال لي: «هل تأتي لتسكن معي... في البيت نفسه»، فقلت له: «أين؟»... قال: «في قرنة الحمرا»... فاعتقدت أنه يعرض عليّ أن نسكن في البيت نفسه، فقال: «لا، هناك شقة إلى جانب شقتي فأنا أسكن في بناية يملكها الرفيق فريد سمعان المغترب إلى أفريقيا، تعالَ أنت وعروسك واسكن في تلك الشقة الفارغة، وعندما يعود الرفيق سمعان من أفريقيا تتفق معه على الإيجار»... قلت له: «بارك الله فيك».

أعطيت للرفيق نديم كاسر قحوش 400 ليرة لبنانية وقلت له أن يشتري لي عفشاً للبيت وبالفعل ذهب الرفيق نديم واشترى سريرين وفرشتين وغازاً وطاولة مطبخ، وأدوات المطبخ وغيرها مما يلزم البيت الجديد... وبقي معي 450 ليرة لبنانية.

ثم ذهبنا إلى قرنة الحمرا مع الرفيق عبد الوهاب تركماني وبقينا هناك نحو ثلاثة أشهر. وإذ أتانا خبر من أم جوزيف أنها تريد أن ترانا، وقال حامل الخبر أنها تنتظرنا في مقهى سينما الريفولي في بيروت. نزلنا والتقينا بها، هنأتنا وقبّلتنا وطلبت منا أن يبقى لقاؤها بنا سرياً، لأن أخوال وأعمام ناديا لم يكونوا راضين أبداً عما فعلناه وكانوا يقولون... ألا يكفي أنه روم... بل أيضاً أنه قومي وأيضاً سوري... ثلاث مصائب دفعة واحدة، وفوق ذلك أخذ البنت خطيفة.

قبل ذلك، كانت أم جوزيف قد ذهبت إلى الأمين إميل رعد، وكان في عمدة الدفاع وأخذت تبكي... وتقول: «متى أسعد خطف لي ابنتي». فقال لها: «هل أنت متأكدة أن الرفيق متى أسعد خطف ابنتك»، فقالت: «نعم متأكدة»... فقال لها: «إذن إذهبي وارقصي وزغردي»..

بعد نحو 15 يوماً، قرع الباب في بيتنا في قرنة الحمرا، فإذا بالرفيق أمين معوّض (والد ناديا) على الباب، فدخل وتعانقنا وهنّأنا...

بعد نحو أربعة أشهر من سكننا في قرنة الحمرا، عاد الرفيق فريد سمعان من أفريقيا، فأتى الرفيق عبد الوهاب التركماني وأخبرني بالأمر، فاجتمعت بالرفيق فريد وأخبرته القصة... وقلت له: «إني مستعد أن أدفع الإيجار الذي تطلبه»... وكنت في ذلك الوقت قد عُينت ناظراً للتدريب في منفذية المتن الشمالي. وكنت أتقاضى مخصصاً شهرياً وقدره 225 ليرة لبنانية. كما قدمت اعتذاري لأننا فتحنا الشقة في البناية من دون علمه. فضحك كثيراً وكان يحمل معه حرامين من النوع الفاخر جداً فأهدانا إياهما، وقام ليغادر فأعدت سؤاله حول الإيجار فقال: «نحكي بالموضوع فيما بعد»...

ولما غادر وجدت تحت الوسادة مغلفاً فيه 500 ليرة لبنانية وعلمت أن هذه النقود من الرفيق فريد سمعان، هذا الرفيق المميّز الذي قال لي: «لاحقاً أن باستطاعتي البقاء في الشقة للمدة التي أريدها من دون أي إيجار ولا من يحزنون»... فعلاً أنه رفيق مميّز بأخلاقه وكرم نفسه ومناقبه.

بعد مدّة ثلاثة أشهر تقريباً نزلت إلى بيت الشعّار، فأتى عمي الرفيق أمين وقال: «نستطيع أن نعود ونسكن في الطابق العلوي الذي كانت عمدة الدفاع قد استأجرته لنا سابقاً لكي نجري فيه دورة اللاسلكي كما ذكرت سابقاً».

بعد استلامي نظارة التدريب في المتن الشمالي خلفاً للرفيق عبد الوهاب التركماني الذي سافر إلى أفريقيا، عُيّنت أيضاً مديراً لمديرية بيت الشعّار،

وكانت تلك المديرية تضمّ 36 رفيقاً من أفضل الرفقاء من حيث صلابتهم وإيمانهم بالعقيدة ومنهم: موسى مطلق إبراهيم، يوسف مطلق إبراهيم، محمد عطايا، عبد الحفيظ عطايا، الأخوان محمد وأحمد رشيد، عبد الرزاق آل منديل، الرفيق صبحي عبد الرحمن، الرفيق يوسف الحاج، دياب ديّوب وسجيع حبش وغيرهم...

معارك الجبهات في حوادث 1958

وبالعودة إلى الأول من شهر حزيران من العام 1958 كان الحزب يخوض المعارك على جبهات[1] عدّة إلى جانب رئيس الجمهورية كميل شمعون ضد المتحالفين مع الرئيس جمال عبد الناصر الذي كان يسعى للسيطرة على لبنان وبالتالي القضاء علينا. كنا نقاتل ببسالة ونحرز التقدّم،

صورة لبعض الرفقاء المقاتلين المجتمعين في ساحة شملان

(1) المعارك التي خاضها الحزب توزعت على ثلاث جبهات رئيسية في عكار والشحار الغربي والجنوب.

ومن الرفقاء الأبطال الذين خضتُ معهم غمار تلك المعارك: محمود نعمه (رئيس غرفة العمليات العسكرية)، نديم عثمان، مطانيوس عبيد، الأمين كامل أبو كامل، رشراش أبو فخر، فوزي أبو فخر، مسلط أبو فخر، سعيد حمّاد، مهيب خوري، سجيع حبش، دياب ديّوب، صبحي عبد الرحمن، عفيف الجوهري، صلاح مياسي، فهد صعيبي، موريس التوفي، إدمون صادر، قاسم ضاهر، الرفيق عبد الرزاق آل منديل، يوسف زيدان وأنور فهد. وحينها استشهد عدد من الرفقاء هم الرفيق أحمد العاشق وشامان سيف الدين (من النبي عثمان)، والرفيق علي محمد عبد الله البزال والرفيق راغب جابر ونايف نون وجميل السوقي وسليمان الحلبي، وأيضاً إلياس كعدي وشكيب الحداد، ميشال اللبكي، فايز تبشراني، من منطقة (قوسايا)، والشهيد جميل سماحة من الخنشارة.

الشهيد أحمد العاشق

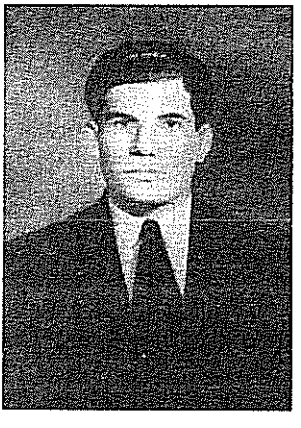

الشهيد شامان سيف الدين

في 14 تموز 1958 نجح المدّ الشيوعي في العراق بقيادة عبد الكريم قاسم بالقيام بعملية انقلابية أسقط من خلالها النظام الملكي وأطاح بحكومة نوري السعيد. هذا الانقلاب شكّل دعماً للثورة القائمة في لبنان، وتخوّفاً على النظام الملكي في الأردن، مما دفع بالولايات المتحدة الأميركية إلى

إرسال قواتها العسكرية البحرية «المارينز» إلى بيروت والشاطئ اللبناني مما أوقف كل العمليات العسكرية على مختلف الجبهات في لبنان فعاد جميع الرفقاء المقاتلين إلى ديك المحدي ـ بيت الشعار وتجمّعوا في باحة كبيرة أمام بيت الأمين أسد الأشقر. هناك، كان يجتمع ثلاثة ضبّاط، الملازم الأول محمد شمنق وأخوه الملازم الأول محمود شمنق والملازم الأول محمود نعمه، ويبدو أنّ هذا الأخير كان قد اتفق مع عدد من الضبّاطِ اللبنانيين على القيام بانقلاب وكان الرفيق محمود نعمه قد أخبرني أنه استشار الرئيس شمعون الذي أجابه أنه لا يشارك ولكنه لا يمانع، وهكذا تحرّك الضبّاط الثلاثة وأعطوا الأوامر إلى المقاتلين القوميين بالصعود إلى السيارات بكامل سلاحهم وزحفوا بهم باتجاه بيروت، بعد قليل جاء الأمين أسد الأشقر وسأل عن الشباب، قلت له: «لقد ذهبوا بسلاحهم برفقة الضبّاط الثلاثة»، فركب سيارته بسرعة البرق وأعطى الأمر لسائقه الرفيق مصطفى أبو الجدايل بالانطلاق عن طريق عوكر حيث التقى بالرفقاء قبل أن يصلوا الاوتوستراد وأعطاهم الأمر بالعودة إلى ديك المحدي. وبعد العودة ألقى الأمين أسد كلمة قصيرة مبدياً لومه للضبّاط الذين حسب رأيه كانوا سيرمون الحزب بمشاكل لا تحمد عقباها. وعندما أنهى الأمين أسد كلمته صعد الرفيق محمد شمنق على متن إحدى سيارات البيك آب وارتجل كلمة قال فيها مخاطباً الرفقاء بقوله: «الآن أيها الرفقاء الأبطال يا أبناء سعاده، إننا نفخر بكم ولكني أخاطب القيادة وأقول لهم يا أشباه الرجال ولا رجال وأكمل كلمته القصيرة التي كان فحواها النقد اللاذع لقيادة الحزب». بعد ذلك وفي اليوم الثاني، صدر قرار بفصل الرفيق محمد شمنق عن جسم الحزب ولم أعد أراه ولا أعلم شيئاً عن مصيره حتى هذا التاريخ... وأريد أن أوضح هنا أن الأخوين شمنق من أصل شركسي وكان أحدهما في الجيش السوري والآخر في الأمن العام السوري وسرّحا بعد انقضاء مدة عقوبتهما... بسبب مؤامرة

اغتيال المالكي وسافرا مع محمود نعمه إلى أميركا. غير أن الرفيق محمود نعمه عاد إلى لبنان للإشتراك بالإنقلاب الفاشل سنة 1961 ـ 1962 الذي ذهب ضحيته في السجن بتلفيق تهمة محاولة الهرب.

وفي هذه المرحلة، عيّن الأمين كامل أبو كامل عميداً للدفاع خلفاً للرفيق فضل الله أبو منصور.

إنتخابات العام 1960

في العام 1960 جرت انتخابات في لبنان ورشّح الحزب الأمين أسد الأشقر في منطقة المتن الشمالي وفتح الحزب مكتباً انتخابياً في جل الديب، فأرسلت إليه بعض الرفقاء للعمل، وفي 2 حزيران هاجم الجيش المكتب واحتله وجاء في الصباح الرفيق يوسف الحاج وأخبرني بالحادثة وأنه سقط لنا شهيد هو الرفيق إبراهيم كركور. وعلى الأثر، اتصلت بالمركز الذي أعطاني أمراً باستنفار المنفذية وعدم القيام بأي شيء من دون أوامر عمدة الدفاع. هذه الحادثة عبّرت عن النيات الكامنة للسلطة اللبنانية في بداية عهد الرئيس فؤاد شهاب[1] لمحاربة الحزب السوري القومي الاجتماعي وإسقاط مرشحيه في الانتخابات النيابية واستهداف وجوده.

بعد نحو شهرين أو ثلاثة جاءني الرفيق جان عازار الذي كان مفتشاً في عمدة الدفاع وقال لي: «يا حضرة الناظر، جاءتنا أخبار أنّ هناك سيارات ستأتي من الشام تقل مسلحين لخطف الرفيق فضل الله أبو منصور والأمين أسد الأشقر فعليك أن تؤمن لهما الحراسة المشددة»، يومها كان عبد الحميد السرّاج يلاحق القوميين. قلت له: «لا تخشَ، لديّ مديرية ليس لها مثيل في الحزب»، وبالفعل فرزت 12 رفيقاً لحراسة منزل الرفيق فضل الله أبو منصور

(1) انتخب العماد فؤاد شهاب رئيساً للجمهورية اللبنانية في 23 أيلول 1958.

و12 رفيقاً آخر لحراسة الأمين أسد الأشقر. وأعطيتهم التعليمات المشدّدة بالإنتباه إلى كل حركة.

وكنت أنا والأمين موسى مطلق إبراهيم (ناموس المديرية) والرفيق محمد عطايا (مدرب المديرية) والرفيق عبد الحفيظ عطايا، نقوم بدوريات على مراكز الحراسة تباعاً بين المنزلين لتفقّد الرفقاء الذين يتولّون الحراسة ومعرفة ما إذا طرأ أيّ شيء جديد.

وفي اليوم التالي، مررنا بالقرب من منزل فضل الله أبو منصور، فلم يعترضنا أحد من الحرس ولم نسمع كلمة «قف»، ورأينا الأنوار مضاءةً في صالون الرفيق فضل الله فصعدنا ودخلنا الصالون، فإذا بالرفقاء يتحلّقون حول الرفيق فضل الله وهو مستلقٍ على جنبه الأيسر لأنه أصيب بطلقَي نار في يده وفخذه الأيمن، كان قد أطلقهما عليه قبل أسبوع رجل من عرسال وذلك بسبب إشكال شخصي، وكان يكلّمهم بلهجة حادة ويطلق الإتهامات المغرضة على المسؤولين المركزيين في الحزب. فطلبت منه التوقف عن هذا الكلام، وأعطيت أمراً للرفقاء بالإنصراف وسألت فضل الله أبو منصور لماذا كان يتحدث بهذه الطريقة. فأجاب بالطريقة نفسها التي كان يخاطب بها الرفقاء: من جرّاء هذا الحادث، قرّرت أن أقدّم استقالتي من مسؤولياتي كناظر تدريب في منفذية المتن الشمالي وكمدير لمديرية بيت الشعّار.

بعد ذلك، إستأجرت منزلاً في منطقة برج حمود وذهبت إلى المركز في رأس بيروت وقدمت استقالتي من مسؤوليتي كمدير لمديرية بيت الشعّار إلى حضرة عميد الداخلية الأمين رامز يازجي، غير أنّ عميد الداخلية إستمهلني ريثما يجد رفيقاً يكون أهلاً لاستلام هذه المسؤولية، ثم قلت له: «إن راتبي لا يكفي لإعالتنا وتسديد إيجار البيت»، فصمت قليلاً وكتب لي عنوان الرفيق جورج كرم في الأشرفية وقال لي: «إذهب واعرض الموضوع عليه».

وفي اليوم التالي، قابلت الرفيق جورج كرم الذي كان يعمل كمتعهد بناء.

وبعد التعارف شرحت له وضعي فسلّمني مسؤولية الإشراف على ورشة البناء.

ومن خلال هذا العمل تحسّن وضعي المادي وتوطّدت علاقتي مع الرفيق جورج بشكل جيّد.

وفي أواخر شهر تموز 1961، دعانا الرفيق جورج كرم إلى حفلة غداء في منزله الكائن في قرطبة وكانت هذه الدعوة على شرف حضرة رئيس الحزب آنذاك الأمين عبد اللّه سعاده[1] وكان بمعيّته عدد كبير من المسؤولين بمن فيهم الأمين أسد الأشقر وبشير عبيد. بعد الغداء، ألقى الدكتور عبداللّه سعاده كلمة رائعة. وعند انتهاء الحفلة، عاد قسم منا إلى بيروت سالكاً طريق نهر إبراهيم. أما نحن، وبرفقة حضرة الرئيس عبد اللّه سعاده والأمين أسد الأشقر، فقد سلكنا الطريق الجردية المؤدية إلى اللقلوق حيث كنا مدعوين لشرب فنجان قهوة عند الرفيق نقولا طراد في اللقلوق. وعلى مدخل قرطبة من الجهة الشمالية الشرقية كان مقهى الشربيني ممتلئاً بالرجال، وعندما أصبح موكبنا مقابل هذا المقهى، إنهالت علينا الحجارة من كل جانب فتوقفنا وصدف أن كان في صندوق سيارة الرئيس رشاش استلمه مرافقه الرفيق رياض درويش وأطلق رشقاً في الجو فجمد كل من كان في المقهى وكاد الأمر أن يتطوّر إلى ما هو أسوأ لولا تدخّل الأمين أسد الأشقر وانتهى الإشكال بسلام.

(1) عام 1960، إستدعى المجلس الأعلى للحزب الدكتور عبد اللّه سعاده بعد غياب طويل في السعودية ليتسلّم مسؤولية رئاسة الحزب. ولم ينفعه الإعتذار، فطلّق عمله الطبي المزدهر وتسلّم رئاسة الحزب.

المحاولة الإنقلابيّة ولجوئي إلى المطرانيّة

وفي 30 كانون الاول عام 1961، ذهبت إلى المركز للمرة الثانية حيث قدّمت استقالتي من نظارة التدريب إلى عميد الدفاع الأمين كامل أبو كامل، فأشار عليّ بأن أراجع عميد الدفاع الجديد الرفيق بشير عبيد، وعندما دخلت إلى مكتب عميد الدفاع لأسلّمه استقالتي رأيت شخصاً ملتفحاً بكوفية ولا يظهر من رأسه إلا عيناه والفرحة بادية عليهما عرفته من هذه النظرات أنه الرفيق محمود نعمه غير أنّه لم يكلمني لأنّ قدومهُ إلى لبنان من ولاية بنسلفانيا كان سرّياً. وفي الأول من كانون الثاني من العام 1962، دخل عليّ في الصباح الرفيق حنا حنا حيث كنت نائماً فأيقظني وأخبرني بأن الحزب قام بانقلاب ناجح، فقلت له: «كيف ينجح الانقلاب ونحن عسكريو الحزب نيام؟!» وطلبت منه أن يفتح الراديو حيث كان المذيع يقول: «قام بعض عناصر الشغب بمحاولة انقلاب فتصدى لها الجيش وما تزال القوى الأمنية تلاحق فلول هذه العصابة». فقلت له: «هل سمعت يا رفيق حنا، اذهب وتدبّر أمرك قبل أن تعتقل».

وقمت مسرعاً ولم أكد أصل إلى مدخل البناية التي كنت أسكن فيها حتى التقيت بالرفيق أحمد الأيّوبي وهو يوزّع جريدة «البناء»، فأخبرني بأنني معين آمر وحدة قتالية في برج حمّود، فقلت له: «الانقلاب فشل إذهب وتدبّر أمرك». والتجأت إلى بستان الليمون القريب من مكان سكني الكائن بجانب

أوتوستراد جل الديب وكان المشرف على هذا البستان الرفيق مخائيل نفّوج وبقيت عنده بضعة أيام حيث كانت اعتقالات القوميين قائمة على قدم وساق.

وقد دفع القوميون ثمناً باهظاً، فقد زجّ حكم العسكر بأكثر من 60 ألف مواطن في السجون وشرّدوا آلاف العائلات ولاحقوا الصحف واستخدموا مع المعتقلين أبشع وسائل التعذيب الوحشية. وقد أصدرت المحكمة العسكرية البدائية 55 حكماً بالإعدام وجاهياً وغيابياً. وجاءت الأحكام كما يلي: الإعدام وجاهياً لأحد عشر شخصاً، الإعدام غيابياً لـ 44 شخصاً، المؤبد لـ 23 شخصاً. أحكام مختلفة لـ 119 شخصاً.

وقد استشهد نتيجة التعذيب الوحشي 30 قومياً اجتماعياً في دهاليز التعذيب النفسي والجسدي حيث حوّلوا المعتقلات والسجون إلى مسالخ بشرية. ولم يكتفوا بذلك فعمدوا إلى مداهمة بيوت القوميين وتخريب ونهب ممتلكاتهم وملاحقة عائلاتهم. ونسجّل بفخر واعتزاز أسماء شهداء الحزب في المحاولة الانقلابية الذين اغتالتهم أجهزة السلطة.

الشهيد يوسف الحاج عبد الله والشهيد محمد قبلاوي والشهيد علي صالح الخطيب والشهداء فوزي ومسلط وسنان ورشراش أبو فخر، ونعيم كركور، والشهيد فارس جميل عبد الله اختفى بعد يومين من الثورة الانقلابية، الشهيد خليل بشير نقل من مخيم برج البراجنة في اليومين الأولين من المحاولة الانقلابية ولم يعد، الشهيد عبد الله عجمي نقل من منزله ولم يعد وذكرت الإذاعة الرسمية أنه حاول الفرار، الشهيد أحمد أبو خزنة نقل من مخيم تل الزعتر ولم يعد وذكرت الإذاعة أنه حاول الفرار والشهيد فوزي عطا، الشهيد محمد إبراهيم سبيتي، الشهيد أحمد فضل، علي مصطفى نقل من مخيم تل الزعتر ولم يعد وذكرت الإذاعة أنه حاول الفرار، الشهيد فؤاد بيروتي، الشهيد مهدي سيف الدين، الشهيد علي البزال، الشهيد نعيم فياض، الشهيد طانيوس عبيد والشهيد أسعد عيسى، الشهيد محمود نعمه

ومحاولة فرار من السجن، الشهيد سعيد حماد[1] والشهيد محمد السبليني والشهيد أحمد علي حسن والشهيد مصطفى حمزة والشهيد عادل أبو فخر، الشهيد راتب صالح والشهيد جميل بربر.

أما بالنسبة لأسباب قيام الحزب بالمحاولة الانقلابية فأبلغ شرح لذلك ما قاله الدكتور عبد اللّه سعاده في استجوابه أمام المحكمة العسكرية التمييزية في 30 كانون الثاني 1963 (النهار): أما في لبنان الديمقراطية، فإن الشراكة الطائفية الإقطاعية، الرأسمالية، تتحكّم بالإرادة الشعبية، فتأتي الانتخابات النيابية في أكثرها خاضعة لتحكّم هذه الشراكة ولسلطانها إن بالضغط أو الكبت أو الإغراء أو التزوير، فيصبح الحكم فيه، بالرغم من ممارسة الشكل الديمقراطي، حكم أقلية متحكمة إقطاعية رأسمالية ـ طائفية، أي حكم أقلية الثروة والطائفية.

وبعد أن أمضيت سبعة أيام في بستان الليمون بجل الديب جاءت زوجة الرفيق مخائيل وأخبرتني أن امرأة من الجيران قالت لها: «يتحدث بعض الجيران من الكتائب أن في بستانكم أحد القوميين الهاربين». وطلبت مني أن أتدبر أمري لأن هذه المرأة أخبرتها أيضاً أنه في أثناء الليل ستأتي دورية لاعتقال هذا الشخص.

وبعد تلقي هذه المعلومات تركت البستان وفيما أنا في الطريق إلى أوتوستراد جل الديب لاحظت أن أحد الأشخاص يتبعني وبعد قليل جاءت سيارة محمّلة بالعناصر الكتائبية وسارت بجانبي خطوة بخطوة إلى أن وصلنا إلى برج حمّود قرب مسكني هناك ركضت وتمكّنت من تضليل هذه السيارة التي لم تتمكّن من متابعة ملاحقتي لدخولي في أزقّة ضيّقة في برج حمّود،

(1) كان الشهيد سعيد حماد معتقلاً قبل المحاولة الانقلابية بأكثر من ثلاثة أشهر، واخرج من السجن أثناء المحاولة واغتالوه.

التفتيش الدقيق الذي أجرته القوى الأمنية

فتمكّنت في النهاية من الوصول إلى سن الفيل حيث لجأت إلى بيت رفعت بركات زوج ابنة عمي ونزلت في ضيافتهم بضعة أيام. وفي تلك المدّة، كنت أنا أنام أما أهل البيت فلا يتذوقون طعم النوم بسبب الخوف. وفي أحد الأيام كنت أقف على شرفة المنزل التي تطل على اوتوستراد سن الفيل - برج حمّود ورأيت رجال الأمن ينزلون الرفيق مهدي عاصي من البناية المقابلة لنا وينهالون عليه بأعقاب البنادق ويعتقلونه، وبعد هذه الحادثة اتصلت بأخي نبيه وطلبت منه أن يسأل سيادة المطران إيليا عمّا إذا كان بإمكانه تأمين نقلي إلى دار المطرانية، فكان الجواب أن الدوريات الأمنية تفتش كل سيارات أصحاب المراكز من قنصل وسفير ومطران وبطريرك، واعتذر متأسفاً عن عدم إمكانيته مساعدتي، ومن هذه الشرفة كنت أراقب يومياً ساحة برج حمّود حيث كانت تقف دورية من الأمن تفتش جميع المارة وعندما يحيد أحدهم عن طريق الدورية تقوم عناصر الكتائب بتسليمه للدورية.

بعد ذلك، قررت أن أذهب إلى دار المطرانية الكائن في منطقة الحدث

وطلبت من قريبي رفعت بركات أن يتبعني على بعد عشرين متراً ليعلم فقط إذا كنت قد تمكّنت من الوصول إلى الحدت. تركت المنزل ومررت أمام الدورية في برج حمّود ودخلت في وسط الدورية فدفعني أحدهم وصاح بي: «هل أنت أعمى؟ ألا ترى». بعدها جاءت سيارة أجرة فصعدت إليها وأقلتني إلى منطقة نهر بيروت حيث نزلت بالترومواي إلى ساحة البرج وهناك أخذت ترومواي فرن الشبّاك، وللمصادفة جلست على أحد المقاعد وإذا بجانبي رجل من المكتب الثاني أعرفه ويعرفني بالشكل، ولكي أتخلص منه نزلت قبل آخر محطة فنزل معي فحاولت تضليله وصعدت إلى إحدى البنايات في منطقة فرن الشبّاك.

وفي الطابق الثاني نظرت إليه من المنور المطل على الطريق فوجدته يقف أمام مدخل البناية وبعد دقيقة وأنا أراقبه رأيته يذهب راكضاً، عند ذاك أسرعت بالنزول وإذ لحسن الحظ بوسطة ركاب الحدت قد مرت فلحقت بها راكضاً وتمكنت من الصعود إليها، وعند وصول هذه البوسطة إلى مستديرة الصيّاد كانت هناك حواجز حديدية وعلى يمين الطريق أرض بور عليها شوادر عدة مضاءة بالمصابيح وفيها رجال أمن بحوزتهم ملفات بأسماء القوميين وصعد أحد العسكريين وراح يقرأ أسماء الركاب من خلال هوياتهم، فيأتيه الصوت من الشادر «أنزله» أو «أتركه» فعندما وصل إلى جانبي كانت بيدي هويتي السورية المغلفة بغلاف بلاستيك مرسوم عليه أرزة لبنان وعندما جاء دوري مدّ العسكري يده ليأخذ هويتي ويقرأ الاسم عند ذاك وبشكل غير شعوري وضعت الهوية في جيب سترتي، فظن العسكري أنه رآها فمسك بكتفي وقال لي تقدم إلى الأمام وبذلك نجوت بأعجوبة ووصلت إلى الحدت وعندما دخلت دار المطرانية جاء أخي واستقبلني وأخبر المطران فكان مسروراً للغاية من تمكّني من الوصول سالماً.

وفرز لي غرفة في الطابق السفلي، وقال لأخي: أكرمه، «أجلب له راديو وكل ما يلزم من مأكل ومشرب، وأمّن له كل ما يطلب على حسابي»،

ونبّهني قائلاً: «يا ولدي، أريد أن أطلب منك ألا تخرج من المطرانية، لأن المخابرات سيعتقلونك. أما داخل حرم المطرانية، فلا أحد يجرؤ أن يقترب منك».

بالفعل بقيت داخل المطرانية مدة شهرين وأرسلتُ زوجتي مع ابنتي غادة إلى دمشق عند أخي وجيه، لأنه لم يكن معي مال لكي أهتمّ بهم أو أصرف عليهم، ذهبت ناديا إلى دمشق وبقيت أنا في المطرانية، وبعد شهرين، ولغريب الصدف، اختلف المطران مع سكرتيره خريستو مسرّة وهو شقيق المطران مسرّة (مطران بيروت القديم) والذي كان يعمل مع المطران منذ أكثر من ثلاثين سنة.

وسبب الخلاف أنه كان لدى المطران كرم وكالة منح أوسمة من مطران القدس اليوناني، وكان مخوّلاً أن يمنحها لمن يراه أهلاً لها، مقابل مبلغ من المال. خريستو مسرّة سكرتير المطران من أصل يوناني ويعرف مطران القدس وأصله أيضاً يوناني، فذهب إلى القدس ليطلب من المطران اليوناني سحب الوكالة من المطران كرم وتوكيله هو بهذا الموضوع، وهكذا حصل، وعندما علم المطران بذلك غضب وطرد خريستو من وظيفته كسكرتير له فأصبحت المطرانية بحاجة إلى سكرتير، فأرسل بطلبي المطران كرم، وقال لي: «يا ولدي كيف ثقافتك؟» قلت له: «جيدة سيدي»، قال: «أكتب طلباً تريد به أن تتوظّف لدى المطرانية»، فأخذت ورقة وقلماً وكتبت طلب توظيف وعندما اطلّع عليه المطران رفع يديه وقال لي: «مبروك، أنت من اليوم فصاعداً سكرتير المطرانية، ورئيس القلم، أما من هذه الساعة فلم يعد اسمك متّى أسعد، بل أصبح ميشال فقط لا غير، ومن يسألك ميشال شو، اصفعه بالكف أياً كان»، فشكرته وذهبت إلى المكتب. كان وكيل المطران في ذلك الوقت الخوري يوسف الجمل، فعلاً أذكر أن الخوري يوسف لم يكن مسروراً لوجودي، وراح يضيّق الخناق عليّ، إلى أن طلبني المطران كرم أحد الأيام وقال لي: «يأتيني محامون كُثر يقولون لي لا تغير هذا السكرتير يا سيدنا،

ناديا وابنتي غادة شهر آب 1961

نرجوك أن تحتفظ به لأنه سكرتير مثالي لا يعذّبنا ولا يستغلّنا ولا يطلب منا شيئاً... لذلك نرجو الاحتفاظ به لأنه أيضاً أهل لأن يكون أكثر من سكرتير». فطلب مني أن أذهب وآتيه بالخوري يوسف الجمل إلى مكتبه، بالفعل ذهبت إلى المكتب وقلت للخوري يوسف أن المطران يريد مقابلته، فذهب معي ووقف أمام المطران الذي قال له: «سلّم الختم إلى ميشال، وسلّمه سجلات المدخول والمصروف، أنت ما عليك إلا أن توقّع الأحكام والمعاملات وهو يسلّمها إلى أصحابها، ويستلم الرسوم ويسجّلها، وإذا قال لك ميشال عن قضية لا توقّعها، اتركها دون توقيع حتى استشارتي».

غضب الخوري يوسف وبدأ يتمتم بصوت منخفض ويقول: «عيّن غيري إذا أردت وسلّمه كل شيء»، المطران كرم كان سمعه ثقيلاً، فقلت للخوري يوسف «إرفع صوتك ليسمعك المطران»، قال: «لا أريد أن أرفعه».

وهكذا تحسّن مركزي في المطرانية بشكل جيّد واستمريت على هذا النحو، وأرسلت بطلب أم عصام، لأنّ مدخولي أصبح جيّداً جداً، وهكذا جاءت أم عصام مع ابنتي غادة التي لم تكن تجاوزت السنة والشهرين من عمرها، للإقامة معي.

أعطاني المطران إيليا كرم مبلغاً من المال، وقال لي: «أجلب لأسرتك أسرّة وفرشات ولحفاً وبطّانيات ورتّبْ أمورك في الشقة» واستقرّ وضعي في المطرانية بشكل جيّد، وبعد سنتين رزقنا بطفل جديد اسميته عصام لمحبتي للأمين عصام المحايري، وأخذت عهداً على نفسي في حال بلوغه سن الرشد بأن أجلعه يقسم اليمين الحزبي على يد الأمين عصام المحايري، وهكذا كان، فبعد أن بلغ السادسة عشرة من عمره ذهبت وإياه والرفيق رحيل غيبور إلى بيت الأمين عصام المحايري، وأقسم اليمين بحضور الشاهدين متّى أسعد ورحيل غيبور.

والمطران كان ينبهني دائماً ألاّ أخرج من المطرانية، لأنه علم أن رجال المخابرات «الشعبة الثانية» والأمن العام يدورون حول المطرانية لإلقاء القبض عليّ لأنه أصبح لديهم علم من أحد الأفراد في الأمن العام من آل عرموني الذي كان يعرفني قبل الاعتقال وقبل الملاحقة، وأخبر الأجهزة أنني موجود في المطرانية، فزرعت هذه الأجهزة رجالها في محيط المطرانية لمراقبتي واعتقالي بمجرد خروجي منها.

غير أن ذلك لم يحصل، لأنّني لم أخرج من المطرانية شبراً واحداً. في أحد الأيام جاءني رئيس مخفر الحدت، الرقيب جبران وقال لي: «لديكم إنسان اسمه متّى أسعد»، أجبته: «نعم»، قال: «مطلوب من وزارة الداخلية، عليه أن ينزل إلى المخفر في مطلع كل شهر حتى يثبت وجوده لأنه قومي خطير»، قلت له: «هذا الشخص بأمر من المطران يمنع مواجهته من قبل أي إنسان، إذا أردت شيئاً جئني بالدفتر وأنا أوقّع لك عنه»، وهكذا فعل، فقد

أتاني بالدفتر وسجّل أنه حضر بتاريخه السيد متّى أسعد إلى المخفر وأكدّ وجوده... فوقّعت له وانصرف.

لم يكن الرقيب جبران رئيس المخفر يعرف من هو متّى أسعد، ولا رآه ولا يعرفه، كل ما يعرفه أنه قابل أمين سر المطرانية ووقّع له بالنيابة عن متّى أسعد، إلى أن اختلفت مع أحد الكهنة وتطور الأمر إلى الضرب فسال الدم من أنفه، ذهب هذا الكاهن إلى المخفر وقدّم شكوى مدعياً بأن القوميين الاجتماعيين احتلوا المطرانية.

هذا الكاهن اسمه نقوديم وقد أتى من بطريركية دمشق ليتمرّن في مطرانية جبل لبنان على الصلوات وغير ذلك، وكان المطران قد أعطاني تعليمات بأن لا أسمح لأحد أن يدخل إلى المطرانية بعد الساعة التاسعة ليلاً فلما منعته من الدخول اختلفت معه وضربته ثم ذهب واشتكى.

جاء الرقيب جبران واتصل بمخفر درك بعبدا وطلب قوة مساندة وجمع عناصره وطوّقوا المطرانية، ودخل جبران لمقابلتي وقال لي: «يا أستاذ ميشال، من احتلّ المطرانية؟» قلت: «أي مطرانية!؟»، قال: «مطرانيتكم، أتى إليّ أحد الكهنة وهو ينزف دماً وقال لي إن القوميين احتلّوا المطرانية».

قلت للرقيب جبران: «لا أحد احتلّ المطرانية»، وكان الكاهن يقف بعيداً عن الباب الشرقي للمطرانية وثيابه ملطخة بالدماء، فقال جبران: «هذا الكاهن أخبرنا أن القوميين احتلوا المطرانية»، فقلت له: «هذا الكاهن يكذب لا أحد احتلّ المطرانية، أعطِ الأمر للدرك بالخروج من المطرانية». وفي هذه الأثناء دخل المطران كرم إلى المطرانية ورأى الدرك في دار المطرانية، فنهرهم قائلاً: «ماذا تفعلون هنا» وأخذ العصا وبدأ يلّوح بها لهم وطردهم، ولمّا وصل إلى مكتبي ووجد جبران عندي ضربه بالعصا مرتين على قفاه وطرده، فقلت: «لا سيدنا الرقيب جبران لا دخل له بالموضوع»، فاعتذر جبران وقال: «يا سيدنا الكاهن نقوديم كان السبب في كل ذلك»، فارتدّ المطران

إلى الكاهن وبدأ يضربه بالعصا وقال له: «لديك ربع ساعة وبعدها لا أريد رؤيتك في المطرانية، وإذا بعد ساعتين بتكون في لبنان سأدخلك إلى السجن»، وبالفعل رموا له أغراضه في دار المطرانية ورحل إلى دمشق وعندها عرف الرقيب جبران أن متّى أسعد هو نفسه ميشال.

وفي شهر نيسان من العام 1962، وبمناسبة عيد الفصح، حضر المقدم توفيق جلبوط الذي كان مديراً للأمن العام ليقوم بواجب المعايدة للمطران إيليا كرم، وعندما أصبح في صالون المطرانية صاح كل عام وأنتم بخير سيدنا، صرخ بوجهه المطران قائلاً: «توفيق جلبوط أنت أرثوذكسي وأنا عينتك بهذا المركز، هذا هو أمين سر المطرانية المدعو متّى أسعد الذي ترسل رجالك يحومون حول المطرانية... لاعتقاله خذه معك».

فصاح المقدم جلبوط معتذراً بالقول: «لم أرسل أحداً لاعتقاله». وأعطى أمراً لمرافقه المساعد فريد راجح بالذهاب إلى مديرية الأمن العام وجلب بطاقة إقامة.

والشيء نفسه حصل مع المقدم أنطوان سعد رئيس الشعبة الثانية للمخابرات الذي أرسل بدوره مرافقه لجلب بطاقة عدم تعرّض.

وقبل صدور الأحكام بحق القوميين المشاركين في محاولة الإنقلاب، جاءني الرفيق داوود برباري وأخبرني أنّ هناك أحكاماً بالإعدام ستصدر بحق بعض القياديين في الحزب، وكلّفني بحث الموضوع مع المطران إيليا كرم عما إذا كان بإمكانه مقابلة الرئيس فؤاد شهاب والطلب منه عدم الحكم عليهم بإعدامهم. أعلمت المطران بذلك، فقال لي إنّه كان يفكر في ذلك. وبعد يومين ذهب إلى دير النورية في حامات وملأ صندوقةً عنباً من عرائش الدير وأخذها كهدية إلى الرئيس فؤاد شهاب وطلب منه بإلحاح عدم الحكم على القوميين بالاعدام ووعده الرئيس بذلك، وهكذا حصل.

محاضرة في مخيم الأشبال

كنت في بداية عملي في مطرانية جبل لبنان، أقيم مع عائلتي في الطابق السفلي من المطرانية، وبعد أن تحسّنت أوضاعي المادية، إستأجرت بيتاً في الحدت سبنيه ملك أسطه برباري. وفي الشقة المقابلة لشقتنا كان يقطن الرفيق فهد شمعه وهذا الرفيق كان من تنظيم جورج عبد المسيح ـ «الإنتفاضة». وفي صيف العام 1972 قال لي: «سأذهب غداً إلى مخيم الأشبال في بيت مري

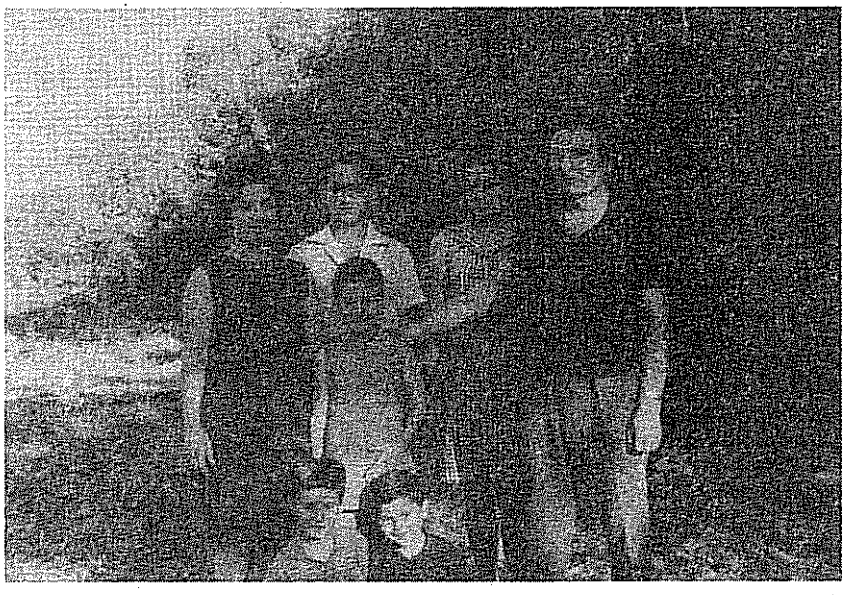

وقوفاً من اليمين متّى اسعد وجاكلين معوض، الرفيق إلياس معوض، ابنتي غادة وزوجتي ناديا وجلوساً من اليمين ولداي نظام وعصام

(وادي الخفسة) فهل تذهب معي؟» قلت دون تفكير: «لا لست بشوق إلى المخيمات»، علماً بأن ولدي عصام ونقولا ابن أخي نبيه يتدرّبان في هذا المخيم، فضحك وقال لي: «سيأتي إلى المخيم أحد الكهنة ويلقي كلمة»، عندها قلت له: «سأذهب معك لأسمع ما سيقول هذا المحترم».. وبالفعل، وفي صباح اليوم الثاني، ذهبت معه فكان هناك جمع كبير من الرفقاء والأشبال...

وعند الساعة التاسعة اغتلى جورج عبد المسيح المنبر وألقى كلمة قصيرة ختمها بقوله سيتكلم الآن الأب جورج رحمه وكان برفقته الأب أنطوان ضو وصعد المحترم إلى المنبر وبدأ بالقول يا شباب أنا لست سورياً قومياً ولكن دعوني أَقُل لكم أننا بعد أن حصلنا على دكتوراه في اللاهوت أرسلنا إلى أرقى الجامعات في الخارج للحصول على دكتوراه في الفلسفة والعلوم. وفي الجامعة اعترضتنا مسائل لم نجد حلاً لها فلجأنا إلى البروفسور الأعلى في الجامعة نسأله حلاً لهذه العقد فصمت قليلاً ثم قال لنا بصوت خافت: «راجعوا كتاب نشوء الأمم لأنطون سعاده»، هنا وقف شعر رأسي، جئنا من أقاصي الأرض لنتلقّى العلوم وإذ بهم يعيدوننا إلى لبنان، إلى أنطون سعاده، فذهبنا إلى مكتبة الجامعة وفتشنا ملياً حتى وجدنا الكتاب المذكور وها أنا الآن أقف أمام تلامذة سعاده لأقول من دون مبالغة أننا بفضل هذا الكتاب نلنا الدكتوراه بتفوّق. ولكن قرّرت بيني وبين نفسي أن أتعرّف إلى سعاده فور عودتي إلى لبنان، وبالفعل بعد أن عدنا جمعت كل ما كتب سعاده وذهبت إلى البحر، هناك على البحر كنا ثلاثة أنا والبحر وسعاده، ولكن بعد ثلاث ساعات لم أعد أعرف أيهما البحر (سعاده أم البحر)، هنا بدأ التصفيق الحاد من الرفقاء ـ بعد ذلك قال الأب رحمه: إني على استعداد للإجابة على أسئلتكم جميعاً بما فيكم العم جورج عبد المسيح. وكانت الاسئلة توجه خطياً حيث أخذ الرفيق فهد شمعه الذي كان يجلس بقربي ورقة وكتب عليها: «ما دام الأب المحترم قد قرأ سعاده وآمن بأقواله ألا يخشى لوم رؤسائه العاملين بالسياسة الدينية؟» قال الأب رحمه رداً عليه: «إني أجيب السائل بأني بعد أن

إطّلعت على سعاده، لم يعد يهمّني في هذا الكون إلا اللّه وضميري. فإذا كان هذا الثوب يقف حائلاً بيني وبين ضميري، فإني مستعد للتخلّي عنه»، ومن ثم أجاب على الأسئلة كافة.

بعد ذلك، لم أعد أرى الأب المذكور حتى رأيته على شاشة تلفزيون النور "Tele Lumiere" وهو يشرح للسائلين والمستمعين مساوئ البدع التخريبية في الرسالة المسيحية.

في عهد المطران كرم، عُيّن مطران للطائفة الآشورية في لبنان اسمه المطران نرساي دي باز. وجاء هذا المطران برفقة عمّو يوحنّا أسمرو ليشكر المطران إيليا كرم على معاملته ورعايته للآشوريين، كما شكره على سعيه لتأمين كنيسة ومدرسة للآشوريين ولأبنائهم. ولدى خروجهم من المطرانية قال له عمّو يوحنّا: «يا سيدنا إذا أردت أن تشكر أحداً فاشكر الأستاذ ميشال لأنه هو الذي كان يهتم بشؤوننا وبكل أمورنا»، وأدخله إلى مكتبي فشكرني وطلب مني بإلحاح أن أزوره في بيت كان قد استأجره من آل قازان، وكنت بالفعل قد ساعدت كثيراً في تأسيس مطرانية للآشوريين ورتبت لهم كل الأمور القانونية والمعاملات والعلاقات مع المحامين الذين لا يعرفون إلا ميشال.

بعد ذلك، ساعدت مطرانية الآشوريين على قوننة كل أمورها، واستصدرت لها ختماً رسمياً وسجلت توقيع المطران في وزارة الداخلية ورتبت كل الأمور.

بعد ذلك أرسلت كتاباً إلى وزارة الداخلية وإلى رئاسة مجلس الوزراء لتصحيح اسم الطائفة، التي كان اسمها الطائفة النسطورية، فأصبح اسمها الطائفة الشرقية الآشورية الأرثوذكسية، فصدر مرسوم بذلك من رئاسة الجمهورية اللبنانية، وبدأت أعمل مع المطران الآشوري.

في 11/ 4/ 1969، توفي المطران إيليا كرم وانتخب خلفاً له المطران جورج خضر، الذي استلم المطرانية وراح ينظم شؤونها حيث عيّن جهاد أبو

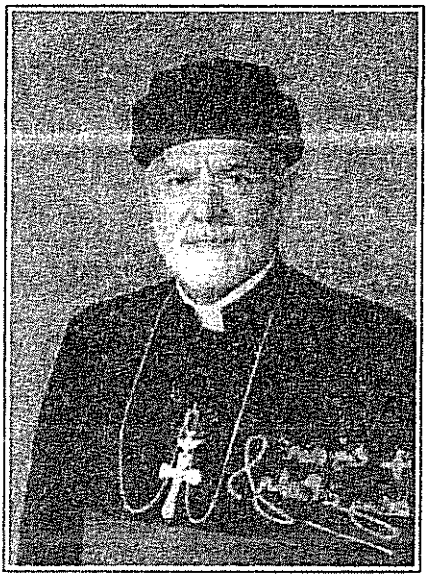

مطران الطائفية الشرقية الآشورية
الأرثوذكسية مار نرساي دي باز

مراد سكرتيراً خاصاً له ووضع جدولاً جديداً برواتب الموظفين، أقل من تلك التي كان الموظفون يتقاضونها في عهد المطران كرم. وفي أحد الأيام جاء المطران جورج خضر وجمع الكهنة والموظفين في صالون المطرانية وقال: «علمنا أن بعض أصحاب المناصب في مطرانيتنا يتعاملون مع مطارنة آخرين، وإذا ثبت لنا ذلك سيكون لنا معهم شأن آخر»، ثم ألقى بعض المواعظ وذهب إلى مكتبه فلحقت به وقلت له:

«يا سيدنا، أنت قلت في الاجتماع أنك عندما تتأكد من الذين يتعاملون مع غير مطرانيتنا سيكون لنا شأن آخر معهم. أنا أقول لك بكل صراحة أنني أتعامل مع مطران الآشوريين، وأنجز كل معاملاته. وعليه، فأني أتقدّم باستقالتي وشكراً لكم»، فقال: «لا، لا نستطيع الإستغناء عنك»، ولكنني ألحّيت في طلبي، فقال: «حسناً»، فقلت: «إذن أعطني إفادة عن سلوكي لديكم وسأسلّمكم المكتب والملفات وكل ما يتعلق بعملي».

فكلّف المطران الياس نجم بإجراء اللازم لإنهاء هذا الموضوع والتحقت بمطرانية الآشوريين.

إنتقالي إلى بحمدون

ولم يمضِ وقت طويل حتى تفاقمت الأحداث، وراح الكتائبيون يحرقون الأخضر واليابس فانتقلنا للسكن في منطقة المتن الشمالي حيث يقيم أهل زوجتي فنزلنا عندهم في بلدة بيت الشعّار وبقينا مدة من الوقت في ضيافتهم إلى أن اشتدّ غضب الكتائب أيضاً في تلك المنطقة فاضطررنا مجدّداً لتغيير منطقة سكننا وذهبنا إلى بحمدون قبل نهاية عام 1978. هناك كان الرفيق يوسف فضول مسؤولاً في المديرية، وكان مدير المديرية الرفيق ميشال نعمه.

في أحد الأيام، قال لي الرفيق يوسف فضّول: «إذا أردت أن تلتحق بالمديرية هنا، عليك أن تذهب إلى المركز وتأتينا ببطاقة تعريف»، قلت: «حاضر». وبالفعل في اليوم الثاني نزلت إلى المركز في بيروت وهناك التقيت بوكيل عميد الدفاع الرفيق أكرم دندشي الذي استقبلني بحرارة لأني كنت بمسؤولية ناظر للتدريب معه عندما كان منفذاً عاماً لمنفذية المتن الشمالي في العام 1958 ودعاني لتناول فنجان قهوة في مكتبه وبعد الاستفسار عن عملي وصحتي وأين أسكن، أخبرته كل شيء عن وضعي. وبعد أن تداولت الحديث الشيّق مع الرفيق أكرم دندشي، ودّعته وخرجت وإذ بي أقابل الأمين مصطفى عز الدين، أخذني بالأحضان وقال: «أين أنتم أيها الرفقاء الطيّبون، لماذا لا نراكم». أدخلني إلى مكتبه وكان رئيساً للمجلس الأعلى، وسألني: أين أنت الآن؟ فقلت له: «في بحمدون، مع عائلتي، وجئت إلى المركز

من اليمين ابني نظام وأنا وابني وسام
والمطران مار نرساي دي باز - بحمدون شتاء 1981

للحصول على رسالة تعريف للإلتحاق بالمديرية».

خرجت بعدها إلى عمدة الداخلية وكان يومها الأمين نبيل كيروز عميداً للداخلية فأعطاني رسالة التعريف وكان وكيله الأمين جورج معماري. عدت إلى بحمدون، وأعطيت رسالة التعريف إلى المسؤول والتحقت بالمديرية.

وأذكر أننا كنا في بحمدون مع بعض الرفقاء الممتازين، منهم الرفيق يوسف فضّول، والرفيق وجدي عبد الملك، الرفيق زينون أبي جابر وشقيقه غسان أبي جابر ووالدتهما الرفيقة أم سعاده، الأمين حبيب كيروز، الأمين مفيد القنطار وعائلته، الرفيق طانيوس المر، الرفيق رشيد الأحمدية، الرفيق عارف الحلبي وولداه الرفيقان غسان ونضال والرفيق حسين الحلبي، وولده الرفيق نظام الحلبي والرفقاء صبحي عبد الرحمن وعائلته وعلي مرداس وعائلته ومروان العسراوي وعاطف بدر وعائلته وغسان حمودي وكمال

معوض وعائلته وجرجي زيدان وعائلته، كميل زيدان، فريد أبو موسى، وجورج حلو وجورج بجاني، وحسن مرتضى وعائلته، الاخوان خليل ونبيل خير اللّه وأمين القنطار وعائلته. كانت مديرية كبيرة، وكنا في وضع نحسد عليه من التآلف والمحبة التي يتحلى بها القوميون الإجتماعيون تجاه بعضهم البعض وكان نشاطنا الحزبي جيداً جداً.

في 11 أيار 1980، دارت معارك تحرير المصاطب في تلال صنين بين مقاتلي الحزب القومي وميلشيات الكتائب حيث حرّر القوميون عشرين كيلومتراً مربعاً، واستشهد أربعة من رفقائنا عندما انفجر لغم تحت سيارتهم حيث كانوا في مهمة تبديل بعد انتهاء المعركة، هم: خليل أبو حيدر، كنج ماضي، عارف زنيط وإبراهيم قطايا.

وفي العام 1981، خاض الحزب معركة بطولية بتحرير الغرفة الفرنسية في جبل صنين.

الإجتياح اليهودي للبنان

في شهر حزيران من العام 1982، حصل الإجتياح اليهودي للبنان تحت شعار «سلامة الجليل»، وادّعت الحكومة الإسرائيلية أنها لن تتوغل في الأراضي اللبنانية سوى أربعين كلم، ولكن راحت الطائرات الحربية تقصف عشوائياً وتلاحق بشكل خاص المدافع المضادة للطائرات وكان في منطقة بحمدون أربعة منها تابعة للجيش الشامي قضت الطائرات على ثلاثة منها وبقي مدفع واحد في السهل الواقع في المدخل الغربي لمدينة بحمدون وقد حاولت الطائرات الإسرائيلية القضاء عليه من دون جدوى فكان يلاحقها برصاصه فتهرب، وتأتي بعدها طائرتان فكان يقصف الأولى ويلتفت إلى الثانية فتهرب أيضاً وخرج أهالي محطة بحمدون إلى شرفات منازلهم يراقبون هذه المعركة البطولية وبعد عودة الطائرتين مراراً يكون مصيرها الفشل والهرب والشعب الذي يراقب هذا المشهد راح يرقص ويصفّق لهذا البطل.

وبعد نصف ساعة حصل الهجوم عليه من أربع طائرات وكان يبعدها، وفي فترة وجيزة كانت قد نفدت ذخيرته وذهب الرامي ليحضر صندوقاً منها عند ذاك فقط هاجمته الطائرات من الجهات الأربع وانهالوا جميعاً على هذا المدفع بصواريخهم فدمّروه. أقسم أني لم أرَ في حياتي ولا في الأفلام مثل هذا المنظر وكم أتمنى أن يكون الجيش الشامي يراقب هذا المشهد البطولي غير أن سورية فيها الكثير من هؤلاء الأبطال، وأن بعض من كانوا يراقبون هذا المشهد أطلقوا صرخة حزن وأسى.

بعد ذلك راح الإسرائيليون يتقدّمون نحو بحمدون ولما لم تكن مديريتنا مجهّزة بسلاح قتالي يمكّننا من المواجهة فقد اضطررنا لمغادرة بحمدون وذهبنا أنا وولداي عصام ونظام والرفيقان يوسف فضول وجرجي زيدان في سيارتنا دون أن نأخذ شيئاً من أمتعتنا إلى قريتنا في حب نمرة. ولحق بنا وجدي عبد الملك وعائلته والرفيق فريد أبو موسى. أما زوجتي وولدي وسام وابنتي غادة فقد كانوا في الحدت ولحقوا بنا بعد بضعة أيام وأما الرفقاء الذين لحقوا بنا فقد غادروا إلى صافيتا والتقوا الرفقاء عفيف القطريب ومأمون الجزائلي وكمال تيموني الذين قدّموا لهم كل مساعدة ممكنة. وعلمنا في ما بعد أن بيوتنا نهبت ولم يبق منها أي شيء، حتى البناء هدم، والحجارة سرقت، فخسرنا في بحمدون ثروة كبيرة.

بعد سقوط مدينة بيروت، يدّعي شارون بنجاح عملية «سلامة الجليل». ولم تمضِ فترة 24 ساعة على ادعائه أي 21 تموز 1982، حتى ولدت عملية قصف الجليل بصواريخ الكاتيوشا من عمق المناطق الجنوبية المحتلة ومنها، والتي عرفت بعملية سلامة الجليل ونفذها الرفيقان فيصل الحلبي وسمير خفاجة.

وفي 14 أيلول من العام 1982، نجح الرفيق حبيب الشرتوني بتنفيذ عمليته بتفجير بيت الكتائب في الأشرفية حيث قتل بشير الجميل وعدد من مرافقيه.

وأيضاً في 25 أيلول 1982 وبينما كان ضابطان من قوات الاحتلال جالسين في مقهى «الويمبي» في شارع الحمراء في بيروت يحتسيان القهوة، إذ بشاب أسمر قوي البنية هو الرفيق خالد علوان، يسحب مسدسه ويوجّهه ببرودة أعصاب نحو الضابطين ويطلق النار عليهما فيقتل واحداً ويجرح الآخر ويتابع طريقه في حماية أبناء شعبه. وأكثر ما آلمني سماعي باستشهاد الرفيق البطل رياض صادق في 13/10/1982 من منفذية الغرب كان يقاتل العدو

اليهودي في بلدة عبيه الشحار الغربي. وكان هذا الرفيق من خيرة الشبان المقاتلين في الحزب الذي شارك في كل المواقع القتالية في تلك المرحلة وأهمها تحرير مصاطب صنين 1980 وتحرير الغرفة الفرنسية، وقد حزنت عليه كثيراً.

الشهيد البطل رياض صادق
والرفيق الراحل حسين الشيخ

إعادة تنظيم المنطقة الوسطى

وبعد انتقالنا إلى الكيان الشامي، وفي بداية هذه المرحلة، إتصلنا بالرفيق رحيل غيبور الذي كان يتحلّى بشخصية قوية ومحبوبة من جميع معارفه وله شعبية قوية لدى الجميع، بمن فيهم رجال الأمن في حمص وحماه والسلمية.

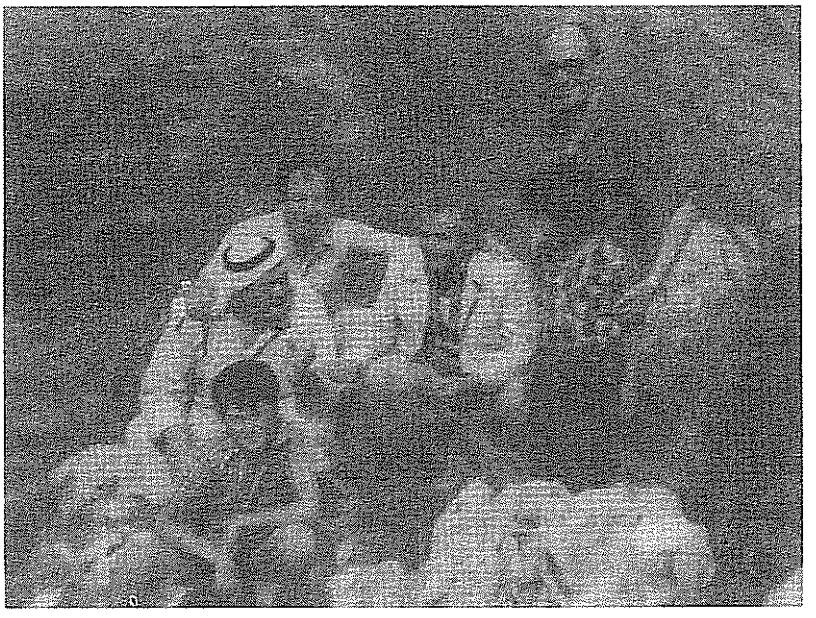

من اليمين: الصديق علي طهّور، متّى أسعد، حسين طهّور، الرفيق رحيل غيبور، علي حسين طهّور وأحمد علي طهّور

ولا يسعني عندما أذكر اسم الرفيق رحيل غيبور إلا التوقّف لأعدّد خصاله الحميدة ومناقبه الحزبية، ومن الأحداث التي أذكرها أنه عندما كان في سجن المزّة، برتبة رقيب في الشرطة العسكرية، ومدرّباً رياضياً (ملاكمة ومصارعة)، كان يحقّق مع القوميين بعد اغتيال المالكي، يدخلهم إلى الغرفة ويضرب الكرباج على الأرض ويقول لهم اصرخوا اصرخوا، إلى أن اكتشف أمره فدخلت عليه الشرطة واعتقلته.

عندما كنا في السجن مع الرفيق رحيل غيبور، لم يكن يملك شيئاً سوى قطعة أرضٍ واسعة شاسعة في بادية الشام على حدود قريته عقارب. وعندما خرج من السجن، استصلح تلك الأرض وأنشأ فيها آباراً للمياه، وزرع تلك الأرض 200 دونم زيتون، و200 دونم لوز، و200 دونم قطن وذرة، وأخيراً اشترى 100 رأس غنم، وبدأ هذا العدد يتكاثر، وبعد سنوات عدّة أصبح لديه بضعة آلاف من رؤوس الغنم، وقد كان كريماً لدرجة لا توصف، أذكر مرة كنا في زيارته وكانت زوجته أم عدنان تنجّد جلود الخواريف التي ذبحوها للضيوف وكان عددها 83 جلداً، وكنا لا نزال في أول الصيف.

لدى الرفيق رحيل في الجنينة الواسعة بضع شجيرات تين كبيرة جداً، فأقام تحتها ما يشبه الخيمة وفرشها بجلود الخواريف والبسط والمساند وما شابه، وعندما يأتي إليه الزّوار، يحضر الطعام فوراً وتوضع الكراسي والمناقل لشوي اللحم وتملأ الطاولات بكل ما يلزم، وهو قد بنى بيتاً صغيراً في الجنينة، 4 غرف تقريباً، كنت أذهب كل سنة مع عدد كبير من الرفقاء لزيارته، فوراً تذبح الخراف وتهيّأ الطاولات والمناقل...

كما أنّ نشاطه لا يوصف وأخلاقه عالية جداً، وزوجته أم عدنان مثله وأحسن. صحيح أنها تحكي كلاماً «همشرياً»، لكنها صاحبة قلب طيّب، وأيضاً بناته فيروز وجمانا وأليسار اللواتي كنّ مثالاً في كرم الضيافة والأخلاق.

وبدأنا نعمل حزبياً مع الرفيق رحيل غيبور وقمنا بإعادة تنظيم منفذيات

حمص وحماه والسلمية ومصياف، والإشراف على سير منفذية وادي النضارة.

وكان التنظيم قد أهمل في هذه المنفذيات على إثر مقتل العقيد عدنان المالكي.

في منفذية حمص وبمساعدة الرفيق فارس السمّان وأنيس الزهراوي وزكي الدّرة ومروان نفّوج وبدري نفّوج والدكتور سامي سحلول وشحاده الجمل وميشال نكد وسواهم، استطعنا إعادة التنظيم بشكل جيد.

وفي منفذية حماه، السلمية، مصياف وبمؤازرة الرفقاء كافة في المنفذية أذكر منهم محمد عزّو، رفعت معمار، غسان وعدنان قدّور، فؤاد وسامي دلّول، غائب شقرا، علي ضعون، فايز خضّور، فيصل حمّوده، فهر المير، محمد الحلو، مصطفى أبو الجدايل، محمد قصاب، ياسر ومحمد الحاج، تمكّنا أيضاً من إعادة النشاط الحزبي المنظّم.

وكان اتصالنا مستمراً مع الرفيق أنطون أسبر لتنظيم مديريات منطقة صافيتا. وامتدّ نشاطنا إلى النبك وقمنا بتنظيم مديرية النبك بإدارة الرفيق عبد الكريم مالك وشقيقيه محمد ورياض والرفيق مصطفى الطوبجي والرفيق ثائر طيفور (أبو مؤنس) وكذلك كنا نشرف على تنظيم أعمال منفذية وادي النضارة التي كان المسؤولون فيها مالك يازجي وبشرى مسّوح وأديب مسّوح وعيسى يازجي وعيسى شهاب وكانت تضمّ عدداً كبيراً من الرفقاء من أبناء الوادي وأذكر منهم الرفقاء عيسى الجبيلي ونديم عثمان وأنور الشامي، ومجموعة كبيرة من عائلة أبو عيطة وعفيف وفرج نفُّوج وفريد قحوش وحليم داوود وسواهم كثر، وقد تسلّمت عدداً من المسؤوليات في تلك المرحلة منها نظارة العمل، ونظارة المالية ومفوض مفوضية حب نمرة.

والذي كان يسهل عملية تنقلاتنا ومواصلاتنا بين هذه المناطق وجود سيارتي التي جئنا بها من الكيان اللبناني بعد الاجتياح اليهودي. حيث أن المواصلات والسيارات لم تكن متوفرة كما هو الحال في أيامنا هذه.

وبتاريخ 8/ 8/ 1983، نجح الرفيق عاطف الدنف بعملية الفرار الكبير من معتقل العدو اليهودي آنذاك في أنصار على رأس مجموعة تضم حوالي 30 معتقلاً على الرغم من الحراسة المشدّدة وملاحقة طائرات العدو لهم.

وفي ذلك الوقت كانت تصلنا أخبار الكيان اللبناني وخاصة المتعلقة بالحزب عبر تلفزيون الشمال التابع للحزب السوري القومي الاجتماعي بإدارة الرفيق كمال نادر، وكانت هذه الإذاعة تشحن الرفقاء بالمعنويات خصوصاً مع تصاعد العمليات البطولية الاستشهادية ضد العدو اليهودي المحتل أمثال وجدي الصايغ وسناء محيدلي ومالك وهبي وابتسام حرب وخالد الأزرق وعلي غازي طالب ومريم خير الدين، وعمّار الأعسر ونورما أبي حسان وزهر بو عسّاف وفدوى حسن غانم...

ولا أخفي أنه في هذه المرحلة التي كنا ننشط فيها حزبياً في الكيان الشامي، كانت آثار الرعب لا تزال عالقة في نفوس المواطنين من أيام السرّاج لهذا كنا نلاقي صعوبات في العمل الحزبي وخاصة مع الموظفين في دوائر الدولة وعلى الرغم من كل ذلك كنا نتابع عملنا وتمكنا من تنظيم المنفذيات والمديريات.

العودة إلى لبنان

في العام 1990، استتبّ الأمن في لبنان وعدنا إلى منزلنا الكائن في بلدة الحدت ـ بعبدا الذي هجّرنا منه منذ العام 1978 بسبب مضايقات حزب الكتائب اللبنانية المستمرة.

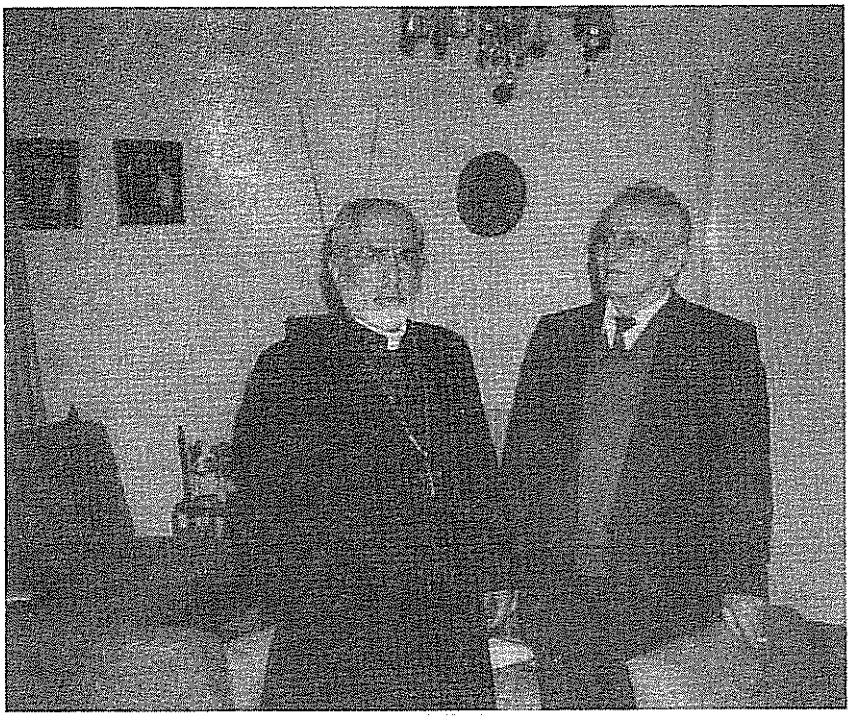

في دار المطرانية مع المطران نرساي دي باز بعد رجوعنا إلى لبنان

وتمكّنا بعد فترة وجيزة من عودتنا من جمع شمل الرفقاء وتأسيس مديرية الحدت التي كان يديرها الرفيق عصام الأسعد والتي نشطت بهمّة الرفيق طانيوس الجاموس والرفيقين سامي وكابي برباري ولديّ الكاهن إيليا برباري الذي عرّف حضرة الزعيم أنطون سعاده قبل إعدامه والرفقاء سبع أبي خليل وإبراهيم الضيقة وجرجس زغيب ونظام الأسعد وعلى رأس هذه المجموعة الأمين عبد اللّه محسن وزوجته الأمينة هيام محسن وأولادهم الرفقاء نديم ورائد وندى.

وعدت لممارسة عملي كوكيل للمطران مار نرساي دي باز، ورئيساً لقلم المحكمة الروحية.

وعلى الرغم من حالة السلام والأمن التي نعم بها لبنان في هذه المرحلة، إلا أنّ اليهود ظلّوا يكرّرون اعتداءاتهم على جنوب لبنان، فكان الاعتداء في تموز 1993، ثم في نيسان من العام 1996، حيث وقعت مجزرة المنصوري ومجزرة قانا الأولى التي ذهب ضحيتها عدد كبير من الشهداء الأبرار من أطفال ونساء وشيوخ. ولكن تحت ضربات المقاومة الباسلة، اضطرّ العدو إلى الانسحاب في 25 أيار من العام 2000 من جنوب لبنان. وأذكر أنه في أحد الأيام كنا مجتمعين مع الأمين شوقي خير اللّه وسألناه عن سبب فشل حروب الدول العربية مع إسرائيل فكان جوابه: «إن إسرائيل لا تُحارب بجيش نظامي، إذا أردنا الانتصار عليها، فما علينا إلا حرب العصابات المسلحة»[1].

وبالفعل، وللمرة الثانية، يثبت هذا القول صحته بعد هزيمة العدو اليهودي في عدوان تموز 2006، حين ارتكب العدو المجرم عدداً من

(1) حرب العصابات المسلّحة: يقصد بها حرب المجموعات القتالية الصغيرة والمدرّبة على القتال المسلّح بشكل جيّد ومحترف.

المجازر في حق شعبنا أهمّها مجزرة قانا الثانية. وذهب ضحية هذا الاعتداء أكثر من 1200 شهيد و4400 جريح في مختلف المناطق اللبنانية، وتدمير الآلاف من الوحدات السكنية والتجارية والجسور. وعلى الرغم من ذلك، إنتصرت المقاومة المسلّحة على أعداء الأمة في الداخل والخارج معاً ولكن لا نزال نعاني من استمرار المؤامرة على أمتنا حتى يومنا هذا.

وأخيراً، وبعد استعراضي لكل مراحل حياتي أقول إنّ الوعي الذي وضعني على طريق الحق والخير والجمال يعود إلى حضرة الزعيم المفدّى سعاده. أقرّ وأعترف أني لست الوحيد الذي سلك طريق الصواب ومعرفة ماهيته وحقيقته بفضل المعلّم وأؤكّد أنّ لا خلاص لهذه الأمة من الويلات التي تمرّ بها من دون العودة إلى قول حضرة الزعيم (حاملاً بيدهِ كرّاس المبادئ): «لو انفضّ جميع السوريين القوميين الإجتماعيين من حولي، لدعوتُ إلى العقيدة القومية الإجتماعية أجيالاً لم تولد بعد».

وأنا، انطلاقاً من إيماني بهذا القول، أثق بأن الأجيال القادمة ستحقّق هذه المبادئ العظيمة.

ولا يسعني بعد كل ما تقدّم من صفحات بقيت في الذاكرة إلا أن أختم بكلام للزعيم وجّهه لي في أحد اجتماعاتي معه، علّ القارئ يستخلص منها ما يؤكد أن الحركة السورية القومية الاجتماعية هي حركة فكر نهضوي لا انهزام فيه، يتوحّد فيه المسلك مع الفكر.

في ذلك اليوم من العام 1948، قدّمت لزعيمي بعض المعلومات المتعلّقة بفلسطين تمكّنت من الحصول عليها بحكم طبيعة مهنتي في الجيش، سألني: «كيف تحصل عليها؟» فأجبته بصوت منخفض كما لو أنني خائف من أن يسمعني أحد سواه: «من سجلّ المعلومات السرّي جداً». ضحك من ردّة فعلي بتخفيض صوتي لا شعورياً، وقال: «هل آمنت بالعقيدة التي انتميت إليها، وأنها السبيل الوحيد لإنقاذ هذه الأمة من الويلات التي تتخبّط بها؟»

وهل ما زلت تذكر القسم الذي أقسمته؟» فأجبته: «نعم، وبكل تأكيد».

قال: إذن، لا تلتفت إلى الوراء.

لم يمضِ وقت طويل على هذا الحديث حتى بدأت الأحداث تتتابع وكل مرحلة منها شكّلت اختباراً لإيماني، وكانت هذه الكلمات سلاحي للصمود.

وها إنّي أدوّن هذه المذكرات، وما زلت على وعدي.. لا ولم ألتفت إلى الوراء في كل المراحل التي اجتزتها.

من اليمين: وسام الأسعد، غاده الأسعد، الأمينة اليسار سعاده، متّى أسعد، نظام الأسعد

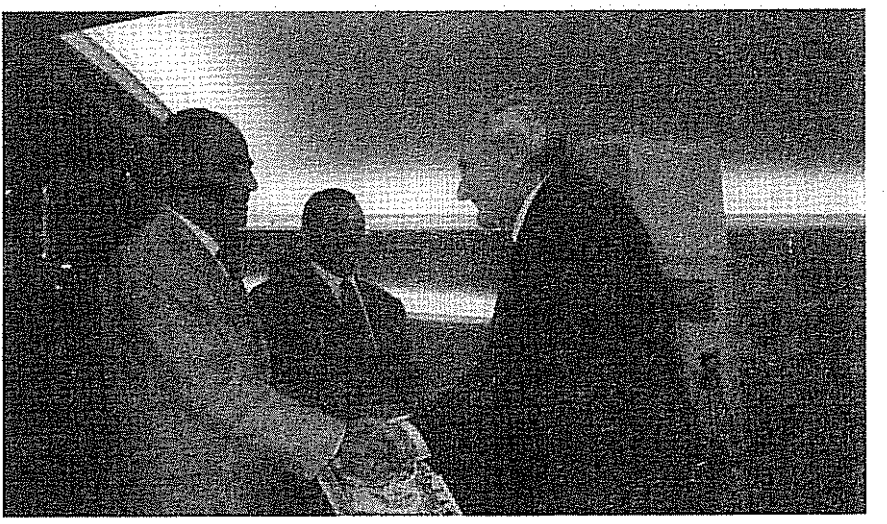

إستلامي وسام الواجب من رئيس الحزب الأمين علي قانصو عام 1999

في المكتب أثناء كتابة مذكّراتي - الحدث - 2011

إبني الرفيق وسام الأسعد آمراً لأحد مخيمات الأشبال... وتستقر النهضة

فهرس الإعلام

- أ -

آل دندشي 116
آل سعود، عبد العزيز (الملك) 95
آل السيد 133
آل عرموني 186
آل عياش 133
آل منديل، عبد الرزاق 169، 172
إبراهيم، مخائيل 26
إبراهيم، موسى مطلق 169، 179
إبراهيم، يوسف مطلق 169
أبو الجدايل، مصطفى 144، 173، 203
أبو حيدر، خليل 195
أبو خزنة، أحمد 180
أبو رافع، أنيس 5، 11، 160
أبو عساف، أمين 91، 151
أبو فخر، رشراش 172، 180
أبو فخر، عادل 181
أبو فخر، فوزي 172، 180
أبو كامل، كامل 172، 174، 179
أبو مراد، جهاد 192
أبي حسان، نورما 204
أبو منصور، فضل الله 84، 161، 174، 175، 176
أبو موسى، فريد 195، 198
أبي جابر، زينون 194
أبي جابر، غسان 194
أبي خليل، سبع 206
الأتاسي، جودت 117
الأتاسي، زياد 117
الأتاسي، عدنان هاشم 147
الأتاسي، هاشم 89، 90، 92، 94، 95، 102، 104، 105، 106
الأحمدية، رشيد 194
أدهم، برهان 148
أدونيس 10، 145، 146
أرسلان، عادل 73، 74
الأزرق، حبيب 23
الأزرق، خالد 204
إسبر، إسبر 144، 145
إسبر، انطون 203

الأسعد، رامز 5، 23، 37، 38، 72
الأسعد، عصام 186، 190، 198، 206
أسعد، عيسى 8
الأسعد، غادة 186، 198
أسعد، كاظم 23
أسعد، متى زكا 5، 9، 10، 11، 17، 20، 34، 39، 144، 153، 168، 186، 187
أسعد، ناظم 23
الأسعد، نظام 198، 206
أسعد، نبيه 33، 155
أسعد، نقولا 22
الأسعد، نقولا نبيه 190
أسعد، وجيه زكا 20، 21، 131
الأسعد، وسام متى 8، 198
إسماعيل، بديع 102
أسمرو، يوحنا 28، 191
الأشقر، أسد 173، 175، 176
الأشقر، يوسف 8
الأطرش، سلطان باشا 101، 102
الأعسر، عمار 204
إليان، ميخائيل 147
أورباي، فؤاد 73
أياس، عبدو 77
الأيوبي، أحمد 179

- ب -

بجاني، جورج 195
بدر، عاطف 194
البذرة، صلاح 117
البذرة، عفيف 117، 139
البرازي، حرشو 94
البرازي، حسين 92
البرازي، محسن 73، 81، 82، 84، 94
برباري، إيليا 206
برباري، سامي 206
برباري، كابي 206
بربر، جميل 181
البربير، نسيب 86
برمدا، مصطفى 68
البزال، علي محمد عبدالله 172، 180
بشور، بديع 125، 151
بشير، خليل 180
بكداش، خالد 90
بوعساف، زاهر 204
بيروتي، فؤاد 180
بيطار، إبراهيم 144
بيطار، أسعد 27
البيطار، صلاح الدين 90، 101
بيطار، عيسى 27
بيليتيس 145

- ت -

تامر، تامر 27
تبشراني، فايز 172

تركماني، عبد الوهاب 7، 133، 136، 147، 149، 167
تقي الدين، سعيد 147
تلحوق، أمين 87
التوفي، موريس 172
تيموني، كمال 198

- ث -

ثابت، نعمة 43

- ج -

الجاموس، طانيوس 206
جبور، عفيفة 21
الجبيلي، عيسى 203
جدع، كميل 49
جديد، غسان 5، 107، 108، 109، 110، 111، 112، 113، 114، 115، 116، 117، 118، 119، 126، 129
جديد، فؤاد 144
الجراح، عز الدين 147
جربوع، فضل الله 147
الجزائلي، مأمون 198
جزدان، ألبير 15، 37، 38، 39، 41، 42، 43، 77، 136
جلوف، موسى 33
جمال، حسن 144
جمال الدين، عبد المجيد 138، 140، 141
جمعة، سامي 73، 93، 123، 124، 125، 126
الجمل، شحادة 43، 203
الجمل، عبد الله 43
الجمل، يوسف 185
الجميل، بشير 198
جنبلاط، كمال 100
الجوهري، عفيف 161

- ح -

الحاج، محمد 203
الحاج، ياسر 203
الحاج، يوسف 169، 180
حاطوم، بهيج عوض 23
حاطوم، طانيوس 22
حامد، كامل 30
حبش، سجيع 161، 169
حبيب، نصري 144
حجار، حنا 144، 145
الحداد، شكيب 172
حداد، منير 5، 147
حدّه، حسن 105
حدّه، حسين 105، 106
حرب، ابتسام 204
حسان، كامل 136، 141
حسن، أحمد علي 181
حسين، عزت 152

الحسيني، إبراهيم 72، 73، 74، 92، 93
حصني، إحسان 98
الحفار، وجيه 61
الحكيم، حسن 95، 147
الحكيم، نزيه 97
حلاق، مادلين 7
حلاق، نقولا 7
الحلبي، راجي 144، 147، 148
الحلبي، سليمان 172
الحلبي، عارف 194
الحلبي، غسان 194
الحلبي، نضال 194
الحلبي، فيصل 198
الحلبي، نظام 194
حلو، جورج 195
الحلو، محمد 203
حماد، سعيد 172، 181
حمدوش 50
حمدون، مصطفى 112
حمزة، مصطفى 181
الحمصي، طانيوس 144
حمصي، عيسى 22
حمودي، غسان 194
حمودي، فيصل 203
حنا، حنا 179
الحناوي، سامي 89، 91، 92، 94
حيندي، واصد 105
حوا، رفيق 57، 58، 105، 113
الحوراني، أكرم 59، 95، 98، 99، 101، 123، 125
حيدر، سعيد 92

- خ -

خضّور، فايز 203
الخطيب، علي صالح 180
خفاجة، سمير 198
الخوري، بشارة 73، 74، 100
خوري، حليم 133، 163
الخوري، خليل 72
الخوري، رفيق 26
الخوري، سامي 22، 97، 99، 102، 104
خوري، عبلة 128
الخوري، فارس 53، 58، 68، 94
الخوري، مهيب 5، 165، 172
خيراللّه، خليل 8، 195
خيراللّه، نبيل 195
خير الدين، مريم 204

- د -

الداغر، إلياس 23
داغر، طانيوس 22
الداغر، عبد الله 23
الداغستاني، فضل 108، 142
داغوم، عبد المسيح 56

داية، حسن 26
دبوسي، محمد عبد المنعم 5، 114، 128، 130، 133، 141
درغام، أمية 8
الدرة، زكي 203
دروبي، أحمد 108، 142، 143
درويش، رياض 177
دعيبس، يوسف 144
دكناش، عثمان 50
دلول، سامي 203
دلول، فؤاد 203
الدنف، عاطف 204
الدواليبي، معروف 91، 94، 95، 96، 97، 147
الديري، أكرم 129، 133
ديغونيه (المقدم) 29
الديك، ميشال 79، 80، 85، 86
ديوب، دياب 161، 169

- ر -

راجح، فريد 188
الرافعي، محمد 43
رحمة، جورج 190
رشيد، أحمد 169
رشيد، محمد 169
رعد، إميل 168
رعد، هاشم 26، 27
الرّيس، نجيب 61

- ز -

الزعيم، حسني 45، 53، 54، 55، 56، 57، 58، 59، 62، 67، 69، 70، 71، 72، 73، 81، 83، 84، 89، 90، 94، 123، 125، 151
زغيب، جرجس 206
زنيط، عارف 195
زهر الدين، جميل 124
الزهراوي، أنيس 203
زيدان، جرجي 195، 198
زيدان، كميل 195
زيدان، يوسف 172

- س -

سالم، سليم سعدو 114، 144
السباعي، برهان الدين 43
السباعي، مصطفى 94، 95
السبليني، محمد 181
سبيتي، إبراهيم 180
سحلول، سامي 145، 203
السراج، عبد الحميد 125، 138، 140، 142، 148، 159، 175، 204
سرور، هائل 147
السطمة، سركيس 23
سعاده، أنطون (الزعيم) 5، 13، 15، 22، 33، 39، 45، 47، 49، 51، 71، 72، 73، 74، 76، 79، 83، 84، 85، 86، 89،

90، 140، 144، 190، 191، 206، 207
سعاده، جوليت (المير) 141
سعاده، عبدالله 177
سعد، أنطوان 188
سكاف، جوزيف 30
سلام، نجاح 107
سلامة، حنا 27
السلموني، حسن 144
سلو، فوزي 95، 97، 98، 99
سليمان، إبراهيم 161
سليمان، ماجد 35
سماحة، جميل 172
سماحة، ديب 29
السمان، فارس 5، 8، 203
سمعان، فريد 7، 168
السوقي، جميل 172
سويدان، بهجت 39، 43
السيد، جلال 90، 92، 94، 95
السيد، عبد الستار 34
سيف الدين، شامان 172

- ش -

شارون، أرييل 198
الشامي، أنور 203
شاهين عبد السلام 126، 133، 144
شبشول، مخول 22، 23
شحادة، عبد الحق 105
الشرباتي، أحمد 46، 138
شرتوك، موشي 74
الشرتوني، حبيب 198
الشرع، علي 145
الشعراني، سلمان 124
الشقة، محمد خليل 77
شقرا، غائب 203
شقير، محمد 86
شقير، شوكت 100، 102، 103، 104، 105، 106، 107، 108، 109، 110، 111، 112، 113، 114، 124، 125، 131
شلاش، أمير 38
شلبي، محمد 50
الشمالي، مخائيل 23
شمعة، فهد 189
شمعون، كميل 100، 121، 173
شمنق، محمد 173
شمنق، محمود 173
شهاب، عيسى 203
شهاب، فريد 72
شهاب، فؤاد 175، 188
الشواف، فؤاد 141
الشوفي، عز الدين 124
الشيشكلي، أديب 37، 38، 84، 89، 91، 93، 94، 95، 96، 97، 98، 99، 100، 101، 102، 103، 104، 123، 125

- ص -

صادر، ادمون 172
صادق، رياض 198
صاري، محمد 31
صالح، راتب 181
الصايغ، عبد الكريم 77
الصايغ، وجدي 204
صعب، معروف 141
صعيبي، فهد 172
صفا، محمد 147
صفطلي، شوكت 147
صقر، جوزيف 116
الصلاحي، محمد أديب 85، 86، 87
الصلح، رياض 72، 73، 74، 81، 85، 86
الصوّاف، إبراهيم 128، 130
الصوّاف، محمود 34

- ض -

ضاهر، قاسم 172
ضعون، علي 203
الضيعة، حليم 33
الضيقة، إبراهيم 206

- ط -

طبري، عادل 161
الطرزي، صلاح 73، 74
طلس، أسعد 91
طنوس، رامز 144
الطوبجي، مصطفى 203
طيبا، إبراهيم 42
طيفور، ثائر 203

- ع -

عابدين، سعيد 144
عازار، أديب 44، 148
عازار، جان 175
العاشق، أحمد 172
العاص، سعيد 51
عاصي، مهدي 182
عبد الإله (الأمير) 92
عبد اللّه، إدريس 149
عبد اللّه، فارس جميل 180
عبد اللّه (الملك) 49
عبد الخالق، معروف 165
عبد الرحمن، صبحي 169، 194
عبد الرحمن، عبد الحليم 144
عبد الرحيم، يونس 5، 112، 114، 126، 128، 129، 133
عبد الكريم، أحمد 105
عبد اللطيف، إسماعيل 144، 149
عبد المسيح، جورج 99، 100، 114، 125، 128، 130، 160، 189، 190
عبد الناصر، جمال 171
عبود، بطرس 23
عبود، بولس 21

عبود، حنا 23
عبود، طانيوس عيسى 23
عبود، عيسى 22
عبود، مخائيل 23
عبيد، مطانيوس 5، 172
عثمان، نديم 5، 172، 203
العجلاني، عادل 147
العجلاني، منير 92، 147
عجمي، عبد الله 180
العجمي، عيسى 139
عدرة، بدر 144
عريضة (البطريرك) 19
عكر، أكرم 32، 34، 56
عز الدين، مصطفى 7، 8
عزو، محمد 144، 145، 203
العسلي، فيصل 54، 55، 61
عسة، أحمد 97
العسراوي، مروان 194
العضم، حكمت 23، 34
عطا، فوزي 180
عطايا، عبد الحفيظ 169
عطايا، محمد 169، 176
عطية، جميل 50
العظم، خالد 58، 59، 60، 61، 90، 94
عفلق، ميشيل 90، 101
علوان، خالد 198
العودة الله، طعمة 105
عويس، توفيق 128

- غ -

غازي، علي 204
غانم، فدوى حسن 204
غانم، هنري 25، 26، 27
الغانم، وهيب 90
غزال، زهير 36، 41، 42، 43، 44، 112، 139
غنام، أمين 144، 147، 148
غنام، حسن 72، 81، 82، 83، 151
غوبلز، جوزف 140
غيبور، رحيل 5، 147، 186، 201، 202

- ف -

فارس، حنا 144
فاروق (الملك) 49، 72، 73
الفاضل، محمد 152، 153
فرح، إحسان الخوري 39، 43، 147
فرحات، صبحي 37، 46
فرهود، إبراهيم 117
فضل، أحمد 180
فضول، يوسف 5، 193، 194، 198
فنصة، نذير 72
فهد، أنور 160

- ق -

قاسم، عبد الكريم 172

القاوقجي، فوزي 46، 117
القباني، صبري 71
قبرصلي، عبد الله 40
قبلاوي، محمد 180
قحوش، بديع كاسر 22
قحوش، بولس عبود حنا 21
قحوش، حنا كاسر 22
قحوش، رضا خليل نفوج 22
قحوش، طانيوس طانيوس عبود 19
قحوش، طانيوس عبود 19
قحوش، فريد عيسى 23
قحوش، متّى أسعد 19
قحوش، مخائيل إبراهيم 22
قحوش، نديم كاسر 161، 166، 167
القدسي، ناظم 92
قدور، عدنان 203
قدور، غسان 203
قزما، حبيب 22، 23
قصاب، محمد 203
قطايا، إبراهيم 195
القطريب، عفيف 198
قلعجي، قدري 97
قنبر، أحمد 91
القنطار، أمين 195
القنطار، مفيد 194
قنوت، عبد الغني 93
قنيزح، إلياس جرجي 78، 99
قنيزح، إنطانيوس 33، 161
قنيزح، تموز 8
قنيزح، سعد الله 78
قواس، عادل 144
القوتلي، شكري 45، 54، 58، 59، 60، 105

- ك -

كبارة، سامي 147
كركور، إبراهيم 175
كركور، نعيم 180
كرم، إيليا (المطران) 27، 28، 32، 33، 74، 159، 165، 166، 184، 185، 186، 191
كريبل (الكولونيل) 109، 110
الكزبري، مأمون 103
كرم، جورج 5، 176، 177
كعدي، الياس 172
كلاس، بهيج 55، 56
كلوب باشا (الجنرال) 47
كوزاك، عبد الله 144
كيالي، عبد الكريم 143
الكيخيا، رشدي 94
كيروز، نبيل 194
كيلاني، رياض (الملازم أول) 36
كيلاني، رياض (النقيب) 73، 74
الكيلاني، طارق 32

- ل -

اللاطي، الياس متري 23

اللاطي، حدو 22، 23
اللاطي، عبد الله 23
اللاطي، عفيف 23، 29
اللاطي، وديع 23، 26، 29
اللبكي، ميشال 172
لويس، بيار 145

- م -

ماجد، علي 117
ماردنخا الرابع (البطريرك) 5
مارميليس زيا (المتروبوليت) 5
ماضي، كنج 195
الماغوط، محمد 147
مالك، رياض 203
مالك، عبد الكريم 5، 203
مالك، محمد 203
المالكي، عدنان 10، 15، 106، 107، 108، 109، 111، 114، 121، 123، 124، 125، 126، 127، 128، 129، 132، 174، 203
المحايري، عصام 89، 94، 95، 99، 102، 114، 141، 186
محسن، عبدالله 206
محيدلي، سناء 204
محسن، هيام 206
مخلوف، بديع 5، 114، 128، 133، 141
المر، طانيوس 194
مرتضى، حسن 195
مرداس، علي 194
مردم بك، عبد الرحمن 151، 153
مردم بك، فؤاد 45
مسرة، خريستو 184
مريود، عصام 84
مسعود، شحادة 77
مسوتي، بهجت 140، 141، 142
مسوح، أديب 203
مسوح، بشرى 203
مشرقي، توفيق 133
المصري، محمد 144
مصطفى، علي 180
معروف، محمد 147
معطي، إبراهيم 43
معطي، إلياس 43
معمار، رفعت 203
معماري، جورج 194
معوض، أمين 5، 161، 163، 164
معوض، كمال 195
معوض، ناديا 164، 165، 166
الملاح، نبيل 8
المملوك، فرزت 147
منصور، حامد 147
مياسي، صلاح 172
المير، فهر 203

- ن -

ناجي، عمر 43
نادر، كمال 204
نادر، نادر 27
ناصر، محمد 92، 93
نجيب، إبراهيم 144
النحلاوي، عبد الكريم 129
ندروس، بشارة 5، 8
نرساي دي باز (المطران) 5، 17، 191، 206
نظام الدين، توفيق 93
نظام الدين، زكي 102، 103
نعمه محمود 5، 150، 151، 161، 172، 173، 174، 179، 180
نعمة، ميشال 193
نعمة، نديم 144
نفوج، بدري 8، 203
نفوج، مخائيل 180
نفوج، مروان 5، 8، 203
نكد، ميشال 203
نوايا، عدنان 77
نون، نايف 172

- هـ -

هاشم، فيصل 133
الهاشمي، طه 117
هزيم، غصن 22
الهواش، جميل 142، 143

- و -

وديع، سبيرو 85، 86، 87
وهاب، شكيب 147
وهبة، عبدو 147
وهبي، مالك 204

- ي -

يازجي، عيسى 203
يازجي، فؤاد 22
يازجي، مالك 203
يازجي، ميشال 27
يازجي، ندي نعمان 19
يازجي، يوسف 22

فهرس الأماكن

- أ -

الاتحاد السوفياتي 147
الأرجنتين 19، 21، 73
الأردن 80، 83، 95، 172
إزرع 80، 81، 83
إسرائيل 45، 120، 206
الأشرفية 159، 198
أفريقيا 7، 168

- ب -

باب توما 46
بحمدون 193، 194، 198
برج حمود 171، 179، 181، 183
البسطة 30
بيت الشعار 150، 161، 168، 176، 197
بيت مري 189
بريطانيا 95، 115
بيروت 30، 79، 86، 94، 159، 160، 173، 198

- ت -

تشيكوسلوفاكيا 45
تل أبيب 45
تلال صنين 195
تلة الخياط 29
تلكلخ 25، 115، 116

- ج -

جبل الدروز 102
جبيل 26، 27
جزيرة، أرواد 32، 33، 34، 35
جل الديب 175، 181
الجليل 198

- ح -

حب نمرة (بلدة) 17، 20، 22، 27، 77، 198
الحدث 27، 28، 166، 182، 183، 189، 205، 206
حلب 35، 57، 103
حلبا 19
حماه 20، 51، 116، 201، 203

الحمرا 198
حمص 8، 17، 101، 102، 107، 108، 111، 112، 115، 116، 142، 201، 203
الحواش 17
حوران 80
حيفا 50، 51، 117

- د -

درعا 74، 77، 79، 83، 111
دمشق 10، 31، 32، 42، 47، 53، 58، 59، 67، 69، 72، 77، 86، 89، 90، 92، 101، 102، 105، 106، 108، 112، 113، 123، 157، 188
دير الزور 133
دير القمر 100
دير النورية 188
ديك المحدي 161، 165، 173

- ر -

رأس بيروت 120، 176
رام الله 117
روما 101

- ز -

زحلة 28

- س -

سد البوشرية 28، 159، 161
السعودية 89، 92، 95
السلمية 201، 203
سن الفيل 182
سورية 15، 19، 20، 45، 58، 59، 64، 75، 91، 92، 95، 104، 121، 123، 147
السويداء 102

- ش -

الشام 9، 51، 115، 120
الشويفات 165

- ص -

صافيتا 19، 198، 203
صنين 199

- ط -

طرابلس 18، 116

- ع -

عبيه الشحار الغربي 199
العراق 91، 92، 147، 172
عرسال 176
عقارب (قرية) 202
عكا 50
عكار 19
عمان 85
عين الزبدة 19، 21
عينطورة 164

- ف -

فرنسا 26، 27، 30، 31، 115

فلسطين 10، 45، 46، 49، 50، 51، 58، 116، 117، 118

- ق -

قانا 206، 207
القاهرة 73، 125
قبرص 33
القبيات 30
القدس 51، 118
قرطبة 177
قرنة الحمراء 7، 167، 168
قطنا 59
القنيطرة 59

- ك -

كفرشيما 27

- ل -

اللاذقية 90
لبنان 9، 17، 19، 21، 22، 30، 31، 33، 51، 72، 75، 78، 89، 90، 100، 121، 150، 171، 172، 173، 175، 179، 181، 188، 190، 197، 205، 206
اللقلوق 177

- م -

مرمريتا 19، 27
مصياف 203
مصر 49، 89، 92، 100، 105، 121
المنصورة (قرية) 130
المنصوري 206
موسكو 147

- ن -

الناصرة 159
النبك 203
النبي صموئيل (قرية) 118
النبي يعقوب 118
نهاريا 51
نيويورك 21

- هـ -

الهلال الخصيب 121

- و -

وادي النصارى (النضارة) 17، 19، 159
وادي شحرور 27
الولايات المتحدة الأميركية 172

المحتويات

الإهداء 5
شكر 7
المقدمة 9
أيها الزعيم الخالد المفدى 15
النشأة والطفولة 17
دخولي الجيش الفرنسي 25
التحاقي بالجيش السوري 31
مقابلة الزعيم والانتماء إلى الحزب 37
المؤامرة على فلسطين 45
لا سلاح لحزب سعاده 49
انقلاب حسني الزعيم 53
مجمل الحوادث والبيانات والخطب التي رافقت الانقلاب العسكري الشامي 61
مؤامرة تسليم سعاده واغتياله 71
تنظيم شبكة اللاسلكي في درعا 77
الحزب القومي ورياض الصلح 85
انقلاب الشيشكلي 89

نهاية حكم الشيشكلي 101
مناورة الجيش في الكسوة سعسع 107
محطات مضيئة في حياة غسان جديد 115
مؤامرة اغتيال المالكي 123
سجن المزة وبدء التحقيق والاستجواب 135
محاولة انقلاب 1956 147
بدء جلسات المحاكمة 151
إلى بيروت 159
زواجي من ناديا 163
معارك الجبهات في حوادث 1958 171
انتخابات العام 1960 175
المحاولة الانقلابية ولجوئي إلى المطرانية 179
محاضرة في مخيم الأشبال 189
انتقالي إلى بحمدون 193
الاجتياح اليهودي للبنان 197
إعادة تنظيم المنطقة الوسطى 201
العودة إلى لبنان 205
فهرس الإعلام 211
فهرس الأماكن 222

الماضي المجهول

و أيام لا تنسى

ولا يسعُني، بعد كتابة هذه الصفحات التي بقيت في الذاكرة، إلا أن أذكّر بكلامٍ للزعيم وجّهه لي خلال أحد اجتماعاتي به، على القارئ يستخلص منها ما يؤكد أنّ الحركة السورية القومية الاجتماعية هي حركة فكر نهضوي لا انهزام فيه، يتوحد فيه المسلك مع الفكر.

في ذلك اليومِ من العام 1948، قدّمتُ لزعيمي بعض المعلومات المتعلقة بفلسطين، تمكنت من الحصول عليها بحكم طبيعة مهنتي في الجيش، فسألني: "كيف تحصل عليها؟" فأجبته بصوتٍ منخفض كما لو أنّني خائف من أن يسمعني أحدٌ سواه: "من سجلّ المعلومات السرّي جدّا".. ضحك من ردّة فعلي بتخفيض صوتي لاشعوريا، وقال: "هل آمنتَ بالعقيدة التي انتميتَ إليها، وبأنّها السبيل الوحيد لإنقاذ هذه الأمّة من الويلات التي تتخبط بها؟ وهل ما زلتَ تذكر القسم الذي أقسمتَه؟"، فأجبته: "نعم، وبكل تأكيد".

قال: "إذن، لا تلتفت إلى الوراء".

لم يمضِ وقتٌ طويل على هذا الحديث حتى بدأت الأحداث تتتابع، وكلّ مرحلة منها شكّلت اختبارا لإيماني، وكانت هذه الكلمات سلاحي للصمود.

وها إنّي أدوّن هذه المذكرات، وما زلتُ على وعدي.. لا ولم ألتفت إلى الوراء.

المؤلف

ISBN 978-9933-620-73-8